دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي

(دراسة تحليلية)

الدكتور عدي سالم الجبوري

دار الحامد

بسم الله الرحمن الرحيم

دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي

دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي

(دراسة تحليلية)

الدكتور

عدي سالم عبد الله حمد الجبوري

المؤلف ومن هـو في حكمه: عدي سالم الجبوري

عنـوان الكتـاب: دوافع الفتوحات الاسلامية في العصرين الراشدي والأموي

رقـم الإيـداع: 2011/8/3066

بيـانـات الناشـر: عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-32-659-3

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2012-1433هـ

دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية

هاتف: 5231081 6 962+ فاكس: 5235594 6 962+

ص.ب. (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن

www.daralhamed.net

E-mail : daralhamed@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ
مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ
صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾

سورة الفتح: الآيات 1-3.

الإهـــــــداء

إذا كان من نفيس يهدى فلا أجد أنفس من هذا الجهد أهديه إلى..

والدي ووالدتي حباً واحتراماً، أختي وأخوتي عرفاناً ووفاءً عائلتي وأقاربي إخلاصاً واعتزازاً.

عدي

المحتويات

المقدمة

تعد الفتوحات الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين من أهم الأحداث في تاريخ العرب خاصة والمسلمين عامة بعد نزول رسالة الإسلام، ومن أكثر أحداث التاريخ العربي الإسلامي تعقيداً من حيث سرعتها واستمرارها وسعة الأراضي التي غطتها وكثرة الشعوب المنضوية تحتها، علاوة على الوسائل والأساليب المستخدمة في تنفيذها والنتائج العظيمة التي حققتها، التي كانت مثار إعجاب واهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين من العرب وغير العرب.

وقد أطلقت العديد من التفسيرات لدوافع وأسباب انطلاق الفتوحات الإسلامية من قبل أغلب الدراسات التي تناولت تاريخ صدر الإسلام، فمنها ما أعتبر الجهاد في سبيل الله تعالى نشراً للإسلام وحماية له هو الدافع الرئيس دون سواه، ومنهم من قدم تفسيرات اقتصادية بحتة قائمة على كسب المغانم والسعي وراء المطامع الدنيوية، ومنها التفسيرات القومية القائلة بأن خروج العرب هذه المرة مبعثه الأساس تبلور الشعور القومي لديهم ورغبتهم في جمع ابناء عمومتهم وتحرير أرضهم من الهيمنة الأجنبية، مرجحينه على غيره من الأسباب. وهناك من عدّ الظروف التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووقوع الردة في أرض العرب، ورغبة الخلافة الراشدة في التخلص مما عصفت بها من فتنة سبباً أساساً وراء الإنطلاق بعرب الجزيرة المسلمين صوب جبهات الفتح الجديدة.

ويأتي في طليعة الأسباب التي حدت بي لدراسة هذا الموضوع وشجعتني على البحث فيه الرغبة في الوقوف على الدوافع الرئيسية والأسباب الحقيقية للفتوحات الإسلامية، من خلال ما تقدمه المصادر الأساسية اعتماداً على عرض وجهة النظر الرسمية (الخلافة وعمالها وقادتها) ودراستها من أكثر من زاوية انطلاقاً من أن الحدث التاريخي هو حصيلة أكثر من سبب في عين الوقت، وعدم

النظر إليها نظرة أحادية، بل محاولة تقديم رأي حيادي بعيد عن الاهواء والميول الشخصية قدر الإمكان.

إلى جانب ذلك فإن هذا الموضوع لم يبحث في رسالة جامعية على حد معلوماتي المتواضعة ولم تكتب فيه دراسة تعتمد نقد وتحليل الروايات التاريخية، والتعليق عليها وابداء الآراء المنطقية المقبولة حولها، بغية قول الكلمة الفصل في تفسير دوافع الفتوحات[1].

لابد من الإشارة إلى أنني اعتمد في دراستي هذه على عرض دوافع الفتح من خلال ما قدمته الروايات التاريخية المتعلقة بالفتوح بعيداً عن التتبع العسكري التفصيلي لسير المعارك واحداث الفتح إلا فيما يتعلق بالمحافظة على التسلسل التاريخي للأحداث.

وتوزعت هذه الرسالة بأربعة فصول يسبقها تمهيد بينت فيه ماهية مفهوم الفتح ودلالاته اللغوية والأصطلاحية، وبيان السمة العالمية للرسالة الإسلامية بوصفها موجهة من الله تعالى إلى البشرية جمعاء، اعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

تناولت في الفصل الأول دراسة دافع الجهاد في سبيل الله تعالى بعدة مباحث أوضحت فيها معاني الجهاد اللغوية والاصطلاحية وأنواعه وفضيلته وجزاء المجاهدين والمراحل التاريخية لتشريعه، ومن ثم الدخول إلى صلب الموضوع بعرض وتحليل لدافع الجهاد في فتوحات العهد النبوي والراشدي والأموي.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة الدوافع الاقتصادية متضمناً عرضاً ملخصاً للحياة الاقتصادية في شبه جزيرة العرب. لاسيما في المناطق التي كان لها دور بارز في الفتوحات في مبحث منفرد، ودراسة جوانب من الحياة الاقتصادية

---

(1) من الجدير بالذكر أن هناك دراسة مقتضبة لموضوع دوافع الفتوحات الإسلامية قدمها عبد الجبار منسي العبيدي بعنوان "الفتوحات العربية الإسلامية ودوافعها" في مجلة المؤرخ العربي، العدد 14 لسنة 1980م، ص 290- 295.

لبعض البلدان المفتوحة التي كان لعرب شبه الجزيرة اتصال بها مثل العراق والشام ومصر، ومن ثم تحدثت عن الغنائم وعلاقتها بحركة الفتح في العصرين الراشدي والأموي.

وتضمن الفصل الثالث عرض وتحليل الدوافع القومية من خلال تتبع الوجود العربي في الأقاليم المحررة لاسيما العراق والشام وأقليم الجزيرة الفراتية ومصر، إضافة إلى بيان مظاهر الحس القومي العربي قبل الإسلام، الذي كان له أكبر الأثر في وقوف اولئك العرب إلى جانب العرب المسلمين في معارك الفتح وهو ما تم تناوله في مبحث آخر.

وفي الفصل الرابع تطرقت إلى دراسة التحديات الأجنبية الخارجية الموجهة ضد الإسلام والموجبة للرد عليها منذ أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفي العصرين الراشدي والأموي على عدة جبهات بوصفها واحدة من دوافع الفتوحات الإسلامية.

وتضمنت الرسالة خاتمة خصصت لعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الرسالة، فإن أصبت فبتوفيق من الله تعالى وإن أخطأت فمن نفسي، فكل ابن آدم خطاءون، وما هي إلا خطواتي الأولى على طريق البحث العلمي.

أما عن المصادر والمراجع التي أفدت منها في إنجاز رسالتي هذه فهي متعددة ومتنوعة يأتي في مقدمتها القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الصحاح إلى جانب كتب الفتوح والتواريخ العامة وكتب التواريخ المحلية وكتب الفقه والأدب وغيرها.

يعد كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري (ت 279هـ / 892م) من أهم مصادر الفتوح التي أغنت عموم فصول الرسالة بالمعلومات المتنوعة، وعلى الرغم من ايجاز معلوماته لسعة المساحات الجغرافية التي تعرض لذكرها، إلا أنها مفيدة جداً لاسيما في فتوح السند واخبار الحملات البحرية الرومية على السواحل الإسلامية بوصفها ضرباً من التحديات الموجبة للرد عليها، فضلاً عن ايراد بعض الروايات

التي تعكس الجوانب الإنسانية للمسلمين في تعاملهم مع أهل البلدان المفتوحة وتوضح جانباً مهماً من جوانب انفاق عائدات الفتح على البلدان المفتوحة نفسها وإصلاح أوضاعها الداخلية.

وكان لمؤلفات ابن عبد الحكم (ت 257هـ/ 871م) "فتوح مصر وأخبارها" "فتوح مصر والمغرب" دور في رفد الرسالة بمعلومات تتعلق بفتوح مصر والمغرب، لاسيما مسألة لقاء الصحابي القائد عمرو بن العاص بالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وتوضيحه له أهمية فتح مصر وما بعدها بالنسبة للمسلمين وما تحمله تلك الرواية من دلالات على مقدار التحدي الموجب للفتح والأهمية الاقتصادية إلى جانب الجهاد وايصال دعوة الإسلام إلى هناك، كما اورد العديد من الروايات المتعلقة بابراز مظاهر التحدي الرومي في مصر اعتماداً على عائدات الفتوح.

أما كتاب "الفتوح" لابن اعثم الكوفي (ت 314هـ/ 926م) فقد قدم الكثير من الروايات التي أغنت هذه الرسالة، كالروايات المتعلقة بعلاقة قبائل ربيعة العربية بالفرس شرقي الجزيرة العربية قبل الإسلام ومطلع الفتوحات، ومقارعة ابناء القبائل الأخرى للفرس في الأُبلة والبصرة، إذ افادت في فصل الدوافع القومية، كما وقدم معلومات مفصلة عن فتوح المسلمين على جبهة أرمينية وأذربيجان وجهاد الأمير مسلمة بن عبد الملك على جبهة القسطنطينية قد غاب ذكرها أو ذكرت بايجاز في المصادر الأخرى.

وأفدت من مؤلفات الواقدي (ت 207هـ/ 822م)، على الرغم مما يؤخذ عليها من مآخذ تتمثل بغياب السند التاريخي في اغلب رواياته واعتماد الأسلوب السردي القصصي كما هو الحال في كتاب (فتوح الشام) الذي أورد رواية مهمة تتحدث عن عزم الرسول (صلى الله عليه وسلم) على فتح الشام والشروع بسياسة الجهاد والفتح، لم يرد ذكرها فيما سواه من المصادر، وكان لكتاب (فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان) الأسهام ببعض الروايات التي تبرز الدوافع الجهادية لفتح

العديد من المناطق وكذلك غيرة من حسنت توبته من المرتدين على دينه وعروبته إلى جانب روايات أخرى تتعلق بحجم التحدي الفارسي للإسلام والمسلمين.

ومن كتب التاريخ العامة "تاريخ الرسل والملوك" للطبري (ت 310هـ/ 922م) الذي أفادني افادة كبيرة وبعموم فصول الرسالة، لاسيما ما يتعلق بفتوح المسلمين للعراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام، إذ انفرد بإيراد رواية تتعلق بسبب اندفاع المسلمين لفتح اقليم ارمينية إلى جانب تفنيده لبعض الروايات التي تحدثت عن فتح خالد بن الوليد لمناطق الأُبلة والبصرة وايراد العديد من الروايات المتعلقة بموقف القبائل العربية تجاه المسلمين في العراق التي أفادت في إغناء فصل الدوافع القومية إلى جانب إيراده الخطب الجهادية لقادة الفتح والتي لم ترد عند غيره من المصادر الأخرى.

وعززت الروايات الواردة في "تاريخ اليعقوبي" لابن واضح اليعقوبي (ت 284هـ/ 898م) جوانب مهمة من فصول الرسالة، لاسيما موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سبايا الردة العرب وما يعكسه من معاني انسانية عروبية سامية، إلى جانب انفراده براوية تشير إلى وصول الجنيد بن عبدالرحمن إلى أرض الصين ودعوته ملكها إلى الإسلام في خلافة هشام بن عبدالملك.

وأغنت الكتب الأدبية فصول الرسالة بالعديد من الإشارات لاسيما كتابي "العثمانية" و "البيان والتبيين" للجاحظ (ت 255هـ/ 868م) وكذلك ديوان الأعشى الكبير (ت 8 هـ/ 629م) وديوان أمية ابن ابي الصلت، والنقائض لابي عبيدة (209هـ/ 824م)، والأغاني لابي الفرج الأصفهاني (ت 356هـ/ 966م)، وكذلك الكتب الفقهية مثل "الخراج" لابي يوسف (ت 182هـ/ 798م) و "الخراج" لابن آدم (ت 203هـ/ 188م)، والأموال لأبي عبيد (224هـ/ 838م).

أما عن المراجع الحديثة التي أفدت منها، كتاب مقدمة في تاريخ صدر الإسلام للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري للأستاذ الدكتور صالح احمد العلي و

Muhammad and Conquests of Islam لمؤلفه Gabreili وكتاب The Muslim
Conquest of Northren Mesopotamia لمؤلفه Posner وغيرها من المراجع
الحديثة.

تمهيد

قبل الحديث عن دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي أجد من الضروري أن أبحث في العلاقة بين الأسس والمبادئ التي استند عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في نشر الدعوة الإسلامية وحركة الفتوح، تلك الحركة التي حمل العرب المسلمون بوساطتها ومن خلالها رسالة الإسلام السامية إلى الشعوب الأخرى، وحرروا عن طريقها أراضي عربية محتلة واقوام مستعبدة، لذا لا يمكن الفصل بين تلك الفتوح والرسالة الإسلامية وأهدافها وغاياتها التي جاءت من أجلها.

وقبل الدخول في العوامل الأساسية التي حدت بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى القيام بنشر الدعوة الإسلامية خارج جزيرة العرب، لابد من التعريف بمعاني الفتح التي وردت في القرآن الكريم.

وردت لفظة "فَتَح" في اللغة العربية لتعطي معاني عدة، منها: الفتح نقيض الأغلاق، والفتح بمعنى الماء الجاري على وجه الأرض وقيل تعني النصر والحكم بين الخصمين وافتتاح دار الحرب(1). ولعل المعنى الأخير هو ما نرمي إليه بعملنا هذا.

وفي الآيات المكية والمدنية على السواء جاءت لفظة "فتح" واشتقاقاتها في أكثر من موضع وبأكثر من معنى(2)، فقد وردت بمعنى الفتح نقيض الإغلاق كقوله

---

(1) ينظر: ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا ت، 2/ 536- 450 مادة فتح.

(2) ينظر الآيات: إبراهيم آية 15، الأنعام آية 44، النساء آية 141، المائدة آية 52، الفتح آية 1، 18، 27، الصف آية 13، الحديد آية 10، النصر آية 1، 2.

جل ثناؤه: ((حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ))[1] وقوله عز وعلا: "ففتحنا السماء بماء منهمر"[2]، ووردت بمعنى الحكم بين الخصمين في قوله تعالى: ((رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ))[3]، وقوله تعالى: ((قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ))[4]، وبمعنى استنصروا في الآية الكريمة: ((وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ))[5] وبمعنى النصر في قوله عز وجل: ((الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ...))[6] و ((فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ))[7] و ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا))[8]، ووردت لتعني نصر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديبية عام 6هـ/ 627م إذ عبر الحق تعالى بلفظة (الفتح) عن النصر الذي ارتبط به فتح مكة الذي طالما أنتظره المسلمون، وبشروا به في قوله عز وجل: "((وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ))[9].

([1]) المؤمنون آية 78 في تفسيرها ينظر القرطبي، ابي عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، (بيروت 1965)، 2/ 143.

([2]) القمر آية 49، ينظر ايضاً الأنعام/ 44، الحجر/ 14، يوسف/ 65، الأعراف/ 40، 96، فاطر/ 2، النبأ/ 19، الزمر/ 71، الأنبياء/ 96، في تفسير هذه الآيات ينظر: القرطبي، المصدر السابق، 17/ 131، 426/6، 10/ 18، 224/9، 7/ 206، 253/7، 321/4، 176/19، 71/3، 73، 284/15- 285، 11/ 341.

([3]) الأعراف آية 89، ينظر في تفسيرها: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في معاني القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، عن نسخة المطبعة الاميرية ببولاق، مصر 1978، 3/9.

([4]) سبأ آية 26، السجدة آية 28، ينظر الطبري، جامع البيان، 65/22- 66، 21/ 73.

([5]) ابراهيم آية 15، ينظر الطبري، جامع البيان، 19/ 129.

([6]) النساء آية، 140، ينظر الطبري، جامع البيان، 213/5.

([7]) المائدة آية 52، ينظر الطبري، جامع البيان، 181/6.

([8])الفتح آية1، الطبري، المصدر السابق، 42/26- 45.

([9]) الصف آية 13، الطبري، جامع البيان، 18/ 59.

وعلى ما يبدو أن مفهوم (الفتح) بات يعني- بعد فتح مكة المكرمة وارتفاع شأن دولة الإسلام في المدينة المنورة- افتتاح دار الحرب وتحويلها داراً للإسلام بعد ان كانت داراً للشرك[1].

وعلى الرغم من نزول رسالة الإسلام السماوية في أرض العرب وبلسانهم وتناولها مشاكل وتناقضات ذلك المجتمع الذي انزلت فيه، وتعبيرها عن تطلعاته، إلا أنها رسالة تتميز بالصفة العالمية والشمولية لكل البشرية[2]، ولم تكن مقصورة على العرب وحدهم بل للعالم بأسره إذ أن الإسلام يدعو إلى وحدانية الله تعالى في السماوات والأرض والى عبادة الناس له عز وجل وحده[3]، وهي حقيقة أوضحتها الآيات القرآنية- لاسيما المكية قبل المدنية- كقوله تعالى: ((إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ))[4] ((وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ))[5] وغيرها[6]، واذا كنا قد خصصنا الآيات المكية بالذكر دون المدنية فإن ذلك يأتي للرد على بعض الآراء الاستشراقية المنكرة للصفة العالمية لرسالة الإسلام، إذ ينقل ارنولد عن ميور قوله: "أن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد وان هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض أنه فكر فيها فقد كان تفكيره تفكيراً غامضاً فإن عالمه الذي كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ إلا لها وان محمداً لم يوجه دعوته منذ بعث

([1]) ينظر القرطبي، الجامع، 260/16- 261، 20/ 230- 234.

([2]) ينظر مثلاً: يوسف/ 104، النحل/ 44، سبأ/ 28، الفرقان/1، النساء/ 79، الانبياء/ 107، الاحزاب/ 40، ص 87- 88.

([3]) قال تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)) الانبياء آية 22، للمزيد ينظر أيضاً أرنولد، سير، ت. و، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وآخرون، ط3، مط الشبكتي بالأزهر، (مصر بلا ت)، ص 32.

([4]) يوسف آية 104.

([5]) الأنعام آية 19.

([6]) الفرقان آية 1، ابراهيم آية 1، سبأ آية 28.

إلى أن مات إلا للعرب دون غيرهم، وهكذا نرى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست ولكنها إذا كانت قد اختمرت ونمت بعد ذلك فإنما يرجع إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج"[1]، وكذلك ما نادى به كارل بروكلمان[2] وغيرهم[3].

وإذا كان هؤلاء قد انكروا عالمية الرسالة وأنكروا كون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد فكر منذ البداية بنشر الإسلام بين الأمم الأخرى، فإن كتب الحديث الصحاح والسيرة النبوية تقدم دلائل أخر تثبت خطل ما ذهبوا إليه- إلى جانب الآيات المكية المنزلة في زمن مبكر من عمر الدعوة- فقد روي ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي:.... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة.." [4]، وفي رواية أخرى "وبعثت إلى الأحمر والأسود"[5]، واخبر (صلى الله عليه وسلم) بني عبدالمطلب ذلك بقوله: "والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة"[6] وبهذا يكون المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قد صرح بجلاء ان الإسلام لم يكن

---

(1) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 35.

(2) تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، ط9، دار العلم للملايين، (بيروت، 1981م)، ص 70- 71.

(3) A.L.TIAWI, Christians under Muhammad and his first two Caliphs, The Islamic Quarterly, VOL. 6, (London 1961), PP. 30- 32.

(4) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، 1981م، 5/3؛ الدارمي، ابو سلمان محمد بن عبد الله، سنن الدارمي، دار الفكر، (بيروت، بلا ت)، 22/2، ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن حجر، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، (بيروت بلا ت)، 53/31.

(5) مسلم، الصحيح، 3/5.

(6) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية انسان العيون في سيرة الامين والمأمون، مط الاستقامة، (القاهرة 1962م)، 1/ 311.

ديناً للعرب وحدهم، وقبل ان يدور في خلد العرب المسلمين وتفكيرهم أي شيء يتعلق بالفتح منذ زمن بعيد.

وان كتبه (صلى الله عليه وسلم) إلى الملوك والأمراء التي دعاهم فيها وشعوبهم من خلالهم إلى الإسلام[1] ونبوءاته (صلى الله عليه وسلم) بالفتح المعلنة أكثر من مرة[2] خير شاهد على ما نذهب اليه، ورداً على ما انكره اولئك المستشرقون الذين اعتمدوا مسألة عدم ورود أي ذكر لرسائله (صلى الله عليه وسلم) في المصادر الكلاسيكية حجة يدعموا فيها اراءهم في الانكار[3].

وعليه فإن اعتماد من ينكر عالمية الإسلام على قول الله عز وجل: " وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"[4] أو قوله جل ثناؤه: "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ"[5] أو " وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا"[6] لا يبرر ما ذهبوا اليه ذلك لانه من الطبيعي ان يتجه النبي (صلى الله عليه وسلم) اول ما يتجه في دعوته إلى عشيرته وابناء عمومته من حوله من سائر العرب، لأن الإسلام قد نزل بين ظهرانيهم، ولأنه يتعذر على الرسول (صلى الله عليه وسلم) دعوة الأمم الأخرى وأهل جزيرة العرب يدينون

([1]) عن تفاصيل المناقشات التي دارت عن رسائله (صلى الله عليه وسلم) وصحتها وعلاقتها بعالمية الدعوة الإسلامية، ينظر: ابراهيم، د. عز الدين، الدراسات المتعلقة برسائل النبي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23 لسنة 1983م، ص 239- 253.

([2]) ينظر: البخاري: الصحيح بشرح ، ط2، (لبنان 1981م)، 232/16؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 8/ 127.

([3]) غير أن الاستاذ محمود شيت خطاب في كتابه السفارات النبوية أكد ان جيبون في كتابه انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية قد نقل خبر رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل معتمدا في ذلك على مصادر يونانية متعددة، ينظر: السفارات النبوية، مط المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1989م)، ص 93.

([4]) الشعراء، آية 214.

([5]) الأنعام، آية 92.

([6]) الزخرف آية 43- 44.

بالشرك وعبادة الأوثان مشكلين اكبر خطر على الإسلام الذي جاء أساساً لخلع الانداد ونبذها وعبادة الله عز وجل دون سواه، وعلاوة على ذلك فإن كل دعوة دينية أو اخلاقية أو أية دعوة ذات أهداف وغايات عالمية لا يمكن ان تبدأ من الدائرة الأوسع وتؤكد عليها لتصل إلى الاضيق والأصغر، بل العكس هو الصحيح لانه ينسجم مع لغة العقل والمنطق، كما ان المعاني الإنسانية السامية والقيم الأخلاقية والدينية النبيلة التي حملها الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان وإن انبثقت في المجتمع العربي ومنه ولمعالجة مشكلاته إلا انها بلا شك تعبر عن حاجات الإنسانية الأساسية طالما برهنت عن عمق تجربتها وصدق إفصاحها عما يعانيه الإنسان(1).

وبناءً على ما تقدم فإن الإسلام ومنذ الأيام الأولى للبعثة النبوية تميز بأنه دين دعوة من الناحية النظرية والتطبيقية(2)، لذا لم يكن أمام المسلمين خيار إلا الانطلاق به ونشره بين الناس جميعاً تنفيذاً للأوامر الإلهية(3) ومصداقاً لنبوءات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (4) بالفتح.

---

(1) العيسمي، شبلي، عروبة الإسلام وعالميته، ص 122- 123.

(2) أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 18.

(3) النحل آية 44، سبأ آية 28، الأعراف آية 158.

(4) ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 219/6.

الفصل الأول

دافع الجهاد في سبيل الله تعالى

الفصل الأول

دافع الجهاد في سبيل الله تعالى

الجهاد لغةً واصطلاحاً

الجهاد لغةً:

الجَهْـدُ- بفـتح الجـيم- المشقة والجُهْدُ- بضم الجيم-: الطاقة[1]، وقريء " وَالَّـذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ "[2]، أي طاقتهم ويقال أجْهَدْ جَهْدكَ في هذا الأمر أي ابلـغ غايتك ولا يقال جُهدك، والجَهْدُ المشقة كالقول: "جَهدَ دابته وأجَهَدَها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها"[3].

الجهاد اصطلاحاً:

أما الجهاد- بكسر الجيم لغةً- المبالغة في قتال العدو واستفراغ ما في الوسع والطاقـة في حربة بالفعل واللسان[4]، والجهاد شرعاً هو بذل الجهد في قتال الكفار والأصـل فـيه آيـات كقوله تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ" [5] و " قَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً"[6] [7].

([1]) ابن منظور، لسان ا لعرب، 133/3.

([2]) التوبة آية 79.

([3]) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطـار، ط4، دار العلـم للملايين، (بيروت 1987م) 2/ 46، ينظر: خطاب، محمود شيت، قاموس المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، ط1، دار الفتح للطباعة، (بيروت 1966م)، 16/1.

([4]) ابن منظور، لسان العرب، 3/ 135.

([5]) البقرة آية 216.

([6]) البقرة آية 36.

([7]) عطـية، عطـية عـبد الرحمن، عدة المجاهدين في الكتاب والسنة، لجنة التعريف بالإسلام، (القاهرة 1979م) ص6.

أنواع الجهاد:

وفـــي رأي أهــل العلــم ان الجهاد على ثلاثة أصناف[1]: جهاد الكفار: وهو الجهــاد الــذي أشار اليه الله عزّ وجل بقوله: " يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَــوْمَةَ لائم"[2]، والجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى: " وَجَادِلْهُم بِالَّتِــي هِــيَ أَحْــسَنُ"[3]، ومجاهدة النفس الأمّارة بالسوء كما في قوله عزّ وجلّ: " وَالَّــذِينَ جَاهَــدُوا فِيــنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"[4] وذلك بجر المسلم لما نهي الله جلّ وعلا عــنه[5]، تحقيقاً لموعود الله تعالى بالجنة لقوله جلّ ثناؤه: " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى"[6].

إن الذي يعنينا هنا هو مجاهدة الكفار بالحجة والبيان[7]، والمال والنفس[8]، إذ قــد يكــون الجهــاد باللسان لقوله تعالى: " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"[9]، وقوله عز وعلا: " فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِــهِ جِهَادًا كَبِيرًا"[10] ما دام الرأي أحياناً أبلغ من القتال[11]، وهو ما "أجمعت عليه

([1]) الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد، مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1982م)، ص22.

([2]) المائدة آية 54.

([3]) النحل آية 125.

([4]) العنكبوت آية 69.

([5]) أبي داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الحديث، (القاهرة 1988م)، 4/3.

([6]) النازعات آية 40- 41.

([7]) ينظر: النحل آية 125.

([8]) ينظر: الأنفال/ 72، التوبة الآيات/ 41، 44، 81، الحجرات/ 15، الصف/ 10-11، النساء/ 95.

([9]) النحل آية 125.

([10]) الفرقان آية 52.

([11]) ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد، العقد الفريد، ط2، تحقيق احمد أمين وآخرون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1948م)، 1/ 93.

الحجـــة من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يقاتل اعداءه من أهل الشرك إلا بعـــد إظهـــاره الدعوة وإقامة الحجة وأنه (صلى الله عليه وسلم) يأمر أمراء سراياه بدعوة من لم تبلغه الدعوة[1]، فقد روي عنه (صلى الله عليه وسلم) قال موجهاً أحد أمراء سراياه: "إذا لقيت عدوك من المشركين أدعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو – خلال- فأيتها أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام"[2]، مؤثراً السلامة والجهاد بالحجة على القتال وهو ما عبر عنه (صلى الله عليه وسلم): "لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية"[3] كارهاً اللجوء إلى القوة.

ويعـــد إنفـــاق المال في سبيل الله تعالى وسيلة أخرى من وسائل الجهاد وهو ضـــرورة لازمة لأنه متمم له ومرتبط به، وقد أشارت الآيات القرآنية إلى ذلك في أكثـــر من موضع، كقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّـــنْ عَـــذَابٍ أَلِـــيمٍ {10} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[4]، إذ ربط الله عز وجل ما بين الإيمان بالله ورســـوله والجهاد بالمال والنفس وجعل عاقبة ذلك النجاة من العذاب، وهذا الإنفاق يـــشمل ربط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وبالمقابل فقد ربط الشرع الإسلامي بين الفرار من القتال[5] والتهرب من بذل المال[6]، إذ وعد مرتكبهما بغضب من الله

([1]) الطبـــري، محمد بن جرير، كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء، عني بنشره: يوسف شخت، 1933، ص 2.

([2]) مسلم، الصحيح بشرح النووي، 2/ 45- 46، ابي داود، السنن، 42/3، ابن ماجة، ابي عبدالله محمـــد بـــن يـــزيد القزويني، سنن ابن ماجة، حقق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، (بيروت بلا ت)، 2/ 953.

([3]) مـــسلم، الصحيح، 6/12، الحاكم، ابو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، (بيروت بلا ت)، 2/ 78.

([4]) الصف الآيات 10-11.

([5]) الأنفال آية 16.

([6]) التوبة آية 34.

عز وجل وعذاب اليم فعلق الشرع الأمر هنا بين القتال الذي يقتضي الشجاعة وبين الإنفاق الذي يعني السخاء[1].

ويعد الجهاد بالنفس هو الآخر من وسائل مجاهدة الكفار وقد ورد مقروناً مع الجهـــاد بالمـــال في مواضع متفرقة من آي الذكر الحكيم[2]، وهو ما يمثل الجانب العملـــي من الجهاد من خلال مشاركة المسلم مجاهداً بيده مضحياً بنفسه، وقد حض الله عـــز وجـــل المؤمنـــين علـــى الجهاد بالنفس استنقاذاً للمستضعفين من النساء والـــولدان- المسلمين- من أيدي المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويحاولوا فتنتهم عن دينهم[3].

وأكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة الجهاد بالنفس إلى جانب الوســـائل الأخـــرى بقـــوله: "جاهدوا بأموالكم وأنفسكم"[4] وقوله: "أمرت أن أقاتل المـــشركين"[5] ومـــن خلالـــه (صلى الله عليه وسلم) المؤمنين كافة، أي مجاهدتهم بالـــسيف والسلاح وهو ما أشار إليه الطبري عند تفسيره قول الحق عز وعلا: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ.. " [6].

وأمـــا مكانـــة الجهـــاد فتتجلى من خلال الوصف الرباني لأولئك المجاهدين بأنفـــسهم وأموالهم بأنهم الصادقون[7]، وإنهم أفضل من القاعدين غير أولي الضرر

([1]) ابـــن تيمـــية، تقي الدين احمد بن عبد الحكم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، راجعه وعلق عليه محمد عبد الله السمان، مكتبة المثنى، (بغداد بلا ت)، ص 53- 54.

([2]) ينظـــر الآيات: الأنفال/ 72، التوبة/ 20، 41، 44، 81، 88، الحجرات/ 15، الصف/ 10- 11، النساء/ 95.

([3]) القرطبي، الجامع، 5/ 279.

([4]) النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وبحاشيته الإمام الجليل السندي، دار القلم، (بيروت بلا ت)، 7/6.

([5]) ابي داود، السنن، 45/3.

([6]) جامع البيان، 10/ 126- 127، التوبة آية 73.

([7]) الحجرات آية 15.

بدرجة[1]، أي بفضيلة واحدة وذلك ثواباً لجهادهم بأنفسهم[2]، وفضلهم على القاعدين بالأجــر العظيم[3] أي بالدرجات والمغفرة والرحمة[4]، وأثابهم الله عز وجل غفراناً لذنوبهم وأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار[5]، ووعدهم بان لهم الخيرات وعدّ المجاهدين هم المفلحون[6]، واعلم عز وعلا على لسان نبيه (صلى الله عليه وسلم) انه ضمن لمن يخرج مجاهداً ان يدخله الجنة إذا قتل أو توفي أو يرجعه إلى مسكنه بالأجر والغنيمة[7]، وإلا يجتمع غبار في سبيل الله تعالى ودخان جهنم في جوفه[8]، إزاء ذلــك كله ولان الله تعالى جزى المجاهدين خصلة يحبونها في الجهاد وهي " نَــصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ"[9]، كان المؤمنون على عهد رسول الله (صلى الله عليه وســلم) ينفــرون خفافــاً وثقالاً عند النداء إلى الجهاد وهذا هو حالهم فيما بعد كما سنرى لاحقاً.

غاية الجهاد (القتال) في الإسلام وفضيلته:

ارتــبط مفهوما القتال[10] والغزو[11] ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الجهاد وقد اعطيا نفس الدلالة المعنوية، ويتضح من ذلك بقوله تعالى: " الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

([1]) النساء آية 95.

([2]) الطبري، جامع البيان، 5/ 146.

([3]) النساء آية 95.

([4]) الطبري، جامع البيان، 146/5.

([5]) ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مط المصرية، (مصر 1938م)، 2/ 58- 59.

([6]) التوبة آية 88.

([7]) النسائي، السنن، 119/7.

([8]) النسائي، السنن، 12/6.

([9]) الصف آية 13، ينظر: ابن قيم، زاد المعاد، 59/2.

([10]) ينظر الآيات: الأحزاب /2625، محمد (صلى الله عليه وسلم)/ -20، الحديد/10، ومواضع أخرى، في المعنى اللغوي والاصطلاحي ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 547/11- 552.

([11]) آل عمران آية 156؛ ينظر: الجوهري، الصحاح، 6/ 26.

اللّـــهِ وَالّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطّاغُوتِ"[1]، و" يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَـــا مَاتُـــواْ وَمَـــا قُـــتِلُواْ.." [2] وقد فسر لفظ (غُزًّى) بأنه يعني غزاة في سبيل الله تعالـــى[3]، وفي الحديث النبوي الشريف "اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله"[4] وغيره من الأحاديث[5].

وغاية الجهاد الأولى حماية العقيدة والدفاع عنها بعد إبلاغها من خلال مدافعة المـــسلمين للمـــشركين، مثلما أشار إلى ذلك قوله عز وجل: " وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْــضَهُم بِــبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ"[6] " حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[7] أي "فقاتلوهم حتى لا يكون مشرك ولا يعــبد إلاّ الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض ويكون الدين كله لله"[8].

ورويـــت أحاديـــث عـــن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوضحت غاية- الجهـــاد ووســـائله- نحو قوله (صلى الله عليه وسلم): "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه

([1]) النساء آية 76؛ ينظر في تفسيرها: القرطبي، الجامع، 5/ 280.

([2]) آل عمران آية 156.

([3]) الطبري، جامع البيان، 97/4.

([4]) ابن ماجة، السنن، 953/2- 954؛ مسلم، الصحيح، 12/ 37.

([5]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 48/6.

([6]) الحج آية 40، البقرة آية 251.

([7]) البقرة آية 193.

([8]) الطبري، جامع البيان، 17/ 124- 126.

علـــى الله"[1] و "اغــزوا بـــسم الله قاتلوا من كفر بالله... ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابــوك فاقبل منهم وكف عنهم"[2] و " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في ســبيل الله"[3]، أي لا يكون في سبيل الله تعالى إلا من كان سبب قتاله طلباً لإعلاء كملــته تعالى فقط، أي دعوته عز وعلا إلى الإسلام بمعنى انه إذا أضاف إلى ذلك ســبباً مــن الأسباب المذكورة في نص الحديث أخل بذلك وقد لا يخل إذا ما حصل ذلك ضمناً لا أصلاً ومقصوداً[4].

والظاهــر ممـــا تقدم أن غاية الجهاد في الإسلام إعلان الدين ونشره وإخماد الكفــر ودحــضه[5]، وجعل كلمة الله تعالى (الإسلام) هي العليا[6] إلى جانب حماية المسلمين خشية الافتتان في دينهم[7].

وعــن فصيلة الجهاد فهو عند الله عز وجل أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وهي أعمال عظمها مشركوا قريش قبل الإسلام وقدسوها[8]، وهو الــتجارة الــرابحة المنجية من العذاب الأليم[9]، وهو الوسيلة التي حضّ الله تعالى عباده على ابتغائها للفوز بالآخرة[10]، وأشار الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى أنه لا شـــيء أفضل من الجهاد إلا الفرائض الخمس[11]، وعدّه رهبانية هذه الأمة[12]،

([1]) مــسلم، الــصحيح، 210/1؛ الشيباني، محمد بن الحسن، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مصر 1957م)، 150/1.

([2]) ابن ماجه، السنن، 2/ 953- 954؛ مسلم، الصحيح، 1/ 37؛ ابي داود، السنن، 37/2.

([3]) ابن ماجة، السنن، 2/ 931؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 27/6.

([4]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 27/6- 28.

([5]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 4/6.

([6]) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص 124.

([7]) القرطبي، الجامع، 218/5.

([8]) التوبة آية 19.

([9]) الصف الآيات 10-11.

([10]) المائدة آية 35.

([11]) الشيباني، كتاب السير، 1/ 15.

([12]) ابــن المــبارك، عبد الله، كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، دار النور، (بيروت 1971م)، ص35- 36؛ ينظر ايضاً الشيباني، المصدر السابق، 49/1.

وســياحتها[1] وذروة ســنام الإســلام[2] وأنه يأتي بالمرتبة الثانية بعد الإيمان بالله تعالى[3].

المراحل التاريخية لتشريع الجهاد:

أشــارت السور القرآنية والأحداث التاريخية إلى أن الجهاد (القتال) في سبيل الله تعالى قد تدرج بر عمر الدعوة الإسلامية، ففي الدور المكي كان الرسول (صلى الله علــيه وســلم) والمــسلمون مأمورين بالابتداء بتبليغ الرسالة والأعراض عن المــشركين[4] لقوله عز وجل " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ"[5]، ولما قدم عبد الرحمن بن عوف وأصحاب له الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمكة قالوا لــه "يانبي الله كنا أعزة ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة؟ فقال (صلى الله عليه وســلم) إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم"[6]، ثم نزل قوله تعالى: " فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِــيلَ"[7]، وعليه فقد كان المسلمون مطالبون بالصفح والصبر لقوله عز وجل: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ"[8] وقال الطبري مفسراً هذه الآية: "أن أصبر يا محمد على أذاهم وبلغهم رسالة ربك"[9]، ثم أمر الحق جل وعلا نبيه (صلى الله عليه وسلم) بمجادلة المشركين بالتي هي أحسن[10].

---

(1) الحاكم، المستدرك، 2/ 73.

(2) الحاكم، المستدرك، 2/ 76.

(3) الــنووي، محي الدين ابي زكريا بن مشرق، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار القلم، (بيروت 1970)، ص 375- 376.

(4) الشيباني، شرح كتاب السير، 1/ 188.

(5) الحجر آية 94؛ ينظر في تفسيرها، الطبري، جامع البيان، 46/14 وما بعدها.

(6) الطبري، جامع البيان، 108/5.

(7) الحجر آية 85.

(8) الروم آية: 60؛ ينظر ايضاً الأنعام/ 106، الأعراف/ 199، الحجر/ 85.

(9) جامع البيان، 38/21.

(10) النحل آية 125؛ العنكبوت آية 46.

وقـد ذكـر ابـن إسـحاق ان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) لم يؤذن له بالحرب قبل بيعة ا لعقبة الثانية إذ قال: "لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء وإنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قـد جعلـت من تبعه منهم بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم وهارب في البلاد"[1].

لم تشهد الفترة المكية أي عمل عسكري جاد ضد مشركي قريش ومن معهم، للأسباب آنفة الذكر سوى ما كان من أمر سعد بن أبي وقاص إذ ذكرت المصادر: انـه ضـرب رجلاً من قريش بلحي بعير فشجه[2]، وبذا يكون الجهاد الذي أباحته الآيـات القـرآنية في تلك الآونة جهادا بالحجة والبيان بدليل قوله عز وجل: " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا{51} فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا"[3].

دخل الجهاد مرحلة جديدة بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، حيث أُذِنَ للمسلمين بالقتال في قوله عز وجل: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"[4] وقد أشار الزهري إلى أنها أول آية نزلت في القتال"[5].

([1]) ابـن هشام، ابي محمد عبدالملك، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكـر ، 75/2؛ ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر دار بيروت، (بيروت 1957م)، 22/1.

([2]) ابـن هـشام، السيرة النبوية، 1/ 275، اللحي: هو منبت اللحية من الإنسان وغيره، ينظر: الجوهري، الصحاح، 2480/6.

([3]) الفرقان الآيات 51- 52.

([4]) الحج آية 22.

([5]) الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب، المغازي النبوية، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر (دمـشق 1981م) ص 150، النسائي، السنن، 2/6، البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر انساب الأشراف، دار المعارف، (مصر 1959م)، 286/1.

وعليه يكون القتال- الجانب التطبيقي للجهاد بالمال والنفس- قد جاء بعد الهجرة مباشرة غير أنه لم يكن فرضاً[1] وإنما إباحة، أما بعد معركة بدر التي حدثت في السنة الثانية للهجرة فقد امر الله تعالى المسلمين بقتال المشركين وذلك في قوله: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[2] إذ بينت هذه الآية وجوب قتال المشركين، والسبب في هذا أن الله عز وجل ((قال للمؤمنين به وبرسوله وأن يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر وانا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله)) [3].

وفي السنة السادسة للهجرة[4] أنزل الله تعالى قوله: " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {190} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ {191} فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {192} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّه فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {193} الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[5] بعد أن كان المسلمون قد خشوا ألا تفي قريش باتفاقها مع

---

(1) الشافعي، ابي عبد الله محمد بن إدريس، الأم، نسخة مصورة عن طبعة بولاق، (مصر 1321 هـ)، 84/4، ابن قيم، زاد المعاد، 2/ 58.

(2) الأنفال آية 39.

(3) الطبري، جامع البيان، 161/9- 163.

(4) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 3/ 355 وما بعدها؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر، أسباب النزول بذيل تفسير الجلالين، مكتبة محمد نهاد الكتبي، مصر بلا ت، ص246.

(5) البقرة الآيات 190- 194.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي تم في تلك السنة والذي نص على ان يخلوا الحـــرم ثلاثة أيام له (صلى الله عليه وسلم) ولأصحابه العام القادم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والأشهر الحرام.

لـــذلك كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة[1].

وبعـــد فتح مكة سنة (8هـــ/629م) أعلن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن إيقـــاف الهجرة إلى المدينة بقوله: "استقروا على سكناتكم فقد انقطعت الهجرة"[2] و "لا هجـــرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فأنفروا"[3]، وبذلك سقط فرض الهجرة وبقي فرض الجهاد[4]، وأمر (صلى الله عليه وسلم) ان تكون المبايعة على الإسلام والجهاد في سبيل الله[5].

وفـــي السنة التاسعة من الهجرة[6] أمر الله عز وجل المؤمنين بقتال الذين لا يؤمـــنون من أهل الكتاب بقوله: " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَـــرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[7]، لعدم إيمانهم بالله تعالى ومنازعتهم إياه في

---

(1) الطبري، جامع البيان، 110/2.

(2) ابو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت 1986م)، ص 30.

(3) ابـــي داود، الـــسنن، 3/3، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن شبة، ابو زيد بن عمر النميري، تـــاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط2، (مكة المكرمة 1979م)، 2/ 483-488؛ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 3/6.

(4) السامرائي، ومحمد، خليل إبراهيم وثائر حامد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، ط1، (الموصل 1984م)، ص 53.

(5) ابن سعد، الطبقات، 30/7.

(6) السيوطي، تفسير الجلالين، مكتبة محمد نهاد الكتبي، (مصر بلا ت)، ص 251- 252.

(7) التوبة آية 29.

صفاته وإشراكهم به وإنكارهم البعث الجسماني يوم القيامة وعدم تحريمهم ما حرم الله من الخمر(1) ولحم الخنزير(2) حتى يعطوا الجزية أذلاء.

وبذلك أصبح الجهاد- بالمال والنفس- عن طريق القتال متدرجاً في تشريعه: "مأذوناً ثم مأموراً به لمن بدأهم القتال ثم مأموراً به لجميع المشركين"(3)، وهكذا ثم فرض القتال، قال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ...." (4) وقد أشار الإمام الشافعي في حديثه عن هذه الآية قائلاً: ((ولما مضت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) مدة من هجرته انعم الله فيها على جماعات بإتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها ففرض الله عز وجل عليهم الجهاد بعد أن كان أباحة لا فرضاً))(5).

دافع الجهاد في فتوحات العصر النبوي

حاول النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنذ السنة الخامسة للهجرة أن يصرف اهتمامه إلى القبائل المقيمة شمالي المدينة المنورة على الطريق المؤدية إلى الشام، نشراً للإسلام في ربوعها(6) من خلال عدد من السرايا التي أرسلت في هذا الاتجاه(7)، ويمكن القول أن خططه (صلى الله عليه وسلم) تلك هي التي مهدت

---

(1) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين العمي، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع بهامش، جامع البيان، نسخة مصورة عن طبعة بولاق، (مصر 1978م)، 10/ 65- 67.

(2) السيوطي، تفسير الجلالين، ص 252.

(3) ابن قيم، زاد المعاد، 58/2.

(4) البقرة آية 216.

(5) الأم، 84/4- 85.

(6) ابن سعد، الطبقات، 2/ 72- 94.

(7) العلي، صالح احمد، الدولة في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مط المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1988م)، ص 248- 250.

للفتوحات أيام الراشدين، ومن أهم تلك السرايا سرية عبد الرحمن بن عوف[1] التي كانت موجهة نحو دومة الجندل[2] حال سماعه (صلى الله عليه وسلم) بتجمع بعض القبائل[3] للحيلولة دون امتداد الإسلام ووصوله إلى هناك، وقد بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) المقصد الحقيقي وراء تلك الغزوة بقوله: "اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله..." [4]، وقد سار عبد الرحمن وجنده حتى بلغ دومة الجندل ((فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام)) واستمر على ذلك ثلاثة أيام[5]، وهكذا نقل النبي (صلى الله عليه وسلم) الجهاد في سبيل الله تعالى بالدعوة إلى الإسلام خارج حدود شبه جزيرة العرب مستغلاً روح الانتصار المتقدة لدى المسلمين بعد عودة مشركي مكة خاسرين إثر معركة الخندق 5 هـ/ 626م.

وقرر (صلى الله عليه وسلم) إرسال سرية بقيادة مولاه زيد بن حارثة إلى مؤتة[6] قبيل فتح مكة 8 هـ/ 629م [7] لعدة أسباب في مقدمتها تنفيذ الأمر

---

(1) عبد الرحمن بن عوف: ابن عبد عوف بن عبد الحارث.. بن مرة القرشي الزهري كان احد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ومن المهاجرين الأولين إلى الحبشة والى المدينة وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة. ينظر: ابن الأثير، عز الدين بن الأثير ابي الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، (بيروت 1983م)، 376/3.

(2) دومة الجندل: موضع بين المدينة ودمشق على بعد سبع مراحل من دمشق، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت بلا ت)، 2/ 635.

(3) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط5، دار المعارف، (مصر بلا ت)، 2/ 564.

(4) ابي سعد، الطبقات، 2/ 89؛ بدران، عبد القادر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ط2، دار المسيرة، (بيروت 1979م)، 1/ 91.

(5) بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 91/1.

(6) مؤتة: وهي قرية من قرى البلقاء في حدود الشام من مشارف الشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 220/5.

(7) الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق، مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، عن طبعة اوكسفورد، (بيروت، 1966م)، 2/ 755.

الإلهي[1]: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً"[2] و " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِيــنُونَ دِيــنَ الْحَــقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"[3]، ومن أجل نشر الإسلام بين أبناء الأمة العربية، ولتصدي بعض حكام بــلاد الــشام لحملات المسلمين للتبشير بهذا الدين[4] ولقتل نائب هرقل على مؤتة رسول النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي بعثه إليه[5] فضلاً عن عدم استجابة الروم لدعــوته (صــلى الله علــيه وســلم) لهم إلى الإسلام التي بعثها في السنة السادسة للهجــرة[6]، وبذلك يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) قد نقل الجهاد مع الروم من مــرحلة الإقــناع بالحجة والبيان- أي الجهاد باللسان- إلى مرحلة القوة واستخدام السيف- الجهاد بالمال والنفس-.

([1]) ابــن كثيــر، ابو الفدا اسماعيل، الاجتهاد في طلب الجهاد، حققه وعلق عليه: د. عبد الله عبد الرحيم، ط2، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرباط 1981م)، ص 81.

([2]) التوبة آية 123.

([3]) التوبة آية 29.

([4]) الواقدي، المغازي، 752/2- 753.

([5]) ابــن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، عنيت بنشره مكتبة القدسي، (القاهرة 1356هــ)، 2/ 153.

([6]) الطبــري، تاريخ، 650/2؛ حول الرسائل النبوية إلى الملوك والأمراء ينظر: ابن حبيب، ابي جعفر محمد ابن حبيب، المحبّر، اعتناء د. إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة (بيروت بلا ت)، ص 75- 76؛ القلقــشندي، ابو العباس احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نــسخة مــصورة عن الطبعة الاميرية، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر بلا ت)، 376/6- 380، درمــنغهم، امــيل حياة محمد، ترجمة : عادل زعيتر، ط2، دار احياء الكتب العربية (مصر بلا ت)، ص 344.

وقــد خطــب (صلى الله عليه وسلم) ذلك الجند قائلا: "اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس فلا تعرَّضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف"[1].

يتبــين مما تقدم ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد عزم على نقل الدعوة الإســلامية خــارج الإطار الضيق لشبه جزيرة العرب محرراً أهل تلك البقاع من الشرك وآثاره وهو أمر أوضحته وصاياه لجنده وعزمه على نزع حالة الخوف من الروم التي كانت ربما قد هيمنت على نفوس المسلمين سابقاً، وممهداً لغزوات لاحقة تهدف إلى مد حدود الإسلام، يضاف إلى هذا انه سعى إلى ان يثبت لجميع المسلمين ان النــصر مــن عــند الله تعالى لمن يخرج مجاهداً في سبيله أعلاءً لكلمته راغباً بالشهادة دون هذا الأمر، وليس بكثرة عدد أو زيادة قوة وهو ما أوضحته إجابة عبد الله بــن رواحــة[2] لزيد بن حارثة عندما استشاره الأخير في أمر الكتابة إلى النبي (صــلى الله عليه وسلم) لأجل تعزيز قوتهم حيال جموع الروم، بقوله: "إنا لم نسر إلــى هــذه البلاد ونحن نريد الغنائم ولكنا خرجنا نريد لقاهم ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة"[3] وفي رواية أخرى: "والله ان الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتــل الــناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين.. انطلقوا فإنما هي أحــدى الحــسنيين إمــا الظهور وإما الشهادة"[4]، فصدّقه الناس في قوله وانطلقوا

([1]) الواقدي، المغازي، 2/ 758.

([2]) عــبد الله بن رواحة ابن ثعلبه بن امرئ القيس بن عمرو.. بن الخزرج الأنصاري، كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً وما بعدها حتى استشهد يوم مؤتة. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، طبعة جديدة بالاوفسيت، مكتبة المثنى، (بغداد بلا ت)، 2/ 306.

([3]) بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 99.

([4]) الــواقدي، المغــازي، 2/ 760؛ الطبري، تاريخ، 3/37– 38، الكلاعي، سليمان بن عبدالله، الأكــتفاء فــي مغــازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مط السنة المحمدية، (القاهرة 1970م)، ص 277، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ص 154.

للقتال[1] وان اندفاع قادة هذه السرية للشهادة في سبيل الله تعالى[2] مؤشرات حقيقية توضـــح البواعث التي من أجلها خرجوا للقتال وتعبر عن الموقف العام للمسلمين- آنذاك- الراغب بالجهاد ملتزمين بوصايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأوامره باعتـــباره القائد الأعلى لهم[3]، والتي تمثل رداً على ما ذكره بعض المستشرقين[4] مـــن أن الـــدين الجديـــد قد أشعل روح السلب أكثر من أن يهدئها ومحاولة تشويه الحقائق التاريخية.

ثم جاءت غزوة تبوك (9هـ/ 630م) هي الأخرى إذ قصد رسول الله (صلى الله علـــيه وســـلم) إعلانها للمسلمين في ((عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب وحـــين طابـــت الـــثمار والـــناس يحـــبون المقام على ثمارهم وإظلالهم ويكرهون الـــشخوص على حال من الزمان الذي هم عليه))[5]، تحمل دلالات جهادية فاختيار هـــذا التوقـــيت بالذات يبين عزيمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على معرفة من يثـــبت على مبادئ الإسلام ويفضل الجهاد ومن يتزعزع حباً للدنيا واستثقالاً لجبهة الـــروم إلا أن الـــشواهد أثبتت ان مقاصدهم لم تكن الغنيمة وحب الدنيا كما يصور البعض ذلك[6] بل العكس تماماً.

([1]) الكلاعي، الاكتفاء، ص 277.

([2]) الـــواقدي، المغـــازي، 2/ 759- 760؛ البوطي، محمد سعيد، فقه السيرة، ط3، دار الفكر، (لبنان 1973م)، ص 383- 384.

([3]) عـــن وصـــية الرســـول (صلى الله عليه وسلم) لقادة هذه الغزوة ينظر: الواقدي، المغازي، 2/ 758.

([4]) جيـــبون، ادوارد، اضـــمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: د. محمود سليم، مراجعة:محمد علي ابو درة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بلا ت، 3/74- 75.

([5]) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/196-170؛ الطبري، تاريخ، ط4، 3/101.

([6]) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية، ص 74- 75؛

Rodinson, Maxime, Muammad, penguin Book, (England, 1976), P.274.

وحال استنفار النبي (صلى الله عليه وسلم) القبائل واهل مكة المكرمة وحضّه إياهم على الجهاد وترغيبه لهم فيه[1] سارعوا إلى تلبيته محتسبين[2] فتبرع ابو بكر (رضي الله عنه) بكل ماله[3] وعمر (رضي الله عنه) بنصف ماله[4] وجهز عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ثلث الجيش[5] ومنهم من تبرع بكميات من الطعام[6] ومبالغ أخرى جلبها أعيان المسلمين[7] فضلاً عن تبرعهم بدوابهم[8]، وحتى النساء أسهمن بما قدرن عليه من المعونة[9]، وهكذا استطاع المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أن يحشد ثلاثين ألف مجاهد معززين بعشرة آلاف فرس رغم كل العوامل المثبطة لتنفيذ هذه الحملة.

وبذا يكون الجهاد في سبيل الله تعالى لنشر الإسلام الباعث الأول لهذه الحملة وهكذا صار الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيد جزيرة العرب وقائدها دون منازع[10].

---

(1) الواقدي المغازي، 3/990- 991؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 172، المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفده والمتاع، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1941م)، 447/1.

(2) الطبري، تاريخ، 102/3؛ ابن حبان، محمد بن احمد، الثقاة، ط1، مط دائرة المعارف العثمانية، (الهند 1975م)، 2/ 92.

(3) الواقدي، المغازي، 3/990- 991؛ الكاندهلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة، دار الفكر، (لبنان 1988م)، 345/1.

(4) الواقدي، المغازي، 3/990- 991.

(5) الواقدي، المغازي، 3/990- 991؛ الطبري، تاريخ، 102/3؛ الكلاعي، الاكتفاء، ص 377- 378.

(6) الواقدي، المغازي،3/990-991؛ الكاندهلوي، المغازي،346/1.

(7) الواقدي، المغازي، 3/990- 991.

(8) ابن هشام، السيرة النبوية، 172/4؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 447/1.

(9) الكاندهلوي، حياة الصحابة، 346/1.

(10) ابن كثير، الاجتهاد، ص 83.

دافع الجهاد في فتوحات العصر الراشدي

وضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخطوط العريضة للفتوحات الإسلامية من خلال تحركاته العسكرية- المشار إليها سابقاً- إذ رسم بنفسه الخطة التمهيدية[1] التــي اتــبعها الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) من بعده في تحرير العراق وبلاد الشام.

بعد تولي ابو بكر (رضي الله عنه) الخلافة (11-13هــ/ 632- 634م) كان الجهــاد في سبيل الله تعالى واحداً من الفروض المهمة التي أكدها في منهاج عمله اللاحــق، وهو أمر أوضحته خطبته الأولى في مسجد المدينة- حين تولى الخلافة- إذ قال: ((لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل))[2] جاعلاً منه احد أســس تكوين الدولة الجديدة[3] يضاف إلى هذا إعلان الخليفة الصديق (رضي الله عــنه) مــراراً انه يسير وفق سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وبخاصة في موضوع الفتوحات كقوله (رضي الله عنه): ((إنما أنا متبع ولست بمبتدع))[4] ولذا أصــر علــى إنفاذ بعث أسامة إلى الشام بالرغم من ارتداد أغلب قبائل العرب[5]،

---

(1) خطاب، محمود شيت، الفاروق القائد، ط1، مط العاني (بغداد 1965م)، ص 22.

(2) ابــن هشام، السيرة النبوية، 430/4- 431؛ ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله، الأخبار الموفقــيات، تحقيق: سامي مكي العاني، مط العاني، (بغداد 1972م)، ص 579، الجاحظ، ابو عــثمان عمــرو بــن بحر، العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، (مصر 1955م)، ص 220؛ البلاذري، أنساب الأشراف، الشيخان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطــاب وولــدهما، تحقــيق: د. إحــسان صدقي العمر، مؤسسة الشراع العربي، (الكويت 1989م)، ص 129.

(3) الــدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مط العاني، (بغداد بلا ت)، ص51-52.

(4) البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 128؛ الطبري، تاريخ، 224/3، ينظر أيضا ابن كثير، ابو الفــدا إسماعيل، البداية والنهاية، ط1، مكتبة المعارف، (بيروت 1966م) 301/6، ينظر كذلك ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 197/6 ما أجاب به الخليفة ابو بكر فاطمة (رضي الله عنه) عندما سألته نصيبها مما ترك رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(5) الزهري، المغازي، ص174؛ الواقدي، المغازي، 1121/3؛ الطبري، تاريخ 225/3- 226، Rodinson, Op. Cit. p 293.

مــشيرا إلـــى أن النبـــي (صلى الله عليه وسلم) كان عازما على فتح الشام قبل ان تعاجلـــه المنـــية[1] وتأكيده على ضرورة تنفيذ أسامة لما أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم)[2].

كـــل تلـــك المؤشرات التاريخية تؤكد حقيقةً ثابتة هي أن الفتوحات الإسلامية للعـــراق والـــشام كانت تجري ضمن خطة مسبقة وضعها الرسول (صلى الله عليه وســـلم) وإن وفاتـــه لم تكن حائلاً دون تنفيذها خلاف من حاول التشكيك في صحة وجـــود خطـــة مسبقة له (صلى الله عليه وسلم) لتفح الشام[3]، ومن رأى ان مجرى الأحداث هو الذي أدى إلى كل تلك الفتوح[4] أو من يرد انطلاق الفتوحات على عهد ابي بكر (رضي الله عنه) أنه مناورة سياسية استهدف من ورائها- ابو بكر- إشغال عـــرب الجزيرة بحروب خارجية كي يمارسوا عاداتهم القديمة في الحرب والقتال وليـــسدل ســـتار نسيان الماضي وما فيه من الذكريات المؤلمة الناتجة عن الصراع فيما بينهم بسبب الردة[5] أو انها وسيلة لرأب الصدع الحاصل بسببها[6].

([1]) الواقدي، فتوح الشام، ط1، قدم له: عمر ابو النصر، المكتبة الأهلية، (بيروت 1969م)، 7/1.

([2]) الطبري، تاريخ، 227/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 304/6.

([3]) بلـــيايف، ي، العرب والإسلام والخلافة العربية، ط1، ترجمة: أنيس فريحة مراجعة: محمود ابو زايد، الدار المتحدة للنشر، (بيروت بلا ت)، ص 160؛ Rodinson, OP. Cit, P. 247

([4]) ينظـــر رأي كيتانـــي وحتي : الشامي، أحمد، الخلفاء الراشدون، ط1، المركز العربي للثقافة والعلوم، (بيروت 1982م)، ص111.

([5]) ينظـــر: توينبـــي، آرنـــولد، تاريخ البشرية، نقله إلى العربية: د. نيقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، (بيروت 1988م)، 2/ 87؛ هيكل، محمد حسين، الصديق ابو بكر، ط2، مط مصر، 1362هــــ، ص 224- 226، ســـرور، محمـــد جمال الدين، الدول العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، ط3، دار الفكر العربي، 1966م، ص 34.
Gabrieli, Francesco, Mohammed and Conquests of Islam, translated from the Italian by Virginia Luling and Rosamund Linell, World University Library, (New York 1968), P. 110, Rodinson, Op. Cit, P. 294.

([6]) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: د. محمـــد عـــبد الهـــادي ابو ريدة مراجعة: د. حسين مؤنس، ط2، لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1968م)، ص23.

شـــرع الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) بالفتوحات- انطلاقا من أن الرسالة الإســلامية جــاءت إلى الناس كافة وتنفيذاً للسياسة التي كان المصطفى (صلى الله علــيه وسـلم) قد وضعها وبدأ بتنفيذها وهي مد الإسلام خارج حدود شبه جزيرة العــرب[1] ليـشمل العــرب القاطنــين على أطرافها إضافة إلى الشعوب الأخرى وتــصديقاً لنــبوآته (صــلى الله عليه وسلم) في الفتح[2]، التي ذكرها في أكثر من مناسبة- عندما أوعز إلى القائد خالد بن الوليد بالتوجه من اليمامة إلى العراق سنة (12هـ/ 633م) [3]، حال فراغه من أمر الردة فيها[4].

وذكر ابن إسحاق (ت 151هـ) في رواية أخرى أن العلاء بن الحضرمي[5] كـــان لا يـــزال يقاتل المرتدين في البحرين في تلك الأثناء[6] وجمعاً بين الروايتين نخلص إلى ان ذلك يعكس رغبة الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) الشديدة في تنفيذ سياســة الرســول (صــلى الله عليه وسلم) بنشر الإسلام إلى كل الأمم والشعوب المحيطة بأرض العرب والإسراع بها على الرغم من وجود الردة في البحرين التي تعـزز مـــا ذهبنا إليه من ان الردة لم تكن إلا حدثاً تاريخياً أعترض سياسة الجهاد

---

(1) Gabrieli, Op. Cit, P. 104.

(2) ينظــر: ابــن اسحاق، محمد، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بلا ت، ص 287- 288؛ مــسلم، الصحيح، بشرح النووي، 16/96- 97؛ البلاذري، فتوح البلدان، حققه: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، (بيروت 1987م)، ص 341.

(3) خلــيفة بــن خــياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط1، مط الآداب، (الــنجف 1967م)، 1/85؛ اليعقوبــي، احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، مط الحيدرية، (النجف 1964م)، 2/121، الطبري، تاريخ، 3/323.

(4) الطبري، تاريخ، 3/343.

(5) العــلاء الحضرمي: واسم الحضرمي عبد الله بن عباد بن مالك بن الخزرج بن أبي الصدق، من حضرموت عمل للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولأبي بكر وعمر على البحرين، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، 4/571.

(6) الطبري، تاريخ، 3/302.

التي تبنتها الدولة العربية الإسلامية والمعلنة على لسان الخليفة الصديق في أكثر من مرة[1] ولم تكن هي الباعث على انطلاق الفتوح.

وكـــان الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) شديد الحرص على المضي في هذه المهمة بنجاح وألا يثني المجاهدين عن الفتح ونشر الإسلام أي أمر من خلال نهيه عــن الاســتفتاح بمتكاره وعدم إشراك المرتدين[2]، وحثه المجاهدين على ضرورة مراعاة الله تعالى والخوف منه[3] ادراكاً منه لما ستؤدي إليه هذه الفتوح من افتتاح دنــيا جديدة وربما تصوره المسبق لما تمتلكه دولتا فارس والروم من ثروات هائلة مما قد يجعل لها تأثيراً دنيوياً على نفسية المجاهدين.

وأخــذت كتــبه (رضي الله عنه) بالتواتر على خالد بن الوليد حاملة وصايا القــيادة العليا في المدينة المنورة وموضحة الدوافع الحقيقية وراء انطلاق المسلمين صــوب العــراق بالرغم مما تكبدوه من خسائر أثناء مقارعتهم الردة، ففي الكتاب الــذي حمله ابو سعيد الخدري[4] إلى خالد وصايا تؤكد ضرورة الاستفادة من جهاد قــبائل ربيعة المسلمة ضد الفرس الذي كاد ان يتزامن مع إيفاد جند الإسلام صوب العراق[5]، لصد أي محاولة فارسية تهدف إلى ردع الدعوة الإسلامية.

وعــلاوة على ذلك فإن كتاب الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) ينطوي على تأكــيد الخلافة على المبدأ الآلهي القائم على استخلاف الله تعالى عباده المؤمنين في الأرض، وان هــذا الانسياح الإسلامي قائم على تنفيذ هذا الأمر إلى جانب استنفار

([1]) ينظر الصفحات السابقة.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/346- 347.

([3]) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد، المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، (بيروت بلا ت)، ص 215.

([4]) ابــو سعيد الخدري: سعيد بن مالك بن شيبان من فضلاء ومشاهير الصحابة غزا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اثنى عشر غزوة، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، 2/213.

([5]) الأزدي، محمــد بــن عــبد الله، تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة 1970م)، ص 56.

المسلمين جميعا بغية التوجه نحو العراق لأنه ((سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته وعظمت في الخير رغبته))[1] وتأكيداً على أن الجهاد على هذه الجبهة سيتواصل وان الأمداد ستتلاحق، والى جانب ذلك فإن خطبة خالد التي ألقاها حال وصول كتاب الخليفة (رضي الله عنه) قد أكدت تلك المعاني إذ قال: ((فإن خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتب إلينا يحضنا على طاعة ربنا وجهاد عدونا وعدو الله وبالجهاد في سبيل الله أنجز الله دعوتنا وجمع كلمتنا...فمن أراد الثواب العاجل والآجل فلينكمش))[2].

وكانت الدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس المبدأ الأساس الذي اعتمده الفاتحون بوصفه سياسة عامة لهم، خلال سير الفتوحات على جبهة العراق- وغيرها- في خلافة الصديق (رضي الله عنه)، دون ان يكرهوا احداً على اعتناق الإسلام، وكانوا حريصين على توفير الظروف المناسبة للناس، لذلك لم يستطع بعض المستشرقين إنكار هذه الحقيقة فهذا لوبون يقول: ((كان العرب قبل ان يسعوا إلى فتح بلد يرسلون رسلاً حاملين إليه شروطاً للوفاق))[3] على النقيض مما افتراه البعض من ان غالبية قادة المسلمين الأوائل لم يروا أنفسهم كمبشرين أو أصحاب رسالة بل فاتحون ومستأثرون بما خلفته فتوحهم[4].

---

(1) الأزدي، فتوح الشام، ص 55؛ حميد الله، محمد، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1956م)، ص 288.

(2) الأزدي، فتوح الشام، ص56 ؛ العبيدي، ناهي إبراهيم، الجهاد في خطابة صدر الإسلام، مجلة المورد المجلد 25 العدد الثاني لسنة 1997، ص 56.

(3) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط4، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م، ص 134؛ شكري، فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار الكتاب العربي، (القاهرة 1952م)، ص 134؛ شكري، فيصل ، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار الكتاب العربي (القاهرة 1952م)، ص 152.

(4) ينظر: Gabrieli, Op. Cit, P. 107.

واتجه خالد وجنده من اليمامة نحو العراق متبعا خطة الخلافة بالفتح، مفتتحا مناطق السواد الجنوبية تباعاً[1] حتى أتى الحيرة عاصمة عرب الضاحية عازماً على إدخالها حضيرة الإسلام وهو ما أظهرته تفاصيل افتتاحها، إذ أمر قادته المحاصرين لقصورها أن يدعوا الناس إلى الإسلام وان يؤجلهم يوماً على الأقل قبل مباشرتهم القتال إن لم يستجيبوا[2] مما يثبت خطل ما ذهب إليه البعض من أن الدعوة إلى الإسلام قضية شكلية ولم يكن ينتظر من المشركين ان يلبوا الدعوة حقيقة[3] وكن عازماً كذلك على ان يجعل الطريق بينها وبين الحجاز آمن لا سلطان للفرس عليه[4].

ووجه خالد الدعوة لأهل الحيرة إلى الإسلام أو إعطاء الجزية عندما خرج إليه أشرافها مع إياس بن قبيصة الطائي الذي كان كسرى قد أمّره عليها بعد النعمان بن المنذر[5] محذراً إياهم إن لم يستجيبوا لداعي الله عز وجل ويقبلوا إحدى هذه الخلال بقوله: ((إن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر))[6] وفي رواية ثانية ((هم على الموت احرص منكم على الحياة))[7] مما يدل على مدى حرص المسلمين- آنذاك- على تلبية الناس لنداء الله عز وجل وتفانيهم

([1]) كالخريبة والمذار وزندرود من كسكر ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 338- 340.

([2]) الطبري، تاريخ، 360/3.

([3]) فلهاوزن، الدولة العربية ، ص 23.

([4]) شكري، فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، مطابع دار الكتاب العربي، (مصر 1952م)، ص 39.

([5]) ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ط3، مط السلفية، 138هـ، ص 143؛ الأزدي، فتوح الشام، ص64، الطبري، تاريخ، 344/3- 345.

([6]) الطبري، تاريخ، ص 345.

([7]) ابو يوسف، المصدر السابق، ص 143؛ الطبري، تاريخ، 344/3؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوط (المجمع العلمي العراقي تحت رقم 795 تاريخ)، ج4، ورقة 35.

رغبة في إنجاز ما أمرهم الله تعالى ورسول به، إلا إنهم اثروا إعطاء الجزية على الإسلام فكانت جزيتهم أول مال حمل إلى المدينة المنورة من العراق[1]. وقد أظهر كتاب الصلح معهم أن خالداً وجنده لم يكونوا مبتدعين فيما دعوهم إليه إنما هي سياسة الخلافة الراشدة القائمة على إبلاغهم الدعوة الإسلامية ومن خلالهم إلى سائر الأمم الأخرى[2].

ومن الجدير بالإشارة هنا، أن المصادر التاريخية تقف صامتةً عن الحديث حول الدول الشعبي- إذ صح التعبير- لمسلمي الحجاز واليمن حيال الفتح على جبهة العراق أيام الخليفة الصديق (رضي الله عنه) وعلى الرغم من افتتاح المسلمين للحيرة وتحقيق العديد من الانتصارات في السواد، على خلاف ما عليه الحال على جبهة الشام كما سنرى لاحقاً.

ويمكن تفسير هذا الأمر من خلال ما ورد في المصادر أثناء حديثها عن الفتوح على جبهة العراق أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذ ذكرت أن ((ثغر فارس كان أثقل الثغور على العرب وأعظمها في نفوسهم وأكثرها هيبة وكانوا يكرهون غزوه ويجتنبون عنه استعظاماً لشأن الأكاسرة))[3] إلى جانب ذلك يمكن القول أن عدم معرفة أكثر أهل الحجاز واليمن بطرق العراق ومسالكه وطبيعة ساكنيه من الفرس، يؤكد ذلك استشارة الخليفة عمر (رضي الله عنه) كعب

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 340؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ورقة 35.

([2]) ابو يوسف، الخراج، ص 143؛ ابو عبيد، الأموال، ص 17؛ حميد الله، الوثائق، ص 219.

([3]) ابن الطقطقي، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عني بنشره: محمد توفيق الكتبي، مط الرحمانية، مصر بلا ت، ص 55؛ الطبري، تاريخ، 445/3/3 بنص اخر، ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ط1، الناشر: محمد أمين الخانجي، مط السعادة، (مصر 1342هـ/ 1924م)، ص90-91.

الأحبار[1] بان يصف له العراق عندما عزم على التوجه إليه قبل ان يندب سعد بن ابي وقاص لقيادة الجيوش الإسلامية[2] خلاف ما نراه على جبهة الشام التي شهدت حالة من الاستنفار العام أفراداً وجماعات وبروح جهادية عارمة مما ينم عن معرفة سـابقة ودراية بطرقه وطبيعة ساكنيه من خلال الرحلات التجارية إلى هناك والتي أسهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في بعضها قبل ذلك[3].

إلا أن ذلـك كله لم يكن عائقاً أمام استمرار خالد في فتوحه وإبلاغ الرسالة، إذا لم يتم له فتح الحيرة حتى أخذ بدعوة هرمز- القائد الفارسي- صاحب الثغرة[4] إلـى الإسلام والذي أصرّ على شركه وأعرض وأعلن استعداده لمقارعة المسلمين ممـا اضطرهم إلى قتاله وهزيمته في وقعة ذات السلاسل[5]، وكان لاتساع الفتوح الإسلامية وتزايد التحديات الفارسية في السواد أكبر الأثر في استنفار خالد من معه مـن الجـند ومـن أسلم من أهل البلاد بعد هزيمة الفرس مجدداً في وقعة الولجة 12هـ/ 633م قائلاً ((وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولـم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف))[6] وبذا يكون- رغم ترغيبه الجند بخيرات السواد- قد أعلن عن المهمة الأساس التي جاءوا لأجلها وهي

---

(1) كعـب الأحبار: هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري ابو اسحاق تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن أسلم في زمن ابي بكر، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت 1979م)، 227/5.

(2) المـسعودي، ابـو الحسن علي بن الحسين بن علي، حروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، مط السعادة، (مصر 1964م)، 64/2-66.

(3) ابـن هشام، السيرة النبوية، 194/1، 203، الطبري، تاريخ، 2/ 280، البوطي، فقه السيرة، ص 55، 61.

(4) الطبري، تاريخ، 347/3- 348؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ورقة 36، حميد الله، الوثائق، ص289- 290.

(5) الطبري، تاريخ، 348/3.

(6) الطبري، تاريخ، 354/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 345/6.

الدعــوة إلى الإسلام والجهاد إعلاءً لكلمة الله تعالى وحماية لها، وما بعد ذلك فهو تحصيل حاصل.

واصل المسلمون فتوحهم ودعوتهم إلى الإسلام، وقد آثر القائد خالد بن الوليد أسـلوب الدعـوة والتـرغيب علــى اللجوء إلى القوة من خلال تكرار الكتابة إلى مــرازبة[1] وملــوك الفــرس موضحاً لهم ان غاية المسلمين ليست مطامع دنيوية وتأسيس ملك كما يوضح ذلك قوله: ((فأدخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوز الى غيــركم وإلا كان ذلك وانتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة))[2].

وامــتازت الفتوحات وقتذاك بروح جهادية عالية ورغبة بنشر الإسلام على الــرغم مــن اشتداد شوكة الفرس المشركين، ويعود ذلك- بلا ريب- الى رسوخ العقــيدة وثــباتها لدى القسم الأكبر من المسلمين ولهفتهم للجهاد كما هو الحال أيام رســول الله (صلى الله عليه وسلم) بسبب قرب المدة الزمنية من ناحية ومن ناحية أخــرى مشاركة العديد من الصحابة في أعمال الفتح، بل وقيادتهم الجيوش المتجهة لقــتال الفــرس، وحــرص القــادة على وجودهم معهم لحث المقاتلة على الجهاد وتذكيــرهم بسنة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) هذا ما أوضحته محاورة المثنى بــن حارثــة الشيباني مع القائد خالد بن الوليد لما عزم الأخير على اصطحاب كل الصحابة- الذين على جبهة العراق- أثناء توجهه إلى الشام بقوله: ((والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر ابي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة او بعض النصف وبالله

---

(1) مرزبان: "يراد به صاحب ربع من المملكة وقائد عسكر ووزير وصاحب ناحية من النواحي وواليها"، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، 1/ 228.

(2) الطبــري، تــاريخ، 370/3؛ ابــن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، العبر وديــوان المبــتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبــر، الاعلمــي للمطــبوعات، (بيــروت 1971م)، ج2، ق2، ص81، حميد الله، المرجع السابق، ص 294- 295.

مــا أرجــو النصر إلا بهم فانىّ تعريني منهم؟))[1] إذ يظهر هذا النص انها رغبة الخليفة في تواجدهم ضمن جند الفتح.

وأظهــرت الأحــداث حــرص الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) على إبلاغ الدعــوة ومواصلة الجهاد على جبهة العراق، من خلال توصيته وتأكيده على خلفه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على ضرورة إنفاذ الجيوش الى هناك مع المثنى بعد اشتداد الخطر الفارسي على الإسلام[2].

أصبح عمر بن الخطاب خليفة المسلمين بعد ابي بكر (رضي الله عنهما) سنة 13هـــ/ 634 م وقد ((اتبع في عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل أثر امـــه))[3]، اذ كان الجهاد أبرز نشاط ابتدأ به مهامه بوصفه خليفة المسلمين إذ بادر بتنفيذ وصية سلفه ابي بكر بأستنفار المسلمين مع المثنى بن حارثة الشيباني لنصرة الإسلام على جبهة العراق[4] مستنهضاً فيهم روح الجهاد ومذكراً إياهم بموعود الله تعالى للمؤمنين بقوله: ((أين الطراء المهاجرون عن موعود الله سيروا في الأرض التـــي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فانه قال: ((ليظهروه على الدين كله"[5]

([1]) الطبري، تاريخ، 411/3.

([2]) الطبري، تاريخ، 413/3- 414؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 17/7-18.

([3]) الإمامــة والــسياسة (منــسوب) ابن قتيبة، ابي محمد عبد الله بن مسلم، اعتنى بطبعه: محمد محمــود الرافعــي، مط النيل، (مصر 1904م)، 34/1؛ بحشل، اسلم بن سهل الرزاز، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، مط العاني، (بغداد 1967م)، ص 186-187.

([4]) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب،الناشر: محمد أمين الخانــجــي، مط السعادة، (مصر، 1924م)،

ص ص 90- 91؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 18/7.

([5]) الفتح آية 28.

والله مظهــر ديــنه ومعــز ناصــره ومولـــي أهلــه مواريث الأمم اين عباد الله الصالحون؟))[1].

"هذا المثنى بن حارثة قد أتاكم من العراق يدعوكم الى جهاد عدوكم فسارعوا رحمكــم الله الـــى ذلــك ولا تتغافلوا عن الجهاد في سبيل الله))[2]، ورغم استعظام المــسلمين لجبهة الفرس في بداية الأمر[3] إلا أنهم انتدبوا للجهاد وكان ابو عبيد بن مسعود الثقفي لسان حال القوم اذ كان أول منتدب رغبة بالجهاد تاركاً الأهل والمال معبراً عن ذلك بقوله:

إنـــي وهــبت دمي لله محتسباً   لا زاد أُبقي ولا اهلاً ولا مالا[4]

فتـــتابعوا قاصدين ((جهاد الكفار عباد النار))[5] لاسيما بعد ان أذهبت أخبار المثنى التي نقلها لهم هيبة الفرس من صدورهم بعد أن أعلمهم ان ((لها أن شاء الله مـــا بعـــدها))[6] وشيعهم الفاروق عمر مستنفراً فيهم روح الجهاد[7] وكان ابو عبيد

([1]) الطبــري، تــاريخ، 445/3؛ ابن اعثم الكوفي، ابي محمد احمد بن اعثم، الفتوح، مط مجلس دائــرة المعــارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند 1968- 1975م)، 164/1؛ إبن حبان، الثقاة، 2/ 200.

([2]) الــواقدي، محمــد بــن عمــر، فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مط المحروسة، (مصر 1309هـ/ 1891م)، ص4؛ أبن اعثم، الفتوح، 1/ 164.

([3]) ابــن الجــوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص 90-91؛ ابن حبيش، عبد الرحمن بن محمد، الغزوات، مخطوط (المجمع العلمي العراقي تحت رقم 44 تاريخ)، ورقة 43؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 26/7.

([4]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص4.

([5]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص5.

([6]) الطبري، تاريخ، 445/3؛ ابن حبان، الثقاة، 199/2- 200؛ ابن حبيش، الغزوات، ورقة 43 .

([7]) ابن الطقطقي، الفخري، ص 56- 57.

خـلال سـيرة نحو العراق لا يمر بقوم من العرب إلا رغبهم بالجهاد فصحبه خلق كثير[1].

ومما هو جدير بالملاحظة أن حالة الاستنفار الواسعة والروح الجهادية العالية لدى المسلمين وعلى جبهتي العراق والشام معاً تؤكد حقيقة راسخة وهي ان الدعوة الى الإسلام والجهاد قد دخلا مرحلة جديدة بخلافة الفاروق عمر (رضي الله عنه)، إذ أن رسـوخ الإيمان بالله تعالى ألهب الحماس واذهب التحاسد والتنافس الذي كان فـي أهل العصبية وافرد وجهتهم نحو الحق أي إعلاء كلمة الله تعالى، وحقق بذلك وحـدة جميع القبائل العربية المسلمة ووجهها صوب الهدف الأسمى لدين الإسلام، وهي حقيقة أشار إليها ابن خلدون (ت 808هـ) في مقدمته بكل وضوح[2] وأكدها الفاروق (رضي الله عنه) بانتدابه أهل الردة للجهاد مع الذين لم يرتدوا[3] وكانوا قد استبعدوا عن الجهاد في خلافة ابي بكر (رضي الله عنه).

باشر المسلمون جهادهم للفرس بوصولهم العراق بقيادة ابي عبيد بن مسعود الثقفـي، وحققوا عدداً من الانتصارات في النمارق[4] والساقطية بكسكر[5]، وعلى

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 350؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، (بغداد 1981م)، ص 357.

([2]) ابن خلدون، عبد الرحمن بن علي، المقدمة، دار العودة، (بيروت 1988م)، ص 124-125؛ الـشريف، احمـد ابـراهيم، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجـرة، ط1، دار الفكر العربي، 1968 ص 162؛ الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت 1984م)، ص 37- 38.

([3]) الطبري، تاريخ، 448/3.

([4]) الـنمارق، موضـع قرب الكوفة نزله المسلمون اول ورودهم العراق؛ ياقوت، معجم البلدان، 304/5.

([5]) الساقطية: لم اعثر على تعريف لها في المصادر المتيسرة لي.

الـــرغم من مصيبتهم بالجسر واستشهاد القائد أبي عبيد[1]، إلا أن هذا لم يثن المثنى عـــن مواصلة الجهاد، إذ أخذ ((يدعوا العرب الى الجهاد))[2] ويستحثهم عليه، وكذا الحـــال بالنسبة للخليفة عمر (رضي الله عنه) الذي أخذ بتسيير القبائل التي جاءت مـــتطوعة[3] يـــدفعها الحماس والرغبة بالجهاد- الى جبهة العراق- وهي حقيقة لم يـــستطع (كلـــودكاهن) إنكارها بل أكدها بقوله: ((ولقد تألفت هذه الجيوش- يقصد الإسلامية- من أنصاف الرحل أو من المتطوعين عن إيمان وسرعان ما انتشر في نفوســـهم الحماس الديني واستقرت فيهم على حداثة عهدهم بالإسلام))[4]- بعد ايقان الفاروق عمر (رضي الله عنه) بأن الإسلام أصبح يواجه تحدياً مصيرياً دفعه الى الاســـتعانة بمـــن حسنت توبته من القبائل المرتدة وكل من وافاه أرسله الى العراق لنجدة المسلمين هناك.

وعلـــى الرغم من الانتصارات الكبيرة للمسلمين وما انجزوه من فتوح ونشر للإســـلام بعد هزيمتهم السابقة في وقعة الجسر، وضمهم مناطق السواد الى السيادة الإســـلامية[5]، إلا أن العـــداء الفارســـي للعرب والإسلام لم ينته حيث نقضت تلك المناطق المحررة ما صالحت المسلمين عليه واستجاشوا لقتالهم في القادسية بعد ان تزعمهم كسرى يزدجر بن شهريار[6]، وقد عكست وصايا الفاروق عمر (رضي الله عـــنه) لجنده الذاهب لمقارعة الفرس النوايا والأهداف الحقيقية من وراء صراعهم مـــع الفرس، فقد أوصاهم: ((بلزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله

---

(1) ينظر: الواقدي، فتوح الإسلام، ص 10؛ اليعقوبي، تاريخ، 132/2؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 351- 353؛ الطبري، تاريخ، 454/3- 458.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 353.

(3) الطبـــري، تـــاريخ، 458/3- 459؛ حول عدد القبائل المستنفرة ينظر: اليعقوبي، تاريخ، 2/ 132- 133؛ الطبري، تاريخ، 3/ 484- 486.

(4) تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ط1، دار الحقيقة، (بيروت 1972م)، ص 25.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص 355؛ الطبري، تاريخ، 472/3- 477.

(6) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 133؛ الطبري، تاريخ، 478/3.

ولا تعــتدوا وإن الله لا يحــب المعتدين.. ولا تغلوا عند المغانم ونزهوا الجهاد عن عــرض الدنيا وابشروا بالرباح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم))[1] وقــد اظهــروا بدورهم رغبة شديدة بالجهاد وحماية إخوانهم هناك- في العراق- خــشية الافتتان في دينهم على أيدي الفرس اذ هبت العديد من قبائل العرب المسلمة بعيالاتهم تلبية لداعي الجهاد الذي وجهه الخليفة عمر (رضي الله عنه) إليهم[2].

وإذا كانــت بعــض الحالات الفردية الشاذة سبيل بعض المستشرقين وذوي النظــرة الأحادية من المؤرخين المسلمين المحدثين في تفسيرهم للفتوحات[3]، فإنه بالمقابــل كانــت هــناك الكثير من حالات الاستنفار الطوعي رغبة بالجهاد، لدى المــسلمين، لا يحركها شيء سواه، وغير مجبرين على النفير مما يشير الى تطابق الروح الجهادية بين الخلافة وقادتها الذين عبرت عن ذلك خطبهم إثناء الفتوح، فقد كــان لــشدة الخطر الفارسي على الإسلام يوم القادسية أثرها في استنفار المسلمين أفراداً وجماعات طوعاً ادراكاً منهم لضرورة النفير، حيث نسي البعض منهم حتى استئذان والديه في الخروج للجهاد كما هو الحال مع شيبان بن المخبل السعدي الذي لحق بسعد بن ابي وقاص وجنده على جبهة العراق بينما كان والده قد اسنَّ وضعف بصره[4] وهذا كلاب بن أمية بن الاسكر هو الآخر أنسل من والديه 'الشيخين راغباً بالجهاد بعد أن أُعلِمَ أنه- الجهاد- أفضل الأعمال الى الله تعالى مما اضطر والديه

([1]) ابــن قتيــبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر بلا ت)، 1/ 107؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 1/ 128.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/384- 386.

([3]) ينظر على سبيل المثال: العزيز، حسين قاسم، موجز تاريخ العرب والإسلام، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت 1971م)، ص 151- 152.

([4]) الأصفهاني، الأغاني، طبعة محمد افندي الساسي، مط التقدم، (مصر بلا ت)، 13/ 380 39.

الـــى الاستنجاد بالخليفة عمر (رضي الله عنه) لاعادته إليهما بسبب ما لحقهما من ضعف[1].

وضـــرب النابغة الجعدي مثالاً آخر بالرغبة في الجهاد ونصرة الدين وانه لا عــذر الـــيوم للقعود خلاف جند الإسلام عندما أجاب زوجته التي ناشدته البقاء إلى جوارها قائلاً:

باتــت تُذكِّرنـــي باللهِ قاعدةً   والدمـــع يـــنهل مـــن شأنيهِما سبَلاَ
يـــا ابـــنةَ عَمّـــي كتابُ الله   كُـــرهاً وهـــل أمنَعَنّ الله ما فَعلا[2]

وهكذا يكون الجهاد لدى المسلمين- آنذاك- أسمى وابلغ أثراً في نفوسهم حتى مـــن الدعوة الإنسانية سواء أكانت من أب عاجز او زوجة بائسة[3]، وكانت النساء المـــسلمات هـــن الأخريات لهن الإسهام الفاعل وعلى مختلف جبهات الفتح تدفعهن الرغبة العالية بالجهاد لله تعالى ونصرة الدين، فها هي الخنساء يوم القادسية تعطي شـــاهداً يعـــزز ما ذهبنا إليه من خلال استنهاضها لبنيها الأربعة دافعة إياهم للجهاد بخطبة بليغة[4] تعكس وبلا ريب تأثر عموم المسلمين رجالاً ونساء بسنة المصطفى (صـــلى الله عليه وسلم) وبصحابته الذين كان لهم الحضور الدائم في معارك الفتح وهـــم يستنهضون الروح الجهادية لدى المقاتلة، الذين كانوا بدورهم يستنصرون الله

([1]) بحـــشل، تـــاريخ واســـط، 207- 208؛ ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الـــشعراء، قراءة وشرحه: ابو فهر محمود محمد شاكر، مط المدني، (القاهرة بلا ت)، السفر الاول، ص 190- 191.

([2]) ابـــن قتيـــبة، الـــشعر والشعراء، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، (مصر 1966م)، 1/ 293.

([3]) القاضي، النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة 1965م)، ص 39.

([4]) ينظر: الطبري، تاريخ، 544/3.

تعالى بهم[1]، وتأكيد الخليفة عمر (رضي الله عنه) المتواصل على تقديمهم على من سواهم من المسلمين[2] ونصحه قادته بالاهتداء بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)[3].

لم يبادئ المقاتلة المسلمون عدوهم- من الفرس- القتال وإنما آثر القائد سعد بن ابي وقاص قبيل القادسية دعوتهم الى الإسلام انطلاقاً من قول الله تعالى: " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"[4] واهتداءً بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تعامله مع المشركين، حيث أرسل المغيرة بن شعبة[5] وعدداً من المسلمين دعاة الى الإسلام منفذين توجيهات الخليفة عمر بهذا الشأن[6]، وأوصاهم سعد بقوله: ((انظروا ما قد عزم عليه (رستم) فلعله ان يجيب إلى دين الإسلام فنكفى حربه))[7] مظهر بذلك بكل جلاء كراهة العرب المسلمين اللجوء الى القوة ورغبتهم بقبول هؤلاء الإسلام، والسلام معهم مما ينسجم مع جوهر الدين الإسلامي- ومشيراً الى خطل من ذهب في تعليل الفتوح الإسلامية بأنه نقل للروح الحربية العدائية التي لدى العرب الى ميدان جديد[8].

---

(1) الطبري، تاريخ، 3/ 411.

(2) الطبري، تاريخ، 3/472.

(3) الطبري، تاريخ، 3/483.

(4) النحل آية 125.

(5) المغيرة بن شعبة: ابن ابي عامر بن مسعود بن معتب الثقفي اسلم عام الخندق وشهد الحديبية وكان موصوفاً بالدهاء شهد العديد من معارك الفتوح، ابن الاثير، اسد الغابة، 4/471.

(6) ابن كثير البداية والنهاية، 7/ 38.

(7) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 41؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 95.

(8) حتـي، فيلـيب، تاريخ العرب مطول، ط1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1952، 1/ 193.

Rodinson, Op, Cit, P.294, Gabrieli, Op. Cit, P. 107.

تــؤكد ذلــك تفاصيل اللقاءات المتكرر لوفود المسلمين مع الفرس التي كانت شـــاهداً اخر على ان غاية العرب المسلمين أبعد من المطامع الدنيوية، على الرغم من خروجهم بهذا الحشد الكبير مع عيالاتهم، إذ قال المغيرة بن شعبة- وزهره بن حــيوة فــيما بعــد لرستم: ((إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة))[1] كما أعرب المغيرة عن رغبته بالسلام والإخوة في الدين عندما أجاب على تساؤل رستم فــيما اذا يــرجع العرب المسلمون عنهم إن هم دخلوا الإسلام قائلاً: ((أي والله لا نقرب بلادكم الا في تجارة او حاجة))[2] كل تلك المفاهيم السلمية والغايات السامية أكــدها وشـــدد عليها احد رسل المسلمين الى رستم حين أجابه مرة أخرى بأنه إن دخــل الإســلام ((قبلـــنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه و ومن أبى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة او الظفر))[3] او يعطي الجزية صاغراً ويدخل حضيرة الإسلام[4]، ونقلهـــا الـــنعمان بن مقرن[5] لكسرى اذ اعلمه ((ثم أمرنا- يقصد النبي (صلى الله علـــيه وسلم)- ان نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا))[6].

([1]) ابـــن كثيـــر، البداية والنهاية، 39/7. ينظر: جواب المغيرة لرستم لما عرض عليه عدد من المطامـــع الدنيوية: الطبري، تاريخ، 517/3- 518؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر دار بيروت، (بيروت 1965م)، 2/ 462.

([2]) الطبري، تاريخ، 518/3؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 39/7.

([3]) الطبري، تاريخ، 520/3، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 463/2.

([4]) الطبري، تاريخ، 520/3.

([5]) الـــنعمان بن مقرن: وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير.. المزني، هاجـــر ومعـــه اخوته السبعة ثم سكن البصرة وتحول عنها في الكوفة وقدم المدينة بعد معركة القادسية، ابن الأثير، أسد الغابة، 566/4.

([6]) ينظـــر: الواقدي، فتوح الإسلام، (مصر 1796م)، ص 42- 43؛ اليعقوبي، تاريخ، 132/2، الطبـــري، تـــاريخ، 498/3- 499؛ المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة المثنى بغداد، (باريس 1899م)، 172/5.

ولكـــن الفـــرس اصروا بالرغم من كل تلك الدعوات على اعتراض الدعوة الإسلامية والحيلولة دون إبلاغها إلى الأمم الأخرى؛ مما أضطر القائد سعد بن ابي وقـــاص إلـــى حـــث المقاتلة المسلمين وترغيبهم بالجهاد[1]، الذين استجابوا بروح جهادية عالية أظهرها تسابق القبائل المسلمة لنيل شرف الجهاد والفوز برضى الحق عز وجل[2]، حتى تحقق لهم النصر على المشركين في القادسية سنة 14هـــ/ 637م على الأرجح.

اهـــتم الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتطهير كور دجلة ومناطق الأبلـــة وأبـــر قباذ وميسان من دنس المجوس ونشر راية الدين عليها إلى جانب ما اقتـــضته ضرورات العمل العسكري الجهادي للمسلمين[3] وهو أمر أبرزته وصية الخلـــيفة لعتـــبة بن غزوان عندما وجهه إلى هناك في السنة ذاتها التي اكدت على وجوب الاقتداء بسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة السلمية إلى الله تعالى وعرض الجزية على من أصرّ على شركه والتي أدت بالتالي إلى فتح تلك المناطق وجعلها داراً للإسلام بعد ان كانت تنتشر فيها بيوت النار[4].

ثـــم تابعـــوا فتوحهم بإتجاه المدائن جهاداً في سبيل الله تعالى بعد ان لم ((يبق غربـــي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا أمن واغتبط بملك الإسلام))[5] إذ حثهم القائـــد ســـعد علـــى ضرورة الجهاد بنية خالصة لله تعالى قبل إن تحصرهم الدنيا

([1]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 23-24؛ اليعقوبي، تاريخ، 133/2؛ الطبري، تاريخ، 431/3-432.

([2]) الطبري، تاريخ، 544/3- 560.

([3]) اليعقوبي، تاريخ، 133/2؛ الطبري، تاريخ، 593/2- 594؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 4/7.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 593- 594؛ كتاب الجهاد، ص2.

([5]) الطبري، تاريخ، 5/4.

وتنهال عليهم المغريات[1] مسترشداً بوصية الخليفة عمر (رضي الله عنه) التي أمرهم بها قائلاً ((ونزهوا الجهاد عن عرض الدنيا))[2].

وكان تعفف المسلمين زهدهم بغنائم المدائن- رغم عظمتها وكثرتها وحاجتهم إلى ما يسد متطلباتهم بوصفهم مجاهدين وضرورات أُسرهم التي كانت هي الأخرى مجاهدةً إلى جانبهم-[3] مثار أعجاب القائد سعد بن ابي وقاص نفسه الذي وصفهم بأنهم ذووا أمانة وانهم بمقام أهل بدر لولا سابقتهم[4] وهي الحقيقة التي أكدها جابر بن عبد الله بقوله: ((والله الذي لا إله إلا هو ما أطعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة))[5] واعتز بها الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) نفسه لما قدم عليه بسيف كسرى مع الغنائم بقوله: ((ان قوماً أدوّا هذا لذو أمانة))[6].

وكل تلك المآثر التاريخية للمسلمين تؤكد ان غاياتهم واهدافهم من وراء الفتح الجهاد في سبيل الله تعالى ونشر الدين وحمايته- بالمقام الأول- خلاف ما رآه البعض في تعليلهم لفتوح الإسلام باسباب اقتصادية بحته[7]، وان موقف قبيلة بجيلة هي الأخرى- ممثلة بزعيمها جرير بن عبد الله- الذين تنازلوا عن حقهم في ربع

([1]) الطبري، تاريخ، 9/4؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 64/7.

([2]) ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر، تحقيق زينب ابراهيم القاروط، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1980م)، ص76.

([3]) الطبري، تاريخ، 544/3- 596.

([4]) الطبري، تاريخ، 19/4؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 517/2.

([5]) الطبري، تاريخ، 4، 19؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 517.

([6]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 54؛ الطبري، تاريخ، 20/4؛ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص93.

([7]) آشتور، آ. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي ابو عليه، دار قتيبة للطباعة والنشر، (سورية 1985م)، ص 19؛ حتى، تاريخ العرب، 195/1- 196؛ لاندو، روم، العرب والإسلام، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، (بيروت 1962م)، ص 61.

Gabrieli, Op. Cit, P. 107.

غـنائم السواد الذي كان وعدهم به الخليفة عمر حين سيرهم نحو المثنى بن حارثة بعد مصيبة المسلمين بالجسر[1] شاهداً آخر على رفضهم ان يكونوا كالمؤلفة قلوبهم وأنهـم انما قاتلوا لله عز وجل واحتسبوا ما عنده دون سواه وأنهم من المسلمين لهم مـا لهـم وعلـيهم مـا عليهم[2]، وبهذه النيّات تمكنوا من تحرير جلولاء وتكريت ومناطق اخرى سنة 16هـ/ 637م على الأرجح[3].

مـع اتـساع الفـتوح كانـت المعاني الجهادية لدى المسلمين تزداد إذ كانوا ((يدوون بالقرآن دوي النحل))[4] كما امر الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ومـنفذين أوامر الخلافة في ذلك والتي تؤكد على تلاوته وهجر الدنيا والتوجه إلى الله عـز وجل بنيات صادقة[5] وكانت خطب قادة المسلمين كلما اشتد القتال تعزز ذلك، فهذا سعد بن ابي وقاص يوم انتقضت الفرس في الأحواز ومناذر وتستر ندب الجـند ((فاصبروا على الجهاد... وإياكم والركون إلى الدنيا فإنها دار الفتنة وسجن المؤمن فلا يكون شيء أحب اليكم من لقاء ربكم فإن ما عند الله خير للأبرار))[6]، واسـتجابة لمـا تقدم كان المسلمون برغم عظمة المغنم أقرب إلى الزهد منهم إلى الدنـيا فهذا النعمان بن مقرن يجيب الخليفة عمر لما أعلمه أنه مستعمله، بقوله له:

---

(1) الطبـري، تـاريخ، 460/3، 462، 469- 470؛ الخطيب البغدادي، احمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، (بيروت بلا ت)، 10/1.

(2) ابو يوسف، الخراج، ص 32؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 374.

(3) ينظر: الطبري، تاريخ، 35/4- 39.

(4) الطبري، تاريخ، 583/3.

(5) الـبلاذري، انساب، الشيخان، ص 182، 197- 198؛ الطبري، تاريخ، 3/ 536؛ ابن اعثم، الفتوح، 4/2.

(6) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 71.

((أمـــا جابــياً فلا ولكن غازياً))[1] وهي الروح التي جعلته يكتب إلى الخليفة عمر مــستعفياً إياه- قبل ذلك- من عمله على كسكر متزهداً فيه راغباً بالجهاد في سبيل الله تعالـــى[2]، وعبـــر عـــنها يوم نهاوند (21هــ/ 641م) حين ندب المقاتلة قائلاً: ((إنكــم نظام الإسلام في أهله استعملوا الصبر والزموه فإنكم على إحدى الحسنيين إما الغنيمة والفضل وإما الشهادة والفوز.. إنا قوام بالله جلّ عزّ ثم بكم فاصبروا إن الله وعد الصابرين أجراً عظيماً))[3].

والــذين صرحوا بدورهم عن نواياهم الجهادية بقصائد حماسية في أكثر من مــرة، فهذا عمرو بن معد يكرب يتفاخر بانتصار المسلمين في نهاوند ويصف حال احدهم وأسمه ربيع وهو يتقدم مجاهداً إلى امام في سبيل الله تعالى بقوله:

ومضى ربيع بالجنود مشرقاً   يــنوي الجهاد وطاعة الرحمن
حتـــى اســـتباح قرى السواد   والسهل والاجبال من مكران[4]

ويعتـــز عـــروة بـــن زيـــد الخـــيل الطائي بمواقفه الجهادية وقومه معه بعد انتـــصارات الإســـلام فـــي نهاوند ايضاً وما قبلها من معارك التحرير معرباً عن خلوص النيات الجهادية لله تعالى أولاً دون سواها:

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 445؛ الطبري، تاريخ، 114/4؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمــد، ســير أعلام النبلاء، حققه: شعيب الارنؤوطي وحسين الأسد، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1981م)، 405/1.

([2]) بحشل، تاريخ واسط، ص 38.

([3]) الــواقدي، فــتوح الإسلام، ص 95- 96؛ الأصمعي، بعد الملك بن قريب، نهاية الأرب في اخبار الفرس والعرب، مخطوط (المجمع العلمي العراقي تحت رقم 613 تاريخ)، ورقة 262؛ ابن حبان، الثقاة، 228/2- 229.

([4]) القالـــي، ابـــي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، (بيروت بلا ت)، 146/3.

وقد اضحت الدنيا لدي ذميمة　　وسليّت عنها النفس حتى تسلت

وأصـــبح همـــي في الجهاد　　فللـــه نفـــسُ أدبـــرت وتـــولت

فلا ثروة الدنيا نريد اكتسابها　　إلا إنهـــا عـــن وفرها قد تحلّت

ومـــاذا أرجّـــي مـــن كنوز　　وهذي المنايا شرعاً قد أظلت[1]

بتلك المعاني السامية تسارع المسلمون مع أبي موسى الأشعري لفتح أصفهان راغبــين بالجهــاد[2]، إضافة إلى فتوح الجبهات الأخرى، لا تدفعهم خصاصة ولا إقـــلال إنمـــا يقاتلون لإعلاء كلمة الله عز وجل ودحض الكفر وأهله[3] حتى لم تكد تقــضي حــياة الخلــيفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (23 هـ/ 643م) ألا والإسلام في نواحي خراسان على يد ابي موسى وجنده[4].

تواصلت الفتوح وعلى مختلف الجهات في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، الذي بايع الامة على العمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وفعــل سلفيه ابي بكر وعمر (رضي الله عنهما) كما جاء ذلك في أول كتاب له إلى أمــراء الأجــناد فــي الــثغور[5]، واستمر باستنفار المسلمين وحثهم لرفد إخوانهم المجاهدين، فقد خطب أهل المدينة المنورة يوماً قائلاً ((يا أهل المدينة خذوا بحظكم من الجهاد في سبيل الله الا ترون إلى إخوانكم من أهل الشام ومصر وأهل العراق

([1]) الديــنوري، ابي حنيفة احمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر مراجعة، د. جمال الدين الشيال، ط1، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة 1960م)، ص 138.

([2]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص118؛ ابن اعثم، الفتوح، 68/2– 69.

([3]) يــؤكد ذلــك اجابة ابو موسى الأشعري لأحد مقاتلته لما سأله زيادة عطاءه بقوله له: "أما ما ذكــرت مــن بلائك بين يدي فكل المسلمين قد أبلوا وأنما أرادوا ما عند الله عز وجل والدار الآخرة"، ابن اعثم، الفتوح، 28/2.

([4]) ينظر: ابن اعثم، الفتوح، 77/2 وما بعدها.

([5]) الطبري، تاريخ، 245/4.

فــو الله لــيوم يعملــه احدكم في سبيل الله تعالى خير له من ألف يوم يعمله في بيته صائماً قائماً))[1] وبذلك يجعل من الجهاد الأمر الأول بين أولويات عمل الخلافة.

ولابد من الإشارة إلى أن المصادر التاريخية التي تناولت فتوحات المشرق- موضــوع الدراسة في هذه الصفحات- في خلافة عثمان (رضي الله عنه) قد أكدت بالدرجــة الأساس على مسير العمليات العسكرية وتحركات الجند هناك فضلاً عن إبــراز حالات الكفر والانتقاض الموجبة لإعادة الفتح مرة أخرى، دون الإشارة إلى الحالات الجهادية للمقاتلة بما يوضح علة الاندفاع الإسلامي فيما يتعلق بهذا الفصل، إلا بشيء يسير في البعض منها، فقد ذكر البلاذري[2] البعض من تلك الشواهد التي تظهر بجلاء غايات المجاهدين في إبلاغ رسالة الإسلام إلى الأمم الأخرى من غير إكراه ولا قسر لأحد على اعتناقها، فهذا القائد عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الذي ولاه عبد الله بن عامر كريز- عامل الخلافة على المشرق- حرب سجستان يفصح لأهل بلاد الدوار[3] عن المقاصد الحقيقية التي جاءت بالمسلمين إلى هناك وذلك لما دخل (الزور) صنم أهل تلك البلاد فاقتلع عينيه وقطع يده ليخرج بعد هذا عافاً عن الــذهب والجوهــر مبلغاً مرزبانها غايته من ذلك بقوله: ((أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع)) وكذا الحال مع الأحنف بن قيس الذي أصرّ بدوره على لا يصالح أهــل أحــد الحصون في مرو الروذ[4]- على الرغم ما قدموه له من أموال مقابل

([1]) الــشيباني، شــرح السير، 136/1، (مصر 1958م)؛ بنفس المعنى ينظر إبن المبارك، كتاب الجهاد، ص65.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 555.

([3]) الــدوار: وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رخج وبست والغور وهي ثغر الغور من ناحية سجستان، ياقوت، معجم البلدان، 432/2.

([4]) مرو الروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام وهي على نهر عظيم، ياقوت، معجم البلدان، 112/5.

الصلح- حتى يدخل نفر من جند المسلمين الحصن فيؤذن ويقيم الصلاة فيه[1] معلنا وصول الإسلام وتنفيذ المسلمين الأمر الآلهي بإبلاغ الدعوة.

فلــو كــان غايــتهم الأولى المغانم وعروض الدنيا لما أصروا على إيصال الإســلام إلى تلك النواحي غير مبالين بكونها أراض وعرة أم سهلة غنية أم فقيرة إنما الغاية أسمى وابعد متعففين عن كل ما من شانه ان يشوب جهادهم وهي مسألة حــض الأحــنف جــنده عليها عند حصارهم الجوزجان[2] بقوله: ((وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم لا تغلوا يسلم لكم جهادكم))[3].

وفي خلافة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (35- 40هــ/655-661م) ومع استفحال أمر الفتنة ورغم مشاكل الخلافة مع أهل الشام، إلا أنه لم ينس مهمته الأولــى- كخليفة للمسلمين- ((اما بعد فإن الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغــبة عنه البسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف... فوالله ما غُزِيَ قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا..)) [4] لهذا فإن نفراً من المــسلمين ممــن لــم يركسوا في الفتنة أخذوا عطاءهم واتجهوا نحو بلاد الديلم[5] والثغور في قزوين والري مجاهدين في سبيل الله تعالى ناصرين دينه الذي ارتضى لعباده المؤمنين[6].

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 571.

([2]) الجــوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان وهي بين مرو والروذ وبلخ، ياقوت، معجم البلدان، 182/2.

([3]) الــبلاذري، فــتوح الــبلدان، ص 573؛ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مصر 1961م)، 2/ 93.

([4]) الجاحظ، البيان والتبيين، 53/2- 54.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 450.

([6]) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 165.

إلا انـــه رغـــم ذلـــك كله كانت الفتنة ومجرياتها حائلا اوقف الفتوح وعلى مختلف الجبهات في خلافته (رضي الله عنه) [1].

أمـــا علـــى جـــبهة الشام ففي سنة 13هـــ/ 634م[2] استأنف الخليفة ابو بكر (رضـــي الله عنه) الفتوح في تلك النواحي بعد القضاء على الردة نهائياً[3]، وإدراكا مـــنه بوجـــوب تنفيذ منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) في نشر الإسلام هناك بعد اجتماع كلمة العرب المسلمين في قلب الجزيرة[4]، بادر باستنفار المسلمين في مكة والطائف وجميع العرب بنجد إلى الجهاد ورغبهم فيه[5] وقد أظهرت خطبه (رضي الله عـــنه) بهـــذا الشأن دوافع ونوايا المسلمين من وراء هذا الانسياح الواسع تجاه الـــشام، ففـــي أول خطبة له بهذا الخصوص أمام الصحابة ووجوه المدينة المنورة أعلمهـــم بنية الخلافة باستنفار المسلمين ((إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل كلمته العليا))[6].

وقـــد أظهرت الأحداث رغبة المسلمين بتحرير الشام من براثن الشرك وان هـــذه الفكـــرة كانـــت تراود البعض منهم كعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) [7]، واســـتمراراً على سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا الشأن، كما واتضحت حقـــيقة يجب تأكيدها مرة أخرى وهي ان الفتوحات الإسلامية لم تكن حادثاً عرضياً

([1]) ينظر: الجاحظ، العثمانية، ص 185.

([2]) الطبري، تاريخ، 387/3؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/2، 4 .

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص149؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 284.

([4]) الأزدي، فتوح الشام، ص 1؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 127/1- 128.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 149؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 284.

([6]) الأزدي، فتوح الشام، ص1؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 127- 128.

([7]) الأزدي، فـــتوح الـــشام، ص 2؛ الواقدي، المغازي، 19/3 (نص محاورة عمر مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) عند وصول المسلمين تبوك).

قـد سـاقته مجريات الأحداث بصورة عامة في شبه الجزيرة العربية[1]، بل على العكـس تماماً فقد كانت النية على ما يبدو مبيته سلفاً لأجل إنفاذ هذا الأمر، وربما تكـون الخطة قد أعدّت في نفس ابي بكر (رضي الله عنه) قبل هذا التاريخ، إذ قام بتقـسيم الجـيوش المتجهة إلى هناك إلى أربعة فرق متقدمة بأربعة محاور رئيسية وقسم الشام إلى أربعة أجناد لتسهل قيادتها إذا ما تم الفتح[2].

وقبل اكتمال وفود المجاهدين عليه وحال اجتماع من حضر من المسلمين إلى المديـنة عـزم الخلـيفة ابـو بكر (رضي الله عنه) على امضائهم إلى الشام واخذ باستنفارهم للجهاد في سبيل الله تعالى[3] ورغبهم فيه وأمر بلال بأن يؤذن في الناس ((أنفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام))[4] فكان خالد بن سعيد بن العاص أول من تـوجه إلى هناك راغباً بالجهاد والحمية للدين وقد أظهر ذلك محاورته مع الخليفة ابـي بكـر (رضـي الله عنه) عندما علم ان في نية الخليفة عزله عن الإمارة بعد إنـتدابه، قـائلاً: ((والله ما أنا في الدنيا راغب ولا على البقاء فيها بحريص وإني أشـهدكم أني وأخوتي وفتياني ومن أطاعني من أهلي في سبيل الله نقاتل المشركين أبـداً حتـى يهلكهم الله أو نموت عن آخرنا))[5]، مما دفع ابا بكر إلى إرساله إلى

([1]) غلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب: خيري حماد، مكتبة المثنى، (بغداد بلا ت)، ص 216.

([2]) عطـوان، حـسين، الجغـرافية التاريخـية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط1، دار الجيل، (بيروت 1987م)، ص 162.

([3]) الـديار بكـري، حـسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مط الوهبية، (مصر 1133هـ)، 2/ 222.

([4]) الأزدي، فـتوح الشام، ص6؛ الديار بكري، المصدر السابق، 222/2؛ ابن عساكر، بدران، تهذيب تاريخ دمشق،52/1- 53.

([5]) الأزدي، فـتوح الشام، ص6؛ ابن عساكر، بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 129/2، رواية ابن اسحاق.

تـيماء[1] موصياً إياه بضرورة دعوة من حوله هناك إلى الإسلام وألا يقاتل إلا من قاتله[2] راجياً أن يكون خروجه فيه الحسبة والنية الصادقة[3].

وأكدت الأحداث معرفة الخلافة الراشدة خاصة والمسلمين عامة بحجم وقدرة الـروم العـسكرية في الشام جراء لقائهم السابق في مؤتة وتبوك ومن الاتصالات المستمرة بين الشام والحجاز، وقد أثبت ذلك استشارة الخليفة الصديق للصحابة ومن عـنده مـن المسلمين، بضرورة توجيه كتب الاستنفار إلى أهل اليمن وبقية مناطق الحجاز الأخرى لما رأى قلة القوة المتجهة مع خالد بن سعيد إلى الشام مقابل قوات الروم[4] فكتب إليهم يستنفرهم ويدعوهم للجهاد ويرغبهم فيه[5].

واستـشعاراً مـنه لما حلق بمجاهدي المدينة المنورة من جَهْد وخسائر أثناء معارك الرد ورغبة في إشراك من ثبت على الإيمان من العرب الآخرين في شرف الجهـاد إلـى جانب أهل المدينة[6] كتب إليهم مع أنس بن مالك (ت 73هـ): ((أما بعـد، فـإن الله كـتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً وقال: جاهـدوا بأمـوالكم وأنفسكم في سبيل الله فالجهاد فريضة مفروضة وثوابه عند الله عظـيم وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلـك وعـسكروا وخـرجوا وحـسنت في ذلك نيتهم وعظمت في الخير حسبتهم، فـسارعوا عـباد الله إلى فريضة ربكم وإلى إحدى الحسنين إما الشهادة وإما الفتح

([1]) تيماء: بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج ودمشق، ياقوت، معجم البلدان، 2/67.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 388؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 131؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 83- 84.

([3]) الأزدي، فتوح الشام، ص 23.

([4]) بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 129- 130.

([5]) الأزدي، فتوح الشام، ص8؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 222.

([6]) الحديثـي، نـزار عـبد اللطـيف، أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978م، ص 125- 126.

والغنيمة فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل ولا يترك اهل عداوته حتى يدينوا بالحق ويقروا بحكم الكتاب أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون))[1] وبنفس المضمون بعث برسالة أخرى إلى مكة والطائف وسائر مناطق الحجاز الأخرى علاوة على اليمن[2].

وأبدى المسلمون استجابة عالية من خلال نفيرهم أفراداً وجماعات معلنين رغبتهم بالجهاد وعزوفهم عن الدنيا بكل صراحة، فقد كان رد فعل أهل اليمن كبيراً واستجابتهم عالية أفصح عن ذلك أنيس بن مالك للخليفة ابي بكر بقوله: ((يا خليفة رسول الله وحقل على الله ما قرأت كتابك على أحد إلا وبادر إلى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد والزرد النضيد"[3])) [4]، واكد ذلك سير أحداث الفتوح الشامية وتواتر المتطوعين نحو المدينة المنورة.

واستمر الخليفة الصديق بتسيير البعوث، إذ سير يزيد بن ابي سفيان وشيعه ماشياً موصياً إياه بوصية أوضحت الجوانب السلمية في سياسة الخلافة القائمة على دعوة الناس إلى الإسلام وعدم الاعتداء واللجوء إلى القوة إلا في حال رد الاعتداء[5]، كما أمر الله عز وجل بذلك[6] وعدم الالتفات إلى الدنيا والانشغال بها لكيلا يبطلوا جهادهم وتختلف نياتهم فيهزموا[7].

([1]) الأزدي، فتوح الشام، ص 8-9؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 129- 130؛ حميد الله، الوثائق، 1/301- 302.

([2]) دحلان، احمد بن زيني، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مط المدني، (القاهرة 1968م)، 1/31- 32.

([3]) الزرد: حلق الدرع والجمع زرود، ابن سيده، ابي الحسن علي بن اسماعيل، المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت بلا ت)، المجلد الثاني السفر السادس، ص72.

([4]) الواقدي، فتوح الشام، 1/7.

([5]) مالك، مالك بن أنس بن مالك،الموطأ، رواية يحيى بن يحيى الليثي، ط1، دار النفائس، (بيروت 1987م)، ص297؛ الأزدي، فتوح الشام، ص 12؛ الشيباني، شرح السير، 1/180.

([6]) البقرة آية 190.

([7]) مالك، الموطأ، ص 297؛ الأزدي، فتوح الشام، ص 12؛ الشيباني، شرح السير، 1/180.

وبوصـــول طلائـــع الفتح الإسلامي الشام كانت لهم وقعة مع الروم[1]، وقد عرضوا عليهم الإسلام أو الجزية أو الاحتكام إلى السيف، فلما رأوا إصرار رسول المـــسلمين علـــى ذلك قرروا إغراءهم بالمال والطعام ظناً منهم بان مقاصد العرب المـــسلمين الـــسلب والنهب، إلا أنهم أصروا على إبلاغ الدعوة ومجاهدة المشركين ودحرهم بعد ان رفض الروم ما عرضه المسلمون عليهم.

وانطلقـــت جمـــوع المجاهـــدين إلـــى الشام مع ابي عبيدة عامر بن الجراح مسترشدين بوصايا الخليفة الصديق التي كانت تلازمهم[2] أملاً في تنفيذ ما امر الله تعالى به وتصديقاً لنبوآت الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالفتح، إلا انهم اضطروا إلـــى اللجوء إلى القوة ومصادمة المشركين في أكثر من موضع عندما لم يستجيبوا لداعـــي الإسلام وأصروا على الشرك واعتراض الدعوة وعدم اعطاء الجزية، فهذا القائـــد عمرو بن العاص يحقق النصر على الروم في غزة[3] بعد ان أعلن عن نيته من وراء هذا الزحف بقوله: ((أمرنا صاحبنا- يقصد النبي (صلى الله عليه وسلم)- أن نقاتلكم إلا أن تدخلوا في ديننا فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا وتكونوا إخوتنا.. فـــإن انـــتم أبيتم فتؤدوا لنا الجزية.. فإن أبيتم فليس بيننا إلا المحاكمة بالسيف حتى نمـــوت عـــن آخرنا أو نصب ما نريد منكم))[4] وبالمقابل لم يفتر الخليفة الصديق (رضي الله عنه) عن الدعاء لهم بالنصر دبر كل صلاة[5]، مما يعكس مدى اهتمامه بهذا الأمر ومتابعته الشديدة لكل تفاصيل الفتوح.

([1]) ينظر: الواقدي، فتوح الشام، 12/1.

([2]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص ص 18، 20، 27، 34، 41.

([3]) غـــزة، مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو اقل وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 202.

([4]) ابـــن بطـــريق، افتيـــشوس ســـعيد، الـــتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مط الآباء اليسوعيين، (بيروت 1910م)، 10/2.

([5]) الأزدي، فتوح الشام، ص 13.

وخلاف ما كان على جبهة العراق من وجود حالة من التهيب لدى المسلمين في الحجاز لجبهة الفرس- إن صح ما ذكرته المصادر - فإن حالة الاستغفار الطوعي لدى المسلمين ممن ثبت على الإيمان- للتوجه نحو الشام- كانت مثار إعجاب الخليفة الصديق (رضي الله عنه) الذي أخذ بدوره بتسييرهم إلى هناك كلما قدموا عليه[1]، فأهل مكة المكرمة كان لهم دور ملموس في الاندفاع صوب الشام بعزيمة جهادية بالغة عبر عنها سهيل بن عمرو الذي خاطب الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) ومن معه لما علم باعتراض عمر بن الخطاب على استشارة أهل مكة واستنفارهم بقوله: "انما فضلتمونا بالهجاد في سبيل الله فوالله لنستكثرن منه وأشهدكم إني حبيس في سبيل الله والله لاقفن مكان كل موقف وقفته على حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موقفين عل أعداء الله ولأنفقن مكان كل نفقة انفقتها على حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفقتين في سبيل الله))[2]، وكذا الحال بالنسبة لعكرمة بن ابي جهل الذي اقبل مجاهداً بماله وخيله طوعاً راغباً عن نفقة الخلافة تاركاً اياها لمن لا نفقة عنده من سائر المجاهدين[3]، وينطبق الأمر نفسه على ابي سفيان بن حرب الذي شهدت له أيام اليرموك إذ كان يقاتل ويحرض المسلمين على قائلاً: ((الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم))[4] وفي رواية أخرى ((الله الله إنكم ذادة العرب وانصار الإسلام وهم ذادة الروم وانصار الشرك اللهم هذا يوم من ايامك اللهم أنزل نصرك على عبادك))[5].

([1]) الديار بكري، تاريخ الخميس، 226/2.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 47- 48؛ ابن اعثم، الفتوح، 120/1- 121.

([3]) الزبيري، مصعب بن عبد الله بن المصعب، نسب قريش، اعتنى بنشره: أ. ليفي بروفنسال، ط 3، دار المعارف، (مصر 1982م)، ص 311.

([4]) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، مكتبة القدسي، (القاهرة 1367)، 97/2.

([5]) المقدسي، ابي قدامة عبد الله بن محمد، التبيين في انساب القرشيين، حققه: محمد نايف الدليمي، ط1، منشوارت المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1982م)، ص 174.

وبـذا يكون ما ذهب اليه بعض المؤرخين[1] من أن أهل مكة المكرمة كانوا تجـاراً وأن إقـدامهم على القتال بطيء واحداً من الأسباب التي دعت الخلافة إلى الاستنجاد بأهل اليمن، حكماً عاماً يخالف الحقائق التاريخية.

وأثر وصول كتاب الخلافة إلى أهل اليمن- نادباً إياهم للجهاد- اخذوا بالتوافد على المدينة المنورة بعد ترغيب شيوخ القبائل لهم بالجهاد وإعلامهم بفضله[2]، فقد قـدم ابـو الأعور السلمي- عمرو بن سفيان- إلى الخليفة الصديق معلناً بكل فخر رغبـته ومن معه بالجهاد دون سواه إذ قال: ((إنا جئناك من غير قحمة ولا عدم[3] فـإن شـئت أقمـنا معك مرابطين وإن شئت وجهتنا إلى عدوك من المشركين))[4] مظهراً بذلك حماسة المسلمين لنشر الرسالة الإسلامية وحمايتها، ومعبراً عن ثبات العقـيدة لدى القسم الأكبر من المسلمين- حينذاك- متأثرين تأثراً حسناً برسول الله (صـلى الله عليه وسلم) وصحابته من غير إكراه ولا قسر، وهي حقيقة عبر عنها الحـسين بن زياد- اخو عدي بن حاتم الطائي لامه- إذ قال لابي بكر: ((إنا أتيناك رغـبة بالجهاد وحرصاً على الخير..)) [5] فلوا كانوا مدفوعين رغبة بالدنيا وبقصد الغنـيمة اولاً دون سـواها، لما تركوا الديار والأموال واقبلوا بنسائهم وأبنائهم وهم يريدون جهاد المشركين[6] ولو كانت هجرة جماعية بدافع الجدب والقحط لما عزموا

([1]) الحديثي، أهل اليمن، ص 125- 126.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 10.

([3]) القحمـه: الـسنة تقحم الاعراب بلاد الريف، ابن زكريا، ابي الحسن احمد بن فارس، معجم مقايـيس اللغة، بتخفيف وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط2، مط مصطفى البابي الحلبي، (مصر 1971م)، 61/5.

العدم: ذهاب الشيء وفقدانه، ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، 248/4.

([4]) الأزدي، فتوح الشام، ص 42.

([5]) الأزدي، فتوح الشام، ص 21.

([6]) الأزدي، فتوح الشام، ص 10، 25.

علــى تــرك عــيالاتهم بالمدينة المنورة، ويمضوا نحو الشام حتى يفتح الله تعالى عليهم[1].

ومــع تقــدم الفــتوح إلى أمام تتكرر الإشارات إلى البواعث الجهادية، نشراً للإسلام وحمايةً له، فهذا القائد خالد بن الوليد يحث المقاتلة يوم اجنادين على الجهاد مــع تزايد المقاومة الرومية نادباً إياهم أن: ((قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله))[2] مذكــراً إيــاهم بإيــثارهم للشهادة والجهاد في الله عز وجل على الدنيا عندما أقبلوا صوب الشام ((فقد أبيتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة))[3] ومعلناً لهم نتائج صــبرهم وجهادهم إن ثبتوا واحتسبوا بان ستكون هذه البلاد داراً للإسلام[4]، وهو الــباعث الأســمى وراء انسياحهم على ما يبدو، وكانوا كما وصفهم احد نصارى العــرب لبطريق الروم: ((رهبان بالليل فرسان بالنهار))[5] حتى أتم لهم النصر في هذه الوقعة.

ولم تفتأ الخلافة الراشدة- بالمقابل- تمد جبهة الشام بالمتطوعين للجهاد كلما اجــتمع اليها جمع ((إرادة إعزاز أهل الإسلام وإذلال أهل الشرك))[6] ومع تواصل الفــتوح وتكــرار اللقــاءات مــع المشركين يعرب المسلمون عن نيتهم ويعرضوا دعــوتهم، فهذا القائد خالد بن الوليد يؤكد عزم المسلمين على الجهاد- مرة اخرى ويعلل للروم سبب اقبالهم- ففي اليرموك انبرى يحث المقاتلة على ضرورة الجهاد

---

(1) الأزدي، فــتوح الــشام، ص 25- 26؛ حول مثل هذه الآراء ينظر: Rodinson, Op, Cit, P. 273- 274.

(2) الأزدي، فتوح الشام، ص 90؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 234.

(3) الأزدي، فتوح الشام، ص 90.

(4) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 145- 146.

(5) الطبري، تاريخ، 3/ 418؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 417.

(6) الأزدي، فتوح الشام، ص41.

وصـــدق النية عند اللقاء[1] بعد ان دعا وزير ملك الروم[2] وأعلمه بقصد المسلمين قـــائلاً: ((وأمرنا- يقصد الله تعالى- ان نقاتل من زعم انه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة حتـــى يقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله.. وان ابيتم ذلـــك فـــأدوا الجـــزية عـــن يد وانتم صاغرون فإن ابيتم ذلك قاتلناكم على بصيرة ويقـــين))[3]، ولما حاول الروم ترغيب المسلمين بالمغانم وترهيبهم بالقوة وجدوهم مـــصرين علـــى تنفيذ ما أمر الله تعالى به، ولما لم يستجيبوا حمل المسلمون عليهم ((حملـــة لا يـــريدون بهـــا غيـــر وجه الله عز وجل))[4] محققين النصر عليهم في اليرموك سنة 15 هـ/ 636م التي كان لها ابعد الأثر في تحرير سائر ارض الشام.

واصـــل الخلـــيفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اعمال الفتح على جبهة الشام وبقية الجبهات الأخرى حال توليه قيادة الأمة الإسلامية، وقد أوضح استمرار الخلافـــة على النهج السلمي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي اختطه من قبل في الجهاد والفتح وقد بيّن ذلك كتابه (رضي الله عنه) إلى أمراء الأجناد ((ان يقاتلوا فـــي سبيل الله ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم))[5] معبراً بذلك عن جوهر السياسة السلمية لدولـــة الإســـلام في عدم إكراه الأمم الأخرى على الإسلام واستخدام القوة فقط في

([1]) الطبـــري، تـــاريخ، 3/ 395؛ ابـــن الاثير، الكامل في التاريخ، 2/ 411؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/7.

([2]) الـــواقدي، فتوح الشام، 1، 173؛ الأزدي، فتوح الشام، ص 205- 206؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 245.

([3]) ابـــن اعـــثم، الفتوح، 1/ 245؛ ينظر ايضاً الواقدي، فتوح الشام، 1/ 173؛ الأزدي، الفتوح، ص 205- 207.

([4]) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 246.

([5]) أبو عبيد، الأموال، ص 41؛ قدامة ابن جعفر، الخراج، ص 225.

حال الرد على من يعترض سير الرسالة الإسلامية، خلاف ما ذهب اليه البعض من أن الإسلام انتشر بحد السيف والتهديد والوعيد[1].

وحث الخليفة عمر (رضي الله عنه) ابا عبيدة وجنده على ضرورة الجهاد في الله تعالـــى أولاً والتزهد بعروض الدنيا إذ كتب اليه ((لا تقدم المسلمين على هلكة رجاء غنيمة.. فغمض بصرك عن الدنيا وأله قلبك عنها وإياك أن تهلك كما اهلكت مـــن كان قبلك))[2] وقد عبر هذا النص خير تعبير عن أسس عمل الخلافة الراشدة آنذاك.

وقـــد كانـــت وصايا الخلافة تلك منهاج عمل الفاتحين المسلمين يوضح ذلك موقف القائد ابي عبيدة لما عرض عليه رسول ملك الروم اعطاء المسلمين الأموال وأرض الـــبلقاء مـــن سواد الأردن يوم وقعة فحل مقابل رجوعهم عن بقية أرض الـــشام، إذ أصر على ألا يقبل المسلمون منهم سوى الخلال الثلاث التي أمرهم الله تعالى بها[3] والتي كان قد عرضها عليهم معاذ بن جبل اثناء مقابلته لهم[4].

فلـــو كـــان الجهـــد والجـــوع والـــبحث عن المرابع البواعث الأولى وراء خروجهم[5] لارتضوا بذلك وحضوا بالسلامة وكفوا شر القتال، ولكن ما خرجوا له أســـمى مـــن ذلـــك وابعد[6]، وقد كان سلوك جند المسلمين اثناء حصارهم دمشق 14هـــ/ 635م وزهدهم بالمغنم شاهداً آخر على صدق نيتهم ورغبتهم بالجهاد أولاً فقـــد روي أن ((الرجل- من المسلمين- ليجيء بالكبة الغزل أو بالكبة الصوف أو

---

(1) فلـــوتن، فان، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية: د. حسن ابراهيم حسن، محمد زكي ابراهيم، ط1، مط السعادة، (مصر 1934م)، ص 5، 15؛ جيبون، اضمحلال الامبراطورية، ص 7.

(2) الطبري، تاريخ، 3/ 434 ينظر أيضاً: الأزدي، فتوح الشام، 103.

(3) الأزدي، فتوح الشام، ص 124؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 186.

(4) الأزدي، فتوح الشام، ص 120- 121.

(5) ينظر: Rodinson, Op. Cit, P. 273- 274

(6) ينظر: خطب خالد بن الوليد يوم فحل: ابن اعثم، الفتوح،1/ 191- 192 كذلك ص 119.

الشعر والمسلة فيلقية في القبض لا يستحل ان يأخذ منه قليلاً أو كثيراً))[1] وهم بذلك متبعين ما أمر الله تعالى به: " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ"[2] وأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على اهله نار وشنار يوم القيامة))[3] ووصية الخليفة الصديق للقائد يزيد بن أبي سفيان وجنده قبل ذلك باجتناب الغلول لانه "يقرب الفقر ويبعد النصر"[4].

وليس القصد مما تقدم اضفاء صبغة صوفية على سلوك المقاتلة المسلمين أو أخذنا الامور من زاوية نرغب ابرازها، ولكن ينبغي نقل الحقائق التاريخية كما هي، التي تعبر تعبيراً صادقاً عن نوايا الدولة العربية الإسلامية وجندها عصر ذاك والتي تظهر بجلاء خلاف ما يذهب اليه البعض ممن يقتنص النصوص المتفرقة التي تمثل حالات فردية ووجهات نظر خاصة قيلت تحت ظرف معين، وتعميمها على الخلافة وعموم المسلمين[5].

استمر المسلمون بتعزيز حشودهم على جبهة الشام ورفدها بالمجاهدين الوافدين على الخلافة راغبين بالجهاد، وتلبية لنداء ابي عبيدة- اثناء وقعة اليرموك- الذي طلب المزيد من العون لمواجهة الروم، استنفر الخليفة عمر (رضي الله عنه) المسلمين قائلاً: ((هذا كتاب ابي عبيدة يعرض بكم ويحثكم على الجهاد))[6] إذ بادروا بالنفير فأخذ الخليفة عمر (رضي الله عنه) كلما تجمعت لديه

([1]) الأزدي، فتوح الشام، ص 97؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 150- 151.

([2]) آل عمران آية 151.

([3]) الحاكم، المستدرك، 49/3؛ الشيباني، شرح السير، 98/1؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 139/4

([4]) البلاذري، انساب، الشيخان، ص 110.

([5]) ينظر: العزيز، موجز تاريخ العرب، ص 152.

([6]) أبو يوسف، الخراج، ص 155.

وفـود من اليمن وغيرهم من بلاد العرب أمرّ عليهم وامضاهم إلى ناحية الشام[1]، وتعبر حالة الاستنفار الكبيرة هذه عن رسوخ العقيدة لدى المسلمين وثباتهم يوماً بعد يـوم وكلما تحقق للإسلام نصر جديد، وبفعل قوة الإيمان والحماسة العالية لنصرة الدين اتموا تحرير الشام ودحر المشركين هناك، تلك الحماسة التي جعلت سعيد بن زيـد بن عمرو عامل الخلافة على دمشق يترك علمه هناك مؤثراً الجهاد في سبيل الله عـز وجـل عليه معلناً ذلك لابي عبيدة بقوله: ((فإني لعمري ما كنت لأوثرك وأصـحابك بالجهاد في سبيل الله على نفسي وعلى ما يقربني من مرضاة ربي عز وجل))[2].

فلـو كانت رغبة المسلمين- وقتذاك- تأسيس مالك دنيوي وكان جمع المغانم باعـثهم الأهم والأساس لما امر الخليفة عمر بن الخطاب باتلاف زرع احد المقاتلة المـسلمين عـندما علـم انـه زرع ارضاً بالشام وعنفه بالقول: ((انطلقت إلى ذل وصـغار في اعناق الكبار فجعلته في عنقك))[3] وإن كان هذا الاجراء يأتي ضمن سياسـة الخلافـة حينـئذ ببقاء الامة مجاهدة وتحت السلاح لا يلهيها أمر آخر عن مهمتها الأساس، إلا انه يؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه.

وأتجـه المسلمون إلى أقليم الجزيرة الفراتية بعد تحرير الشام، بقيادة عياض بن غنم بناءً على توجيهات الخليفة عمر (رضي الله عنه) التي أكدت على ضرورة تقـوى الله عز وجل والجهاد والاجتهاد في طاعته وألا يلحقه والمقاتلة معه التواني فـي الجهاد وان يتبع سنن المجاهدين[4] من قبله، وقد اوضحت تفاصيل الفتح هناك رغـبة المسلمين في نشر الإسلام والاستشهاد دون ذلك الأمر إذ اجابوا ميسرة بن

([1]) ابن رسته، ابي علي احمد بن عمر، الأعلاق النفسية، مط بريل، (ليدن 1891)، ص 107.

([2]) صـفوت، احمـد زكـي، جمهرة رسائل العرب، ط1، مط مصطفى البابي الحلبي واولاده، (بلا ت)، 1/188- 189.

([3]) ابن حجر العسقلاني، الإصابة، 3/88.

([4]) الواقدي، فتوح الشام، 2/ 97.

مسروق احد قادة الفتح مع عياض بذلك صراحة عندما اعلمهم باجتماع الروم لهم خلف الدروب[1]، كما اظهرت تفاصيل كتب الصلح التي عقدها المسلمون مع أهل الرها[2] والرقة[3] رغبتهم العالية في ابلاغ الدعوة وتنفيذ امر الله تعالى غير مكرهين لأحد على دخول الإسلام، وبالتالي الانتقال صوب مناطق جديدة حاملين دينهم معلنين دعوتهم، إذ وصلت حملتهم الأولى ارمينية سنة (19هـ/640م) [4] تدعفهم الرغبة بابلاغ الرسالة بغية الفوز برضى ربهم عز وجل والجنة، وهي الحقيقة التي لم يستطع انكارها المؤرخون الأرمن أنفسهم[5].

وفي ايام الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وبعد وصول أنباء وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى هناك، اعلنت الكثير من نواحي ارمينية انتقاضها على الإسلام[6] واهله مما اضطر الخليفة عثمان إلى استنفار المسلمين للجهاد في سبيل الله تعالى هناك، الذين استجابوا بدورهم لنداء الحق عز وجل ونداء الخلافة رغبة في حماية الدين وردع الكافرين، أكد ذلك الوليد بن عقبه عامل الخلافة على الكوفة عصرئذ[7] وجواب حبيب بن مسلمة الفهري لزوجته عندما سألته: ((أين

([1]) الواقدي، فتوح الشام، 2/ 7-8.

([2]) الواقدي، فتوح الشام، 2/ 238- 240؛ الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 106.

([3]) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة ايام معدودة في الجزيرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/59.

([4]) العبد الغني، عبد الرحمن، ارمينية وعلاقتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، 653-1064م/ 33- 457هـ، ط1، مؤسس الكويت للتقدم العلمي، (الكويت 1989م)، ص 51.

([5]) اسكندر، فايز نجيب، الفتوحات الإسلامية الأرمينية، (11- 40هـ/ 632- 661م)، دار نشر الثقافة، (الإسكندرية 1983م)، 1/ 51.

([6]) غلوب، الفتوحات، ص 499.

([7]) ابن اعثم، الفتوح، 109/2.

مــوعدك؟ فقــال: سرادق الطاغية أو الجنة))[1] وذلك خلال إحدى معارك المسلمين ضد الكفر هناك.

بهـذه المعانـــي السامية لم تكد تحل سنة 30هــ/ 650م حتى فتح المسلمون أغلب مناطق الجزيرة منتهين إلى مدينة اركاب عاصمة ارمينية وقتئذ[2].

وفي إطار سياسة الدولة العربية الإسلامية في إبلاغ الرسالة الإسلامية إلى ما حــولها مــن الأمــم والشعوب ولكون الإسلام رسالة عالمية لكل البشرية، وحماية لفــتوحاتهم بالــشام اتجه المسلمون لفتح مصر وايصال الإسلام اليها سنة 18هــ/ 639م على الأرجح[3].

ويبدو أن معرفة عمرو بن العاص المسبقة بمصر وطرقها- جرّاء اتصالاته التجارية معها قبل الإسلام-[4] جعلته يستنهض الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عــنه) لتحريــرها مــن الشرك ونشر الإسلام فيها، بعد حضور الخليفة لتفتح بيت المقدس في تلك السنة[5]، ورغم ورود بعض الروايات التي تشير إلى تردد الخليفة عمــر في قبوله فكرة الفتح[6]، إلا أن ذلك لا يعني إحجام الخلافة على سياستها في

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، 2 278.

([2]) العبد الغني، ارمينية، ص ص 53- 54.

([3]) ابــن عبد الحكم، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، مط بريل (ليدن 1920)، ص 51؛ الــسيوطي، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، مط ادارة الوطن، (مصر 1299هــ)، ص 63.

([4]) ينظر: ابن عبدالحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 53- 55؛ الكندي، محمد بن يوسف، كتاب الــولاة وكــتاب القــضاة، مهــذب ومصحح بقلم: رفن كَست، مط الآباء اليسوعيين، (بيروت 1980م)، 22/1.

([5]) الطبري، تاريخ، 104/4؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ص 63.

([6]) ابــن عــبد الحكــم، فتوح الشام، ص 56؛ الكندي، ولاة مصر، تحقيق: د.حسين نصار، دار صــادر، (لبنان 1959م)، ص 30؛ بتلر، الفريد ج، فتح العرب لمصر، عربة: محمد فريد ابو حديد، لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1946)، ص 145.

الجهـاد والفتح والاكتفاء بمن وصلته الدعوة سواء بالعراق والمشرق ام بالشام، بل كـان ذلك على ما يبدو نابعاً من حرصه على سلامة المسلمين خشية تعرضهم إلى هلكة وهي سمة بارزة من سماته القيادية[1] كما ان مثل هذه الروايات قد تكون من اصطناع الشعوبيين بهدف إظهار الخليفة عمر (رضي الله عنه) بمظهر المتردد في اتخاذ القرارات الحاسمة وهذا ما يخالف كل الشواهد التاريخية التي تنفي نسبة مثل هذه الصفة إليه.

وسارع المسلمون إلى تلبية نداء الجهاد مع القائد عمرو بن العاص الذي أخذ يـستنفرهم للجهـاد ادراكـاً منه لما سيلاقيه من مقاومة من قبل الروم هناك ومن يـتحالف معهم إذ ندبهم قائلاً: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ {10} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[2] ومذكراً إياهم بفضل الجهاد[3].

ومما هو جدير بالإشارة إن حجم قوة المسلمين المتجهة مع عمرو بن العاص التـي تراوحت ما بين ثلاثة الآف إلى أربعة الآف مقاتل[4] لو لاحظناها لوجدناها قليلة قياساً لما تمتلكه مصر آنذاك من قوة بشرية من روم وسكان البلاد، فضلاً عن التحصينات الدفاعية الكبيرة التي كانت تحيط مدنها[5] بالتالي فإن الإقدام على فتحها بهـذه القـوة الإسـلامية يكاد يكون في خطر كبير على المسلمين وربما يخيل إلى البعض انها غارات اقتصادية[6] تستهدف السلب والمغنم كغارات القبائل العربية قبل

([1]) ينظـر: الأزدي، فـتوح الـشام، ص 103، 147؛ البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 183؛ الطبري، تاريخ، 105/4.

([2]) الصف آية 10-11.

([3]) ابـن إسـحاق، محمد بن إسحاق الأموي، فتوح مصر وأعمالها، مط الحجر الباهرة، (مصر 1175هـ)، ص 37.

([4]) ابن عبد الحكيم، فتوح مصر، ص 56؛ الكندي، كتاب الولادة، ص 8-7.

([5]) ينظر: بتلر، فتح العرب، ص 156.

([6]) بتلر، فتح العرب، ص 59؛ بليايف، العرب والإسلام، ص 180.

الإســـلام، ولكن وقائع الفتح اظهرت بجلاء كون الجهاد في سبيل الله وابلاغ دعوة الإســـلام هو الباعث الأول وراء اندفاع المسلمين إلى مصر، هي حقيقة لم ينكرها رســـل المقـــوقس- حاكم مصر- في لقاء لهم مع جند الإسلام اثناء حصار حصن بابليون، إذا أبلغوا المقوقس عن المسلمين انهم ((ليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلا قـــدر بلغة العيش من الطعام واللباس))[1] فلو لم يكن إلا الجهاد- اولاً- لما اندفعوا من الشام مدداً لإخوانهم بمصر مؤثرين مجالدة المشركين على مغانم وثروات الشام وهـــي حقـــيقة أكدها الزبير ابن العوام لما استنفره الخليفة عمر للذهاب إلى مصر بقـــوله: ((ولكنـــي أخـــرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً))[2] وبالتالي فإن ذلك يعكس رســـوخ العقـــيدة لدى المجاهدين المسلمين وعَدّهم الجهاد حالة متواصلة مع جهاد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للمشركين، إذ أن الكثير من قادة وجند الفتح آنذاك هم من الصحابة والتابعين.

وعمـــلاً بالسنة النبوية في دعوة المشركين قبل مبادئتهم القتال[3]، أصر القائد عمـــرو بن العاص ألا يقبل من المقوقس إلا الخلال الثلاث التي أمر الله تعالى بها، وذلك لما بعث إليه رسله يعرضون عليه الأموال[4] مقابل انسحاب المسلمين وترك مـــا عزموا عليه، وهذا يأتي تاكيد آخر على ان الغاية التي خرج لأجلها المسلمون أســـمى من عروض الدنيا، لهذا عقدوا العزم على ألا يعودوا حتى يتم ما أمروا به مـــن ابـــلاغ الرسالة وهي مسألة افصح عنها عبادة بن الصامت[5] للمقوقس بقوله:

([1]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص71.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص299.

([3]) ينظر: ابو داود، السنن، 37/3؛ مسلم، الصحيح، 12/ 37.

([4]) ابـــن عـــبد الحكم، ابي القاسم عبد الله بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامـــر، لجـــنة البـــيان العربي، (القاهرة 1965م)، ص 97؛ فتوح مصر واخبارها، ص 65؛ السيوطي، حسن، ص 66.

([5]) عـــبادة بن الصامت: ابن قيس بن احرم بن فهر .... بن الخزرج الأنصاري، شهد العديد من المشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أبن الأثير، اسد الغابة، 56/3.

((إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في الدنيا ولا حاجة للأستكثار منها.. لان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليلة ونهاره وشملة يلتحفها))[1] تلك هي نية المسلمين الأساس ورغبتهم كما اعرب عنها مبعوثهم إلى المقوقس وليس رغبات الاشخاص وطوحاتهم الفردية بل إن الغالبية من المقاتلة كانت نيتهم الجهاد والشهادة دون ذلك أقتداءً بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبصحابته بالرغم مما اتبعه- المقوقس- من أسلوب التهديد والوعيد بكثرة جموع الروم وما سيلقى المسلمون على ايديهم[2].

بتحقيق المسلمين للعديد من الانتصارات- تدفعهم الروح الجهادية والتعفف عن عروض الدنيا-[3] على الروم ومن معهم في الفرما وحصن بابليون ومناطق اخرى من مصر، اصبح الخليفة عمر (رضي الله عنه) أكثر اطمئناناً على سلامة- الجند- على مايبدو-، لذا اخذت كتبه تترى على عمرو بن العاص لما ابطأ بفتح الاسكندرية موجهاً إيّاه بضرورة حث المقاتلة على الجهاد وترغيبهم بالصبر[4] وإن هذا ليدل دلالة أكيدة على أن الخلافة وقادتها كانوا كثيراً ما يستنهضون المقاتلة من خلال تذكيرهم الدائم بفضل الجهاد وجزاء المجاهد ومكانته عند الله عز وجل، مما يعني شيوع الروح الجهادية لدى المسلمين والحماس للقتال في سبيل نشر الإسلام، أكثر مما هي اغراءً لهم بالمغانم التي هي شيء أحله الله تعالى لهم وهي نتيجة

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 66؛ فتوح مصر والمغرب، ص 99؛ ابن تغري بردي جمال الدين أبي القاسم، النجوم الزاهرة، في اخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر بلا ت)، 12/1- 13.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 67؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 15/1.

(3) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 93- 94؛ فتوح مصر واخبارها، ص71؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 9/1؛ السيوطي، حسن، ص 67- 68.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 79.

جهـاد المسلمين إن جاهـدوا بـلا شك وليست غاية اساس، لذا فقد أتموا فتوح الاسكندرية واجزاء أخرى من مصر من السيطرة الرومية- بالرغم من كل ما لقوه مـن مقاومـة- وجعلها داراً للإسلام واهله بحدود سنة 21هـ/ 642م، وما يؤكد المقاصـد الجهاديـة مـن وراء فـتح مصر اشارة الخليفة عمر (رضي الله عنه) بـضرورة ابقـاء أرضـها وعـدم اقتسامها بين الفاتحين ((حتى يغزو منها حبل الحبله))[1] أي جعلها قاعدة لانطلاق ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى إلى أمام.

أمـام حرص المسلمين على نشر الإسلام وتوسيع رقعته وحماية لفتوحهم في مصر والشام من الخطر البيزنطي المحتمل، شهدت خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عـنه) أفتـتاح افريقية[2] الى جانب الفتوح الأخرى- التي أحجم المسلمون عن فـتحها قبل ذلك[3] حيث وجه عبد الله بن سعد بن ابي سرح- الذي ولاه مصر بعد عزل عمرو بن العاص عنها 25هـ/ 645 م-[4] للجهاد هناك وقد أظهرت لقاءات المـسلمين مـع اصـحاب الممالك البربرية الصغيرة هناك عزيمتهم على ضم تلك المـناطق إلى حضيرة الإسلام فهذا عبد الله بن سعد يصرّ على ألا يعود المسلمون مـن حيث أتوا إلا أن يسلم جرير[5] باحد الخلال الثلاث التي أمر الله تعالى بها[6]، وينطـبق الأمر نفسه على عقبة بن عامر أحد قادة سرايا الفتح التي بادر إلى إبلاغ

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 300.

([2]) الجاحظ، العثمانية، ص 94- 95.

([3]) ابـن عـبد الحكـم، فتوح مصر وأخبارها، ص 79؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 146؛ ابن اعثم، الفتوح، ص132.

([4]) اليعقوبي، تاريخ، 154/2.

([5]) جرجيـر، حـاكم افريقية من قبل الروم ويمتد ملكه من طرابلس إلى طنجة، ينظر: خطاب، محمـود شـيت، عقبة بن نافع الفهري، ط3، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1971م)، ص 81.

([6]) اليعقوبي، تاريخ، 155/2؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 135.

صـــاحب مملكـــة المعلقـــة[1] بالدعوة إلى الإسلام إلا انه اصر على شركه[2] مما اضطرهم إلى قتاله ودحره.

وقـــد أظهـــرت خطبة الفضل بن العباس- إن صحت رواية الواقدي- عزم المسلمين وصدق نيتهم إذ قال: ((واعلموا أن الله فرض عليكم الجهاد وقتل الأعداء وان الأحـــب إلـــى الله عز وجل قطرتان قطرة دم جرت في سبيل الله وقطرة دمع جـــرت من خشية الله))[3]، وقد صمدوا حتى حققوا النصر على جرجير ومن معه واضطر إلى دفع الجزية.

ويتبين للمتبع مجريات احداث الفتح أنه لو لا الفتنة التي عمت الأمة الإسلامية في النصف الثاني من خلافة عثمان (رضي الله عنه) لكان الإسلام قد امتد إلى أبعد مما وصل إليه، لا سيما إلى الأندلس، لأن الخليفة عثمان هو صاحب فكرة فتح تلك النواحـــي من خلال ارساله السرايا الأولى إلى هناك على ما رواه الطبري واكدته المصادر الأخرى[4]، وهذا يخالف ما ذهب إليه بعض المؤرخين المحدثين من ان انحـــسار حركة الجهاد والفتح الإسلامي كانت السبب الأساس وراء اندلاع الفتنة[5] وربما يكونون قد اعتمدوا على رواية منفردة اوردها ابن اعثم الكوفي في فتوحه لم يذكـــر سندها التاريخي مما يجعلها موضع شك من الناحية العلمية[6] أو هو استنتاج خاطئ توصلوا اليه.

([1]) المعلقـــة: يقول ياقوت عنها: "اسم موضع تنسب اليه الحُمر وهي خبراء بالدهناء سميت بذلك لانهـــا تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن" معجم البلدان، 157/5، لكن تلك البلدة بالمغرب لم يرد تعريف لها بالمصادر المتيسرة لي.

([2]) الواقدي، فتوح افريقية وتونس، مط المنار، ومكتبتها، (تونس 1966م)، 50/1، 63- 64.

([3]) الواقدي، فتوح افريقية وتونس، 1، 64.

([4]) تاريخ الرسل والملوك، 4/ 255، ينظر، الفصل الرابع من هذه الرسالة.

([5]) فلهاوزن، الدولة العربية، ص 41- 42.

([6]) ابن اعثم، الفتوح، 2/ 179.

دوافع الجهاد في فتوحات العصر الأموي:

لم تكد الدولة العربية الإسلامية تتخلص من المشاكل والفتن الداخلية وتستتب بها الأمور بعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة عام الجماعة (41هـ/661م)[1]، حتـــى أخــذت الخلافة على عاتقها مهمة استئناف الفتوح وعلى مختلف الجبهات، ومهمــا اختلف المؤرخون في تفسيرهم لحركة الفتح في العصر الأموي وتسويغها، فإنها تظل جزءاً مكملاً للفتوح الإسلامية الأولى التي استهدفت أساساً كسر الحواجز التي كانت حائلاً أمام أبلاغ الرسالة الإسلامية وإيصالها إلى الناس كافة [2].

ومن هذا المنطلق وتنفيذاً لما أمر الله جل وعلا به من تبليغ رسالته إلى الأمم والشعوب وعملاً بسنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بهذا الخصوص وجرياً على سياسة أسلافه من الخلفاء الراشدين، اخذ الخليفة معاوية بتوجيه جند الفتح الإسلامي علـــى جبهات عديدة، ومهما حاول البعض تعليل استئناف الفتوح في عهده بأسباب سياســية مبعــثها ((تفنــيد مـــا حيط بسمعته الدينية من شبهات يثيرها أشياع على وصـــحابة المدينة))[3]، فإن الوقائع التاريخية تثبت بعين اليقين أن الرغبة في نشر الإســلام وتوسيع رقعته بإنضمام أمم جديدة تنفيذاً لأمر الله تعالى بذلك، هي الهدف الأسمى والباعث الرئيس وراء تلك الفتوح، لاسيما إذا علمنا ان الخليفة معاوية هو أحــد صـــحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) وكتّاب وحيه البارزين وأن له مشاهد جهادية لا تنكر على جبهة الشام وبحر الروم ايام الراشدين وقبل توليه الخلافة[4].

---

(1) الطبري، تاريخ، 162/5- 163.

(2) العمــد، إحــسان صدقي، الحجاج بن يوسف الثقفي حياته وآراؤه السياسية، ط1، دار الثقافة، (بيروت 1973م)، 343.

(3) غلوب، الفتوحات، ص 629.

(4) ينظــر: الــبلاذري، فــتوح البلدان، ص 1150، 175، 191- 193، 208- 209، 255؛ الزبيــري، نــسب قريش، ص 124؛ ابن اعثم، الفتوح، 238/2 وما بعدها؛ العدوي، ابراهيم احمــد، الامويون والبيزنطيون في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة بلا ت)، ص 46- 56، مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، جامعة الاسكندرية، (مصر 1973م)، ص 282- 285.

وإذا كانــت الظــروف عصرئذ قد أملت على الخلافة الأموية ان ترد على المخاطــر البيــزنطية والاعتداءات المتكررة لهم على حدود دار الإسلام، بسبب ما حــصل من فتن داخلية- السبب الرئيس وراء وصول جحافلها البرية والبحرية إلى مــشارف القسطنطينية سنة 54هـــ/ 673 م[1] فإن الجهاد والرغبة في نشر الإسلام هو الباعث الأسمى لدى المقاتلة المسلمين الذي جعلهم مصرين على فرض الحصار عليها الصمود أمام كل الظروف العصبية التي ألمت بهم هناك لمدة تقرب من ست سنوات من مقاومة بيزنطية شديدة وحصانة المدينة والظروف التي المت بهم هناك لمدة تقرب من ست سنوات من مقاومة بيزنطية شديدة وحصانة المدينة والظروف المناخية الصعبة والابتعاد عن الأهل والأموال وعن مقر الخلافة بالشام- اضطروا فـــي النهاية إلى رفع الحصار سنة (60هـــ/ 679م) وعقد الهدنة مع أهلها[2]، ومما يـــدل على تشبع نفوس المسلمين بروح الجهاد هو إصرار أبي أيوب الأنصاري[3] الذي وافاه الأجل هناك على أن يدفن عند أسوار العاصمة البيزنطية[4].

وبتلك المعاني الجهادية نفسها استأنف المسلمون الفتوح على الجبهة الغربية، وقد أظهرت خطب القائد عقبة بن نافع الفهري- الذي يمثل بدوره الخلافة- عزيمة المــسلمين علـــى نـــشر الإسلام والقضاء على مظاهر الشرك هناك وجيوبه، حيث

([1]) قدامـــة ابن جعفر، الخراج، ص 351؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 145، مجموعة باحثين، تاريخ البحـــرية المصرية، ص 290؛ العدوي وسالم، ابراهيم وعبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، جامعة بيروت، (بيروت 1972م)، ص 33.

([2]) العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 167؛ العدوي وسالم، تاريخ البحرية المصرية، ص 33 ينظر ايضاً مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 290.

([3]) أبـــو ايـــوب الانـــصاري، خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه.. الأنصاري الخزرجي، شهد عدة مشاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغزا مع يزيد بن معاوية؛ ابن الاثير، اسد الغابة، 25/5.

([4]) ابـــن عـــبد ربـــه، العقـــد الفريد، 3، 367/4- 368، مط لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1944م).

خطب المقاتلة لما عزم على فتح تاهرت[1] قائلاً: ((وأنتم في دار غربة وإنما بايعتم رب العالمين وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لمرضاته وإعــزازاً لديــنه))[2] وأكدها مرة أخرى عندما بلغ المسلمون في جهادهم مالبان[3] علـــى ســاحل البحر المحيط بقوله ((اللهم أشهد اني قد بلغت المجهود، ولولا هذا لمــضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك))[4]، وبالتالي فإن تلك الشواهد التاريخية وغيرها تظهر بجلاء رغبة المسلمين رعاة ورعية بالجهاد في الله تعالى وإعزازاً لدينه من وراء تلك الفتوح وعلى مختلف الجبهات.

واوضحت الاحداث في العصر الأموي حقيقة لابد من الإشارة اليها وهي أن الفــتوح جهــاداً فـــي سبيل الله تعالى وتبليغاً لرسالته لم تتوقف- في القرن الاول الهجري خاصة- إلا لفترات قصيرة بسبب حالات الفتنة والاضطراب الي عصفت بالدولـــة الأموية، إلا انه مع ذلك فإن معظم الخلفاء والولاة وعلى اختلاف أسمائهم وعهــودهم كانـــوا يدركــون بيقين راسخ ان واجب الدول العربية الإسلامية الاول مواصلة الجهاد والفتح حتى ينجز الله جل وعلا وعده ويظهر دينه.

ومما يؤكد ذلك ان الخلافة حال تخلصها من عواصف الفتنة التي عمتها بعد وفـــاة الخلـــيفة يزيد بن معاوية (64 هــ/ 683م)، سارعت إلى استئناف الفتوحات

([1]) تاهرت: اسم مدينتين باقصى المغرب العربي يقال لاحداهما تاهرت القديمة والاخرى تاهرت الحديثة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/7-8.

([2]) المالكي، ابن بكر عبد الله بن ابي عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء افريقية وزهادهم وعــبادهم ونــساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، قام على نشره: حسين مؤنس، ط1، مكتــبة النهــضة المصرية، (القاهرة 1951م)، 1/23- 24؛ القيرواني، الرقيق، تاريخ افريقية، تحقيق: المنجعي الكعبي، (تونس 1968م)، ص 43- 44.

([3]) مالــبان: بلــد بأقصى بلاد المغرب ليس وراءه غير المحيط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 43/5.

([4]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 199؛ فتوح مصر والمغرب، ص 268؛ المالكي، رياض النفوس، 25/1.

جهـــادا في الله تعالى وتكفيرا عما احدثه المسلمون من المعاصي بقتالهم فيما بينهم وتشاغلهم عن الجهاد مهمتهم الأولى، وهي حقيقة أظهرتها خطبة الخليفة عبد الملك بن مروان (65- 68هـ/ 684- 507م) لما أنتدب المسلمين للجهاد مع ابنه مسلمة علـــى جبهة الروم(1)، كما كان تدافع المسلمين للالتحاق بجيوش الجهاد المتجهة إلى هـــناك ((راغبـــين بالجهاد))(2) مع مسلمة أن نيتهم الأولى مجاهدة الكفار واعزاز للإسلام(3).

كمـــا شهدت خلافة عبد الملك فتوحاً عدة على جبهة المشرق الإسلامي، كان الجهـــاد عـــاملاً رئيـــسياً في اندفاع المسلمين إلى هناك ولمسافات بعيدة، وهو امر اوضـــحه شـــريح بن هاىء الحارثي عندما انب القائد عبيد الله بن أبي بكرة على رغبـــته فـــي عقد الصلح مع رتبيل-ملك الترك بسجستان ونواحيها- اتقاءً لخطره المحـــيق بالمسلمين(4) إذ قال: ((ونحن إنما قدمنا هذه البلاد للجهاد فلا متنا هنا إلا كراماً لا نشتري الكفر بالإيمان واللؤم بالكرم))(5).

ومـــن الجدير بالذكر ان حالة الاستنفار الطوعي للفتح والجهاد من قبل عموم المـــسلمين قد اصبحت بمرور الزمن اقل كثيراً مما كان عليه الحال أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، ويبدو أن هناك أسباباً عديدة تكمن وراء ذلك، منها وفاة الكثير من الصحابة وكبار التابعين بتقادم الزمن الذين كان لهم الدور

---

(1) ابـــن اعثم، الفتوح، 7/167- 168؛ دكسن، عبد الأمير عبد حسين، الخلافة الأموية، (65-86هـ/ 684- 705م)، دراسة سياسية، ط1، دار النهضة العربية، (بيروت 1973م)، ص41.

(2) ابن اعثم، الفتوح، 7/170.

(3) ابن اعثم، الفتوح، 7/171- 184، 191، 301.

(4) للتفاصـــيل ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، مطبعة يولس أبل، غريفزولد، 1883م، 11/ 311 وما بعدها.

(5) البلاذري، انساب الأشراف، (مخطوطة مكتبة الدراسات العليا كلية الآداب جامعة بغداد تحت رقـــم 1639 تـــاريخ) ج6 ورقة 25 ب؛ المرغني، الحسن بن محمد، غرر السير، مخطوط، (المجمع العلمي العراقي تحت رقم 1814 تاريخ، هدية د. عبد الامير دكسن) ورقة رقم 30.

البارز في استنهاض المسلمين للجهاد وحثهم وتذكيرهم بجهاد النبي (صلى الله عليه وسلم) وبفضل الجهاد ومكانة المجاهدين، علاوة على ذلك تحول القسم الأكبر من الأمة الإسلامية من أمةٍ مجاهدة تنشر الإسلام وتحمل السيف لإزالة ما يعترض طريق الدعوة إلى أمة تميل في سلوكها إلى الأستقرار وجمع الثروات والتشاغل بالدنيا ولاسيما بعد تجمع الثروات كنتيجة حتمية من نتائج الفتوحات الأولى إذ ((لم تبق دور الهجرة مراكز عسكرية بل تحولت إلى مجتمعات حضرية نشطة بمختلف الفعاليات المدنية وقد تمثل هذا التحول في النواحي الاجتماعية والاقتصادية كما تمثل في النواحي الفكرية))[1]، فقد ظهرت الأحزاب السياسية الناتجة عن الاضطرابات والفتن[2]، مما جعل حالة الاستنفار والاستجابة الطوعية لنداء الخلافة تقل كثيراً عما كان قبل ذلك وربما كان نكاية بالخلافة نفسها أو بعمالها وهو الأمر الذي جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يصدر أوامره بضرب عنق من أخل بالثغر[3].

إلا ان ذلك كله لم يكن ليثني الخلافة الأموية عن مواصلة الجهاد في سبيل الله فقد ((كانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك قد علت كلمة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها))[4]، إذ شرعت- الخلافة الأموية- بتنفيذ عدة اجراءات بهذا الشأن، منها ان الحجاج بن يوسف الثقفي عاملها على العراق والمشرق (75- 95هـ/ 694- 713م) جند المقاتلة من عرب العراق بالقوة ولجأ إلى قتل من تخلف بغير عذر منهم عن الالتحاق بالحملات الجهادية[5]

([1]) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط3، دار الطليعة، (بيروت 1969م)، ص23.

([2]) عون، عبد الرؤوف، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، (مصر 1961م)، ص102.

([3]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 380/4.

([4]) ابن كثير، البداية والنهاية، 87/9.

([5]) ينظر: الطبري، تاريخ، 204/6- 205، 207؛ ابن خلدون، تاريخ، 41/3- 42.

وضرب البعث على الفتيان منذ اول بلوغهم فارضا التجنيد الاجباري لتوفير اكبر عدد ممكن من المقاتلة للجهاد(1)، كما جعل العطاء للمسجلين من الجند في الديوان متوقفاً على تلبيتهم نداء الجهاد وانخراطهم في صفوف المقاتلين(2) وهي نفس السياسة التي اتبعها الخليفة هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/ 724- 743م) فيما بعد مع الوليد بن يزيد وأصحابه(3) ووضفت الخلافة الاموال الكبيرة لأجل ديمومة الجهاد ودفع الفتوح إلى أمام(4)، بل أنها كانت لا تبالي فيما تنفق لأجل انفاذ ذلك الأمر وقد اعترف رتبيل ملك الترك نفسه بهذه الحقيقة إذ قال ((كان الحجاج رجلاً لا ينظر فيما أنفق إذا ظفر ببغيته ولو لم يرجع اليه درهم))(5).

وبعزيمة الخلافة وباجراءاتها الحازمة دخلت الفتوحات الإسلامية برسم الجهاد على مختلف الجبهات مرحلة متقدمة بولاية الوليد بن عبد الملك أمر الأمة (86- 96هـ/ 705- 715م) إذ نشط في عهده الجهاد(6) ((وفتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة وعاد الجهاد شبيهاً بايام عمر رضي الله عنه))(7)، واذا كانت تلك الفتوح تعد الموجة الثانية من الفتوحات الإسلامية فإن ذلك ناتجاً- بالتأكيد- عن

---

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 1/ 274.

(2) العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ط2، دار الطليعة، (بيروت، 1969م)، ص 160.

(3) الطبري، تاريخ، 213/7.

(4) ينظر: مثلاً نفقات الخلافة على جيش الطواويس المتجه لقتال رتبيل: الطبري، تاريخ، 329/6 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 454/4.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص 564.

(6) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مط السعادة، (مصر 1953م)، 223.

(7) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 227؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 3/ 327؛ السيوطي، تاريخ، ص 223.

الاستقرار السياسي والتطور الاقتصادي اللذين عما الامة وقتذاك، وعن رغبة الخلافة الشديدة بالمضي برسالة الإسلام إلى الأمم الاخرى.

واتبع الخليفة الوليد سياسة قائمة على مد الفتوح أبعد ما يمكن إلى الأمم كافة مما نتج عنها ايصال الإسلام إلى مناطق بعيدة، فقد شهدت خلافته فتح محمد ابن القاسم الثقفي إقليم السند وجنوبي البنجاب واخضاعها للسيادة الإسلامية ما بين السنوات (89- 96هـ/ 707- 714م) [1] متخذاً من الملتان[2] أول عاصمة للعرب المسلمين في الهند[3]، وما يؤكد كون غاية المسلمين نشر الإسلام في تلك النواحي هو تشييدهم المساجد حالما يتم فتح المدينة لأجل إقامة شعائر الدين[4]، إلى جانب الدعوة السلمية إلى الإسلام الموجهة إلى ملوك تلك الأقاليم كما حصل في خلافة عمر بن عبد العزيز[5].

وتنفيذاً لسياسة الخلافة تلك اتم المسلمون فتح مناطق خراسان على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، وقد افصحت تفاصيل الفتح عن غايات المسلمين في إيصال الرسالة الإسلامية إلى هناك كما أظهرت ذلك وصية الحجاج لقتيبة عند توجيهه لفتح خراسان[6] وكذلك خطبة قتيبة بالجند لما عزم على تنفيذ ذلك[7]، علاوة على

---

(1) للمزيد من التفاصيل ينظر: السامرائي، عبد الرزاق احمد، اقليم السند والبنجاب في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مطبوعة الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1987م، ص 104 وما بعدها.

(2) الملتان، مدينة من نواحي الهند قرب غزنة الها مسلمون منذ قديم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 189.

(3) الغامدي، د. محمد حذيفة، الفتح الإسلامي لبلاد السند، 092- 96هـ/ 711- 715م) حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة الرسالة الثانية والخمسون، (الكويت 1988م)، ص 47- 48.

(4) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 614، 617؛ السامرائي، اقليم السند، ص 112، 118- 119.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص 620.

(6) ابن اعثم، الفتوح، 201/7.

(7) الطبري، تاريخ، 424/6؛ ابن اعثم، الفتوح، 217/7.

هذا كله سعى قتيبة جادا إلى تثبيت الإسلام ونشره سلميا دون إكراه لاحد هناك، من خلال إقامة المساجد في كل منطقة يفتحها المجاهدون فقد ذكر النرشخي (ت328هـ) ذلك في حديثه عن مدينة بخارى[1] ونواحيها بقوله ((أفشنه لها قلعة كبيرة.. وفلوات هذه القرية وقف على طلاب العلم وقد بنى قتيبة بن مسلم هناك مسجداً جامعاً كما بنى محمد بن واسع ايضاً مسجداً))[2] وأسس في مدينة شيان مسجداً أخر ايضاً[3]. لو لم يكن إلا الرغبة في نشر الإسلام بين السكان هناك سلمياً مع أهل بخارى ((ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم فيظلوا مسلمين... فأظهر الإسلام بهذه الطريقة وألزمهم باحكام الشريعة وبنى المساجد وازال آثار الكفر))[4] كل تلك الأجراءات جاءت ايضاً رداً على حالات الكفر بعد الإسلام من قبل اهل تلك المناطق[5].

على الرغم من كل تلك الفتوح ونشر الإسلام، لم يكن ذلك ليوقف سير الجهاد أو ليضع حداً لعزيمة الخلافة على إمضائه، فهذا الحجاج- الذي يمثل الخلافة بلا شك- وهو في الرمق الأخير يوصي القائد قتيبة قائلاً: ((فأنظر يا قتيبة ان تكون أشد مما كنت في أمر الله وجهاد الكفار. والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير))[6]، تلك الوصية ومثلها قد ترجمت إلى سياق عمل جهادي

([1]) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر واجلها يعبر اليها من آمل الشط وبينها وبين جيجون يومان، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 353/1.

([2]) النرشخي، ابي بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له وحققه: د. أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله بشر الطرازي، دار المعارف، (مصر بلا ت)، ص31-32.

([3]) المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، مط بريل، (ليدن 1906م)، ص 303.

([4]) النرشخي، تاريخ بخارى، ص 73.

([5]) النرشخي، تاريخ بخارى، ص 73.

([6]) ابن اعثم، الفتوح، 7/ 248.

للمسلمين الذين اصرّوا على الا يعقدوا الصلح مع غوزك ملك سمرقند إلا بعد ان يخلي المدينة لقتيبة ((فلا يكون لهم فيها مقاتل فيبني له فيه مسجداً فيدخل ويصلي، ويوضع له فيها منبراً فيخطب))[1] إن كلما تقدم يأتي تأكيداً واضحاً على ان الباعث الأسمى لفتوح المسلمين هو الجهاد في الله تعالى إبلاغاً لدعوته ونصرة لها.

ولم يتوقف جهاد المسلمين على الجبهة الغربية- كما هو الحال مع بقية الجبهات- بل على العكس فقد أكد قادة الفتح الإسلامي هناك مراراً على الدوافع الجهادية وراء الإنسياح الإسلامي في العصر الأموي[2]، وقد شهدت خلافة الوليد بن عبد الملك جواز أول سرية للمسلمين إلى الأندلس ((برسم الجهاد))[3] مع طريف البربري مولى موسى بن نصير في سنة 91هـ/ 710م[4]، ومهما اختلفت التفسيرات للاندفاع الإسلامي نحو الأندلس فإن الجهاد- نشراً للإسلام وحماية له- يظل الباعث الأسمى وراء ذلك[5]، إذ كان من الطبيعي ان تتجه أنظار المسلمين بعد أن فتحوا بلاد أفريقية الشمالية حتى سواحل البحر المحيط محررين إياها من الشرك صوب الأندلس، لا سيما وأن جلّ جند طارق بن زياد هناك من البربر الذين كانوا ((على علم تام بأهمية العلاقات بين شمال افريقية واسبانيا وأنهم كانوا- ولا ريب-

---

([1]) الطبري، تاريخ، 475/6؛ ابن نباته، جمال الدين بن نباته المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة 1964م)، ص190.

([2]) المراكشي، ابن عذارى ابو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار المغرب، مط المناهل، 1950م، 3/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 245/3.

([3]) المقري، احمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، (بيروت 1968م)، 299/1.

([4]) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد، (العراق 1982م)، ص 161.

([5]) الحجي، عبدالرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1، دار القلم، بيروت دار القلم الرياض، الكويت 1976م، ص 43- 44.

يعلمـــون عـــن خصب وغنى الجزيرة وعن خطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية وضعف دولة الغوط الغربيين بصورة عامة))[1]، كل تلك الأسباب فضلاً عن أسباب أخرى سيتم تناولها في فصل لاحق كانت وراء جواز المسلمين الذين كانوا ((يرون هـــذا الجهاد مما يزيد سواد المسلمين ويضمن لهم الجنة"[2]، وقد كانت الدعوة إلى الإســـلام وتوحـــيد الله عز وجل هاجس المسلمين ومطلبهم كلما سنحت لهم فرصة للـــتفاوض مـــع أهل الأندلس[3]، كما تواصلوا في فتوحهم وجهادهم حتى بعد عودة طـــارق وموســـى الـــذي كان "متلهفاً على الجهاد الذي فاته اسيفاً على ما لحقه من الأزعاج، سنة 95هـ/ 713م))[4].

وشـــهدت خلافـــة عمر بن عبد العزيز (99- 101هـ/ 717- 720م) ومن باب الدعوة السلمية إلى الإسلام، وجريا على سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحرصاً منه على سلامة المسلمين- كما هو حال الخليفة عمر بن الخطاب- إرسال الرســـائل إلـــى الملـــوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة لأمر الله جلّ وعلا على أن يملكهـــم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم[5]، فقد كتب إلى ملك الروم ليو الثالث (717- 802م) يدعوه إلى الإسلام[6] ووجه الأمر إلى عمال الخلافة بأن ((من كان

([1]) طـــه، الفـــتح والاســـتقرار، ص161؛ ينظر ايضاً كاشف، سيدة، الوليد بن عبدالملك، أعلام العرب، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة و النشر، (مصر بلا ت)، ص 136.

([2]) أرسلان، شكيب، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، (بيروت بلا ت)، ص 31.

([3]) ينظر دعوة المسلمين لاهل قرطبة، المقري، نفح الطيب، 1/ 263.

([4]) أرسلان، تاريخ، ص 277.

([5]) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها وصححها وعلق عليها: احمد عبيد، ط5، دار العلـــم للملايين، (بيروت 1967م)، ص 94- 95؛ الندوي، محمد اسماعيل، العلاقات بين الهند والبلاد العربية، ط1، دار الفتح للطباعة، (بيروت بلا ت)، ص 41.

([6]) المبـــرد، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، دار النهضة، (مصر بلا ت)، 2/111- 112؛ ينظر أيضاً: ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 102

الـــيوم محاربـــا فليدع إلى الإسلام قبل ان يقاتل فإن اسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم وله ما اسلم عليه من أهل ومال))[1].

كـــل تلـــك الاجراءات تأتي في إطار رغبة الدولة العربية الإسلامية بدعوة الـــناس كافـــة سلماً إلى الدين الحق، والنابعة من جوهر الإسلام من غير قسر ولا إكراه لأحد.

وكانـــت الخلافة ايام هشام بن عبدالملك (105- 120هـ/ 724- 743م) قد شـــهدت جملـــة من الفتوح، وبالرغم من أن الدافع- الآني- من ورائها يتمثل برد التحديات والأخطار الخارجية إلا ان الجهاد تبليغاً للإسلام لم يغب عن بال المسلمين آنـــذاك، فقد ذكر اليعقوبي (ت 284هـ) في رواية له أن الجنيد بن عبد الرحمن- أحـــد قادة الفتح في ذلك الوقت- قد أوغل في (("بلاد السند ودوخها حتى صار إلى ارض الخـــزر ثـــم إلى الصين ودعا ملكها إلى الإسلام))[2]، وعلى الرغم من عدم الجزم في صحة هذه الرواية لعدم تأييدها من قبل المصادر الاخرى كالطبري مثلاً إلا أنها تعطي تأكيداً على كون نية المقاتلة المسلمين آنئذ الجهاد في سبيل الله تعالى والتي تتأكد من خلال استجابة سعيد بن عمرو الحرشي.. رغم ضعف بصره ووهن قوته- للخليفة هشام عندما انتدبه لنجدة المسلمين بعد استشهاد الجنيد بقوله: ((يا أمير المؤمنين هذا يوم يبصر فيه الأعمى ولا مخباء لعطر بعد عروس))[3] والذي انطلق مجاهداً ((لايمر بمدينة إلا ويستنهض أهلها فيجيبه من يريد الجهاد))[4].

إن كـــل تلـــك المعانـــي الجهاديـــة المتكررة طوال سني الفتح في العصرين الراشدي والاموي تثبت بيقين تام حقيقة أن الجهاد في سبيل الله تعالى الدافع الاسمى والاول وراء انـــسياح المـــسلمين مـــن جزيرتهم- على بساطة عدتهم وقلة عددهم

([1]) ابن عبد الحكم، سير عمر، ص 94- 95.

([2]) تاريخ اليعقوبي، 59/3.

([3]) ابن اعثم، الفتوح، 43/8-44.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 160/5.

مقارنة بامم الشرك الأخرى في بداية الامر - يحملهم الإيمان بالله تعالى والرغبة في إيــلاغ الرســالة الإسلامية إلى الإمم الأخرى بالحجة والاقناع تارة وبالسيف إذا ما اعتــرض طــريقهم عــارض يحــاول ردها تارة اخرى، متخطين فتنهم الداخلية ومسخرين طاقات دولتهم الفتية لأجل ديمومة الجهاد حتى يظهر الله عز وجل دينه كما وعد.

الفصل الثاني

الدوافع الاقتصادية

الفصل الثاني

الدوافع الاقتصادية

الحياة الاقتصادية في شبه جزيرة العرب

مـن أجـل أن نفهم طبيعة الحياة الاقتصادية السائدة في جزيرة العرب إبّان الفـتوحات الإسلامية، لابد من الوقوف على العوامل الجغرافية المؤثرة في مستوى النـشاط الاقتصادي لهذه المنطقة بصورة جزئية أو كلية، وبذلك نستطيع ان نرسم صورة تقريبية لحياة المجتمع العربي الاقتصادية التي كان لها تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على مشاركة أبناء هذه المنطقة في الفتوح.

إن أهم المناطق التي ينبغي ان نبحث واقعها بشكل مباشر هي يثرب (المدينة المنورة) لاحقاً وما يحيط بها ومكة وما حولها وبلاد اليمن التي كان لها دور بارز لـم تـستطع المـصادر إغفالـه، لإيجاد نوع من الموازنة بين اقتصاديات البلدان المحـررة (الشام والعراق ومصر) التي كان للعرب تصور مسبق عما تحتويه من موارد بحكم اتصالاتهم المتنوعة معها.

تتمـتع بـلاد العـرب بموقع جغرافي هام، إذ تقع بين ثلاث مسطحات مائية الخليج العربي وخليج عمان من الشرق والبحر العربي والمحيط الهندي وخليج عدن من الجنوب والبحر الأحمر (القلزم) من الغرب[1] وبهذا عزلت عن اليابسة من هذه الجهات وبقي اتصالها البري من ناحية الشمال والشمال الغربي[2]، وهي تقع وسط خطوط الاتصالات القديمة التي تربط بين المناطق الموسمية المناخ والبلدان الواقعة

([1]) ينظـر: الهمدانـي، الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 1989م)، ص 39؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 37؛ العزيز، موجز تاريخ العرب، ص 36.

([2]) قبل فتح قناة السويس.

في مناطق مناخ البحر المتوسط، فكانت البلاد العربية ممرا للطرق التجارية، ومن ثم صار العرب ناقلين وتجار في وقت واحد[1]

وتتمتع ارض جزيرة العرب من ناحية أخرى بتنوع جغرافي في تضاريسها إذ أن الطبـيعة ليـست واحـدة فـيها فهي تشتمل على الجبال في بعض أقسامها والصحارى القفار إلى جانب الوديان ذات الجريان الموسمي، ففي (نجد) هناك جبال تهامـة التـي تشكل قطعة من اليمن وتطل على البحر الأحمر صاعدة إلى مكة[2] وبينها وبين (نجد) السروات وهي جبال ممتدة من جنوب اليمن إلى شمال الحجاز[3] وهـذه الجبال تتمثل بجبل ((السراة الذي يصل ما بين اليمن والشام فإنه ليس بجبل واحد وإنما هي جبال متصلة على نسق واحد من أقصى اليمن إلى الشام))[4] وهي تـوازي سـاحل البحـر الأحمر- القلزم- وتقترب منه في مواضع عدة وهي ذات ارتفاعـات عالية[5]، وأما جبال حضرموت الممتدة من الشمال إلى الجنوب[6] فتقع ((شـرقي عـدن بقرب البحر ورمالها كثيرة غزيرة تعرف بالأحقاف))[7] كما يمتد بمحـاذاة السواحل الجنوبية لبلاد العرب سلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن تأخذ بالاتجـاه نحو الشرق إلى ارض عمان[8] تلك السلاسل تعمل بدورها على الحيلولة

([1]) العزيز، موجز تاريخ العرب، ص 36.

([2]) ابـن حـوقل، ابـو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت 1979م)، ص 43.

([3]) ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد العربي، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته إسـماعيل العربـي، ط1، منـشورات المكـتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت 1970م)، ص 117.

([4]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 116.

([5]) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، (بيروت 1976م)، 1/ 144.

([6]) ابن سعيد، الجغرافيا، ص101.

([7]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 44.

([8]) علي، جواد، المفصل، 156/1.

دون وصــول الابخــرة المتـصـاعدة من البحرين الاحمر والعربي وتساقطها على أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية[1].

أما على صعيد البوادي فإن أرض شبه جزيرة العرب بادية صحراوية قد لا يــصيبها المطــر فتــرات طويلة كما هو الحال في منطقة الحجاز[2] إذ تضم بلاد العــرب باديــة البــصرة والشام والسماوة[3] وبادية الجزيرة[4] وهي على العموم صحاري يصعب ارتيادها[5] وتقع صحراء نجد ما بين تهامة والسروات[6] وهي من شــرقي تهامة قليلة الجبال مستوية البقاع ونجد اليمن غير نجد الحجاز إلا أن نجد الحجاز تتصل بشمال نجد اليمن[7].

أمــا الأودية والواحات التي تحوي بعض مياه الأمطار والسيول فإنها تنتشر في أكثر من مكان في شبه جزيرة العرب[8]- فمثلاً- تتخلل الحجاز عدد من الأودية منها وادي إضم الذي ورد ذكره في أخبار سرايا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما بعد ووداي نخال ويصب الصفراء بين مكة والمدينة والصفراء وادي من ناحية المدينة كثير النخل والزرع وعليه قرية الصفراء وماؤها عيون تجري وغيرها من الأودية الأخرى[9]، وبما أنها موسمية الجريان ؛ لذا فقد استغلت من قبل سكان تلك

([1]) علي، جواد، المفصل، 157/1.

([2]) يحيــى، لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة مدخل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية 1990م)، ص 104- 106.

([3]) الاصطخري، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد صابر عبد العال الحيني، وزارة الإرشاد القومي، (القاهرة 1961م)، ص20.

([4]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 29.

([5]) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 118.

([6]) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 117.

([7]) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 117.

([8]) ينظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 131 وما بعدها.

([9]) علي، جواد، المفصل، ص 168- 169؛ الشريف، دور الحجاز، ص 6-7.

البقاع من خلال حفر الابار في اماكن متفرقة منها وإقامة الزراعة الموسمية ثملا في حضرموت، علاوة على رعي الأعشاب التي تنمو بسبب جريان الماء فيها[1].

أثر المناخ والموقع الجغرافي في النشاط الاقتصادي لبلاد العرب

بعد هذا العرض الموجز لموقع بلاد العرب وابرز مظاهرها الطبيعية لابد من بيان أبرز أوجه النشاط الاقتصادي لسكانها الذي يرتبط ويتأثر - بلا ريب- بالمناخ السائد ونوعية التضاريس، وبما ان صفة الجفاف تكاد تطغى على القسم الأكبر من أرض العرب، لذا فقد امتهن أغلب سكانها الرعي[2] الذي كان يشكل بنوعيه الثابت والمتنقل المورد الاقتصادي الإنتاجي الرئيس في معظم نواحيها بحكم الطبيعة الجغرافية لها[3] يؤكد ذلك ابن حوقل بقوله:((لا أعلم فيما بين العراق والشام واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفة من العرب ينتجعونه في مراعيهم ومياههم إلا أن يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان))[4] كما ذكر ابن سعيد أن ((بلاد نجد سكانها في الخيم رجالة من العرب [5])).

ومما تقدم يبدو أن البداوة والرعي من أبرز صفات أهل تلك الأنحاء، بل هي الغالبة على بقية الأنماط الاقتصادية الأخرى، يثبت ذلك ما أشار إليه الاصطخري من أن أولئك الرعاة كانوا منتشرين ما بين العراق واليمن والشام ينتجعون المراعي والمياه معتمدين الترحال أساساً لحياتهم[6]، يرعون الإبل في المناطق الموغلة في الصحراء حيث يندر الماء أما الأماكن الغنية بالعشب القريبة من الماء والواقعة على حافات السهول سواء على تخوم العراق أو الشام أو اليمن فكان يكثر فيها رعي

([1]) يحيى، العرب، ص 92- 93؛ علي، جواد، المفصل، ص 173.

([2]) لويس، برنارد، العرب في التاريخ، ترجمة: نبيه امين فارس، دار العلم للملايين، ص35-36

([3]) يحيى، العرب، ص 290- 291.

([4]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 41.

([5]) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 117.

([6]) الاصطخري، المسالك والممالك ، ص 25.

الغـــنم اساســـا والماشية والخيول في بعض الاحيان لافتقار هذه الدواب لميزة الإبل بالصبر على العطش ونقل الأثقال(1) ولبساطة حياتهم واتسامها بالترحال كانوا على مـــا يذكـــر ابن خلدون ((يقتصرون في غالب أحوالهم على الألبان وتعوضهم عن الحـــنطة أحـــسن معـــاض))(2) إلا أنم في حال رعي الأغنام كانوا يضطرون إلى الاســـتقرار في بعض الأحيان إذ كان ((لجميع العرب حياة يجتمعون عليها وملكية يعـــرجون إليها كالدهناء والسماوة والتهائم وأنجاد الأرض والبقاع والقيعان والوهاد ولست تكاد ترى قبيلاً من العرب توغل في الأماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كماء ضارح وماء العقيق والهبأه(3) وما أشبه ذلك من المياه))(4).

وعلاوة على أهمية الأغنام التي تعد مصدراً أساساً لتموين أولئك الرعاة، فقد كان لهم أثر كبير في حركة تنقل القوافل التجارية المارة بحمى قبائلهم والتي كانت تنتفع بمرور تلك القوافل في أرضها بحصولها على أجر معلوم من تلك القوافل لقاء إرشادهم وتقديم ما تحتاجه لها من خدمات على طوال الطرق التي تقع عبر أرضها لقاء حمايتها(5)، وما عقود الإيلاف من قبل أهل مكة مع تلك القبائل إلا دليلاً لما تم الإشارة إليه(6).

---

(1) يحيى، العرب، ص 290- 291؛ علي، جواد، المفصل، 197/1، 199.

(2) ابن خلدون المقدمة، ص 70.

(3) ضارح: لم اعثر على تعريف به في المصادر المتيسرة لي.

العقيق: هناك أكثر من مكان بأرض العرب بهذا الاسم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 138- 141.

الهبأة: ارض بلاد غطفان وجفرة الهباءة مستنقع في هذه الأرض، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 389/5.

(4) المسعودي، مروج الذهب، 122/2.

(5) يحيى، العرب، ص 292؛ لويس، العرب في التاريخ، ص 36.

(6) ابـــن حبيب، المحبر، ص 162- 164؛ كستر.م.ج.، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة: يحيى الجبوري، دار الحرية، (بغداد 1976م)، ص 43 وما بعدها.

اما عن النشاط الزراعي لعرب الجزيرة فإن ندرة المياه في مناطق كبيرة منها جعل الزراعة تنحصر في أصقاع معينة، وبالتالي اشتغال عدد محدود منهم بها إذا ما قيست بالنسبة للرعي، الأمر الذي جعل نظرة العربي البدوي للزراعة تتسم بالازدراء والاستهجان، وشاهد ذلك هجاء الأعشى الكبيرة لقبيلة إياد القاطنة في تكريت بقوله(1):

لسنا كمن جعلت إياد دارها ... تكريت تنظر حبّها أن يحصدا

قوماً يعالج قمّلاً أبناؤهم ... وسلاسلاً أجداً وباباً مؤصداً

مفضلين حياة الفروسية وحرية التجوال وراء الماء والكلأ على الاستقرار في قرى ومزارع، لذا صار الجوع والعطش جزءً من فطرتهم وعاداتهم، واعتاد البدوي تحمل ذلك بشكل يفوق تحمل سكان المناطق الأخرى وشد البدوي الأحزمة بشدة على بطنه لئلا يتأثر بجوعه، بل إنهم يعمدون احياناً إلى ربط الحجر مع الحزام وقد صور ذلك البعض من الشعراء بقوله(2):

أُدِيمُ مِطَالَ حتى أُميته ... وأضرب عنه الذِّكْر صَفْحاً فأذْهَل

وأطْوي على الخُمص الحَوَايا ... خُيُوطة مارِيّ تُغَار وتُفْتَل

وبالرغم من ذلك فقد نشطت الزراعة في بلاد العرب ولاسيما في اليمن التي عرفت بـ (أرض العرب الخصبة) (3) إذ كانوا ((يمطرون في شهور الصيف شهراً

---

(1) الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوانه، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبة الآداب، مصر، ص 331.

(2) ينظر: القالي، الأمالي، 204/3.

(3) سماها اليونان (Arabia Felix) أي ارض العرب السعيدة أو المعمورة، ينظر: جيورجيو كونستانس، نظرة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمد التوبخي، ط1، الدار العربية للموسوعات، 1983م، ص 25.

واحـداً ومن الخريف تمام أربعة أشهر))[1] وهكذا كان عليهم ان يستثمروا ما أتيح لهم من هذه الطبيعة، وحقاً فقد انشأوا السدود الخازنة[2]، ولا سيما في صنعاء وسبأ للاسـتفادة من تلك المياه في إرواء زروعهم[3]، وإلى جانب هذا فقد حباً الله تعالى طبـيعة الـيمن بمـزية جعلـتها تحتضن انواعاً من النباتات[4] وتنبت اصنافاً من المـزروعات[5]، وذلك على تنوع محاصيلها كالحنطة والشعير التي تنتج لأكثر من مـرة فـي الـسنة إلى جانب الأرز[6] والفواكه بأنواعها[7]، غير ان خراب السدود وحـالات الجفـاف والحروب ساهمت كثيراً في نزوح أهل اليمن إلى الشمال على شكل هجرات منذ عصر ما قبل الإسلام[8].

لـم تكـن الزراعة حكراً على اليمن بل ساهمت الطائف هي الأخرى بقسط كبير فيها، إذ كان لمناخها أكبر الأثر في ازدهار الزراعة وتطورها هناك، فالطائف تقـع على ظهر جبل غزوان الذي يرتفع عالياً عن مستوى سطح البحر وهو أكثر جبال الحجاز برودة حتى أن مياهه تجمد في الشتاء[9]، وإذا ما أقبل الصيف وذابت الثلوج انهمرت المياه على سفوح الجبل إلى الأدوية فتروي المياه بساتين الفاكهة[1]،

([1]) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 112، 115.

([2]) لـويس، العـرب فـي التاريخ، ص 31؛ دلو، برهان الدين، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفارابي، (بيروت 1985م)، ص 37.

([3]) علي، جواد، المفصل، 211/1.

([4]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 247- 248.

([5]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 314- 319.

([6]) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 109.

([7]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 314- 319؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 26؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 111، 113.

([8]) جيو رجيو، نظرة في سيرة رسول الله، ص 25.

([9]) الاصطخري، المسالك والممالك، ص 24؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 79؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 91/4.

الفاكهــة[1]، وهــي ((كثيرة الشجر والتمر))[2] "ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وســائر الفـواكه وبهــا مياه جارية وأودية"[3] ومنها يجلب العنب إلى مكة[4] وقد أوضحت تفاصيل حصار النبي (صلى الله عليه وسلم) للطائف بعد فتح مكة 8 هــ/ 629م مــدى أهمية مزارعها بالنسبة لسكانها وبقية أهل جزيرة العرب[5]، ولا سيما مكــة التي كانت تعتمد على تحلية مياه الشرب للجيج على زبيب الطائف، فقد كان العــباس بــن عــبد المطلب صاحب السقاية في مكة قبيل الإسلام و ((كان له كرم بالطائــف وكان يحمل زبيبه إليها وكان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم بالزبيب فينــبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم))[6]، وعلاوة على ذلك كانت الزراعة في الطائــف وســيلة جذب للعديد من أهل مكة لامتلاك الضياع فيها كما هو الحال مع العــباس وغيــره إذ كــان ((لعامــة قــريش أمــوال بالطائــف يأتونها من مكة فيــصلحونها))[7] وكان أهل الطائف يزرعون القمح لذلك كانوا يفخرون على أهل مكة بأنهم يأكلون الخبز، لان طعام أهل مكة يغلب عليه التمر ولبن النوق[8].

([1]) صــقر، ناديــة حسني، الطائف في الجاهلية وصدر الإسلام، ط1، دار الشروق، (السعودية 1981م)، ص 39.

([2]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 39.

([3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 91/4.

([4]) ابــن هــشام، الــسيرة النبوية، 128/4- 129؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 24؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 79.

([5]) الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشــدي الصالح ملحسن، دار الأندلس، (مدريد بلا ت)، 1/ 114؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 127/4 وما بعدها.

([6]) الأزرقي، أخبار مكة.

([7]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 75؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 79.

([8]) جيورجيو، نظرة في سيرة رسول الله، ص 20.

ومما تقدم يتبين ان الطائف كانت واحدة من مراكز النشاط الاقتصادي المتميز وقتذاك في بلاد العرب وتمثل ايضاً شاهداً على تنوع النشاط الاقتصادي وحيويته.

وأما يثرب فهي الأخرى قد اشتهرت بأنواع أخرى من المحاصيل فقد كان لها ((أربعة أودية يأتي ماؤها في وقت السيول ثم يجتمع كلها بموضع يقال له الغابة))[1] ((وهي طيبة ولطيبها قيل تلفظ جنتها ويتوضع طيبها))[2] وذكر ان لها نخيلاً ((كثيرة ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار يسقون بها العبيد))[3] وعلى مقربة منها مزارع فيها نخيل وضياع لأهل المدينة ((وتمرها الصيحاني لا يوجد في بلد من البلدان مثله ولهم حب اللبان ومنها يحمل إلى سائر البلدان))[4].

ومما تقدم يظهر ان الزراعة هي المظهر الاقتصادي البارز لحياة سكان يثرب قبيل الإسلام، وكانت تحيط بها عدد من الحرار لاسيما حرة خيبر التي كانت ((ذات نخيل كثيرة وزروع))[5] وينبع التي هي الأخرى ((بها نخيل وماء وزروع))[6].

أما مكة فهي ايضاً كانت لا تخلو من مظاهر زراعية خارج الحرم على وجه الخصوص كما تذكر ذلك بعض المصادر[7].

ومن كل ما مر ذكره يتبين للقارئ ان النشاط الاقتصادي في بلاد العرب لاسيما البقاع التي كان لها دور بارز في قيادة الفتوحات الإسلامية ومدها بالمقاتلة

([1]) اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح، البلدان، مط بريل، (ليدن 1891م)، ص 312-313.

([2]) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص59.

([3]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 37.

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/91-92، ينظر ايضاً: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 80.

([5]) الاصطخري، المسالك والممالك، ص 35.

([6]) الأصطخري، المسالك والممالك.

([7]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 37.

مـثل المديـنة ومكة واليمن وما يتبع تلك النواحي، يتسم بالغنى وبالتنوع في وجوه الإنـتاج تبعاً لتنوع الظروف البيئية والتضاريسية، فهو بين نشاط رعوي وزراعي وشـبه زراعـي[1] (مختلط) إلى جانب النشاط التجاري والصناعي الذي كان أكثر تـواجداً في المناطق الحضرية منه في البوادي والذي يعود بدوره إلى أنفة العربي الـبدوي وازدرائـه للمهـنة والحـرف اليدوية يؤكد ذلك هجاء الأشهب بن رميلة للفرزدق:

يا عجباً هل يركب القين الفرس   وعـرق القـين على الخيل نجس

وإنمــا ســلاحه إذا جلــس   الكلبـتان والعـلاوة والقبس[2][3]

وعلى الرغم من ذلك فإن متطلبات الحياة بالنسبة لسكان البوادي أملت وجود بعـض الصناعات الأولية لان ((العمران البدوي.. لايحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصـة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار.. إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصورة لذاتها))[4]، لذا فإننا نجد بعض تلك الحواضر قد وجدت فيها بعض الصناعات ففي الطائف صناعة الخمر- إلى جانب صـناعة تجفـيف الـزبيب-[5]. التي كانت مادة مطلوبة من قبل أهل مكة ويثرب وغيـرها من الحواضر قبل الإسلام[6]، فضلاً عن صناعة دباغة الجلود التي يدبغ

([1]) دلو، العرب، ص 35.

([2]) العـلاة: هـي السندان، ينظر: الجوهري، الصحاح، 2437/6. القبس: هو الشعلة من النار، ينظـر: العسكري، البو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، عني بتحقيقه ونشره: د. عزة حسن، (دمشق 1961م)، 1/ 344.

([3]) ياسـين، نجمـان، تطـور الأوضاع الاقتصادية في عهد الرسالة والراشدين، بيت الموصل، (الموصل 1988م)، ص 46.

([4]) ابن خلدون، المقدمة، ص 318.

([5]) الاصطخري، المسالك والممالك، ص 24.

([6]) صقر، المرجع السابق، ص 43.

بهـــا الأديــم[1]، "وهي بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة"[2] علاوة على صناعة الوسائل الدفاعية العسكرية كالدبابة والمنجنيق[3].

وفي اليمن هناك العديد من الصناعات فمن صنعاء كان يجلب ((الادم والنعال المــشعرة والأنطاع والبرود المرتفعة والمصمت والأردية))[4]، وكذا الحال في سبأ التـــي اشـــتهرت بإنتاج الذهب[5]، ومدينتي نجران[6] وجرش[7] اللتان كانتا تنتجان الأدم الـــذي يـــرتفع مـــنهما إلـــى صعده[8] التي تنتجه هي الأخرى والتي كان بها ((مجتمع التجار والأموال))[9].

أمـــا علـــى صـــعيد التجارة فإن مكة كانت الأبرز في ولوج هذا الميدان من النـــشاط الاقتصادي وربما ذلك يعود لكونها ((وادي غير ذي زرع))[10] إذ لم تكن فـــيه مـــياه جاريـــة لأن أكثـــر مياهها من السماء[11] وهي بلد ليس فيه زرع ولا

([1]) الاصـــطخري، المسالك والممالك، ص 26؛ الأقاليم، مكتبة المثنى، (بغداد بلا ت)، ص 15؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان.

([2]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 33؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 79.

([3]) الواقدي، المغازي، 960/3؛ الطبري، تاريخ، 81/3- 85.

([4]) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 111.

([5]) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 113.

([6]) نجـــران: في مخاليف اليمن من ناحية مكة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 266/5-270.

([7]) جـــرش: مـــن مخاليف اليمن من جهة مكة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 126/2-127.

([8]) صـــعدة: مخـــلاف باليمن وهي مدينة عامرة آهلة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 406.

([9]) الاصطخري، المسالك والممالك، ص26؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص43.

([10]) سورة إبراهيم، آية 37.

([11]) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 37.

ضـــرع[1]، لذا كان من الطبيعي أن يتجه سكانها للتجارة القائمة على الوساطة بين مدن الحجاز وبواديها وبين الدول المجاورة لها كالشام وبلاد فارس واليمن و الحبشة كمـــا أوضـــح ذلك أبن حبيب في حديثه عن الإيلاف[2] حيث كانت ((أمناً ولقاحاً لا تؤدي أداوة ولا تدين للملوك))[3].

إذ لــم تقع بلاد العرب يوماً ما بصورة فعالة تحت حكم سلطة مركزية بحكم تأثيـــر البيـــئة الجغـــرافية التي كانت تحول دون فرض أي سلطة على عموم تلك الـــبلاد[4] إضـــافة إلى ذلك كان لوجود الكعبة بيت الله الحرام فيها الأثر الأكبر في تنـــشط تجارتهـــا[5]، نتيجة لاستقبالها الحجاج من أهل القبائل وضيافتهم في موسم الحج، وكذلك ينعقد فيها سوق عكاظ على هامش موسم الحج[6].

كـــل تلك الأمور عملت معاً على جعل التجارة هي السمة المميزة للاقتصاد المكـــي وبالتالي دفعت أبرز رجالاتها لعقد الأحلاف والاتفاقيات مع القبائل العربية البدوية المقيمة على طرق التجارة سعياً وراء ديمومة ذلك النشاط واستمراريته[7].

ليـــست مكة الوحيدة في هذا المضمار، بل إن هناك مناطق أخرى من أرض العـــرب كانـــت لهم تجارات واسعة كالطائف مثلاً التي عمل ابنائها بالتجارة ناقلين منـــتجاتهم لاسيما الزبيب والأديم والخمور إلى مكة وغيرها من الأصقاع حتى قيل

---

(1) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص 26؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 23.

(2) ينظر: المحبر، ص 162- 164؛ العسكري، ابو هلال الحسن بن عبد الله، الاوائل، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1987م)، ص 277- 293.

(3) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 58.

(4) الشريف، دور الحجاز، ص 14.

(5) كستر، الحيرة، ص 49.

(6) الأفغانـــي، ســـعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط2، دار الفكر، (دمشق 1960م)، ص277- 293.

(7) ابن حبيب، المحبر، ص 162- 164؛ العسكري، الأوائل، ص 277- 293، كستر، الحيرة، ص 43 وما بعدها، لويس، العرب في التاريخ، ص 44.

ان المغيـرة بـن شـعبة- احد أبنائها- قد وصل الإسكندرية[1]، وكانت يثرب قد أسهمت من جانبها في التجارة مع الشام قبل الإسلام وبعده، إذ تروي المصادر عن سـبب غزوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى تبوك (9 هـ/ 630م)، أن أخبار الـشام كانت بالمدينة عند المسلمين لكثرة من يقدم من الأنباط بالدرمك والزيت[2]، مما يشير إلى حالةٍ من التبادل التجاري كانت قائمة بين يثرب- المدينة- والشام قبل الإسـلام وبعده علاوة على تجارتها مع مكة نفسها والبوادي المحيطة بها إذ كانت تصدر منتجاتها الزراعية كاللبان ((الذي منها يحمل إلى سائر البلدان))[3].

ومـن بـلاد اليمن كانت صنعاء- كما مر ذكره- يجلب منها الأدم والنعال المـشعرة والأنطاع والبرود والأردية[4] وذكر الاصطخري[5] ان الأدم كان يرتفع مـن مديـنة صعدة ((وبها مجتمع التجار والأموال)) ومنها تصدر نصال السيوف الصاعدية التي عرفها أهل العراق كما يفهم من رواية الهمداني[6].

ومن كل ما تقدم يمكن ان نخلص إلى القول أن بلاد العرب التي انطلقت منها الفـتوحات الإسـلامية كانـت على الرغم من أن مساحات واسعة منها ذت طعبية صحراوية قفراء تمتاز بفقرها إذا ما قيست ببلاد الشام والعراق، بالمقابل فإنها تمتاز بتنوع ملحوظ في مظاهر النشاط الاقتصادي ولا يعني هذا ان حالة الفقر الاقتصادي هـي حالة عامة في جميع تلك النواحي ولا يعني ان جميع أبناء القبائل هم يعانون من الفقر والحاجة، وقد وجدوا في الفتوح خير متنفس لهم يخرجهم مما هم فيه من

([1]) الزركلي، الأعلام، 277/7.

([2]) الواقدي، المغازي، 989/3- 990؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 445/1- 446.

([3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 88/5.

([4]) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 112؛ يقول المقدسي في حديثه عن صنعاء: "بلد.. رخيص الأسعار أخباز حسنة وتجارات مفيدة" أحسن التقاسيم، ص 86.

([5]) المسالك والممالك، ص 26؛ الأقاليم، ص 15.

([6]) صفة جزيرة العرب، ص 116.

ضـيق بالصورة التي تصورها الكثير من الدراسات لاسيما الاستشراقية منها وكما سنرى في هذا البحث.

جوانب من الحياة الاقتصادية للأقاليم المحررة

أما عن الحياة الاقتصادية في الأقاليم المحررة في صدر الإسلام مثل العراق وبـلاد الـشام ومصر، فلم أقف على معلومات مفصلة عن واقعها الاقتصادي قبل الفـتح، وإن المعلومات المتوفرة جاءت من خلال الاتصالات التي كانت قائمة بين أهالي جزيرة العرب وتلك الأقاليم، أما المصادر الجغرافية التاريخية الإسلامية فقد تـناولت جوانب مهمة من الحياة الاقتصادية لتلك الأقاليم، غير أنها دونت في زمن لاحـق وبعـيد نسبياً عن زمن الفتح الإسلامي لتلك البلدان، ومع ذلك فإنها تعطي صـورة جيدة عن طبيعة النشاط الاقتصادي لها إذا ما قورنت وتطابقت مع بعض الروايات المتعلقة بمدة الفتح الإسلامي.

فعندما تتحدث تلك المصادر عن العراق يتضح مدى تنوع النشاط الاقتصادي فـيه وتعـدد أنماطـه وبروز الإنتاج الزراعي، مثلاً وصفت بعض تلك المصادر القادسـية بأنهـا ((مدينة على جنب البادية.. ذات نخيل ومياه عذبة وأكثر زراعتها الـرطب))[1] وهـذا يأتي تأكيداً لما ذكره الاصطخري من أنها ((ذات نخيل ومياه وزروع وليس بالعراق بعدها ماء جار ولا شجر))[2] باتجاه أرض العرب كما يتبين من سياق الكلام، والحيرة هي الأخرى كانت "طيبة التربة مفترشة البناء"[3] ووصف اليعقوبـي ماسـبذان[4] بأنها فيها ((عيون ماء متفجرة تجري في وسط المدينة إلى

([1]) الإدريـسي، الـشريف بـن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، القسم الخاص بالعراق والجزيـرة، تحقيق: د. إبراهيم شوكه، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 23 لسنة 1973م، ص 26.

([2]) المسالك والممالك، ص 58.

([3]) ماسبذان: اسم كورة قريبة من حلوان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 41/5، 49.

([4]) البلدان، ص269.

أنهــار عظام تسقي المزارع والقرى والضياع على مسافة أيام)) [1] أما الانبار التي كانــت مــن مــدن العراق الأولى التي وصلتها جيوش الفتح الإسلامي بعد الحيرة وامــتدت غاراتهم إليها، كانت ((مدينة صغيرة متحضرة لها سوق وفيها فعلة ولها فواكه كثيرة))[2]، يؤكد صدق تلك الرواية اعتماد جند الفتح الإسلامي في شيء من تموينهم على ما حصلوا عليه من سوق الأنبار[3]، وكانت مناطق السواد الممتدة من موضــع مديــنة بغــداد حتى الكوفة هي الأخرى مناطق غنية ذات أشجار ونخيل وبساتين وفواكه جمة وزراعات واسعة[4].

وبــناءً على ما مضى ذكره يظهر أن الصفة الغالبة على النشاط الاقتصادي فــي سواد العراق هي الزراعة، التي امتازت بتنوع المحاصيل وتعددها يؤكد ذلك الــروايات التي تحدثت عن قضية مسح السواد على عهد الخليفة عمر (رضي الله عــنه) إذ بعث من يقوم بهذا الأمر، إذ اتضح ان السواد كان ينتج الحنطة والشعير والكــروم والخضروات وقصب السكر[5] علاوة على محاصيل زراعية أخرى[6]، وبالــرغم من أن الحنطة والشعير هما المحصولان الرئيسيان هناك[7] إلا أن سكان بــلاد العــرب عرفوا القيمة الكبيرة لمحصولي التمر والشعير بالدرجة الأساس إذ اعــتادوا الاعــتماد عليهما في غذائهم اليومي مستوردين لهما من السوادن مصداق ذلك تفاصيل حوار المغيرة بن شعبة ورستم قائد جيش الفرس قبيل معركة القادسية، إذ ذكّــر رســتم المغيــرة بذلك قائلاً: ((وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابتكم السنة

---

(1) البلدان، ص 269.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 30.

(3) ينظر الصفحات اللاحقة من هذا الفصل.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 22.

(5) ابو يوسف، الخراج، ص 36؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 105.

(6) العلي، صالح احمد، الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى، المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1991م)، ص 100- 105.

(7) العلي، صالح احمد، الخراج، ص 105.

استغثتم بناحية ارضنا فنامر لكم بالشيء من التمر والشعير.. فإنا امر لاميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون))[1].

وهكذا يتضح لدينا ان اغلب نواحي العراق كانت تمتاز بإنتاج زراعي مزدهر ويشكل عامل جذب كبير لمن حوله مما جعل العديد من أبناء القبائل العربية القاطنة على تخومه تعتمد في القسم الأكبر من معاشها على ثرواته قبل الإسلام، وبالرغم من ذلك كله فإن من المصادر ما يشير إلى سوء الأوضاع الاقتصادية للدولة الساسانية التي كانت تحتل العراق عصرئذ فهي تعاني من اختناقات بسبب الفوضى السياسية وطبيعة النظام الإقطاعي السائد إذ كانت الحروب بين فارس وبيزنطة قد أرهقت كاهل الدولة الاقتصادية[2]، وكان لتفاقم الخلافات داخل البلاط والصراعات على السلطة الأثر البالغ في تعزيز الفوضى السياسية التي أدت إلى مزيد من الإهمال للحياة الاقتصادية[3]، التي انعكست آثارها على الحياة العامة إذ أدت إلى برز حالة الطبقية وسيطرة فئة العسكريين على مقاليد الأمور في البلاد ((فعد كل قائد أو حاكم الولاية التي يليها كأنها أقطاع وراثي))[4] عليه فقد أتسم توزيع الضرائب وتحصيلها بالجور والظلم إذ وجدت ضرائب إضافية كان يحتملها بالدرجة الأولى سكان الأقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق))[5].

فضلاً عن ذلك فإن الفلاحين في عموم الدولة الساسانية ومنها العراق بالذات كان ((أشد سوء في إقطاعيات النبلاء الذين لهم حق الحياة الموت على العبيد

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 523؛ الواقدي، فتوح الإسلام، ص 42.

([2]) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 74 وما بعدها؛ ينظر: كذلك: بتلر، فتح العرب لمصر، ص 87- 97؛ كرستنسن، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب مراجعة: عبد الوهاب عزام، مط لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1957م)، ص 478- 480.

([3]) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 74- 111.

([4]) كرستنسن، إيران، ص 481.

([5]) كرستنسن، إيران، ص 112.

والناس ولم يكن وضع الفلاحين تجاه الإقطاعيين النبلاء يعدو وضع العبيد الخاضعين))[1]، ويشير كرستنسن أيضاً إلى انه كان على الرعايا ان يدفعوا الضرائب للإقطاعي وللدولة أو لهما معاً وانهم كانوا ملزمين بالخدمة العسكرية تحت رياسة صاحب الإقطاع[2].

وإذا كانت هذه المصادر تعطي وصفاً عاماً عن الأوضاع الاقتصادية في عموم الدولة الساسانية فإن الروايات المنقولة عن رواةٍ عاصروا أحداث الفتح للسواد وبقية أقاليم الدولة الفارسية تقدم وصفاً رائعاً لكميات ونوعيات الغنائم التي حصل عليها المسلمون لاسيما في القادسية والمدائن وجلولاء[3] تنم عن الإثراء الكبير الذي امتازت به دولة الأكاسرة، مما يدفعنا إلى القول بأن ما وصفته المصادر والمراجع من سوء الأحوال الاقتصادية للدولة الفارسية قد لا تخلو من الدس الهادف إلى التقليل من شأن عظمة الانتصار الإسلامي وتصوير المسلمين وكأنهم أتوا على دولة منهكة خائرة القوى انقضوا عليها[4]، يؤكد ذلك عدم استطاعت هذه المصادر إنكار حجم ونوعية ما غنم المسلمون من الدولة الساسانية وقتئذ[5].

أما في مصر والشام فإن الأمر لم يكن يختلف عما هو عليه في العراق، فقد كان كلا الأقليمين تحت الهيمنة البيزنطية، عليه فإن الحياة الاقتصادية فيهما كانت مرتبطة بسياسة بيزنطة آنذاك حيث كانت السلطة في مصر ومنذ عهد الرومان ليس لها هم إلا ان تبتز أموال الرعية وتملأ خزائن الحكام بعيداً عن العناية بأحوال البلاد

([1]) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص 23.

([2]) كرستنسن، إيران، ص 307.

([3]) ينظر: الطبري، تاريخ 4/17-19، 21- 22؛ ابن أعثم، الفتوح، 1/204، 211- 212.

([4]) كرستنسن، إيران، ص 48- 49.

([5]) إيران، ص 483- 489.

وساكنيها والجباة وجند الحكومة كانوا ينتشرون في مدنها مظهرين هيبة السلطان ويجمعوا الضرائب[1].

وكذا الحال في الشام حيث كانت الضرائب تجمع بطرق تعسفية وتعتمد على سلسلة طويلة من الجباة والموظفين[2]، مما أدى إلى شيوع الإقطاع والطبقية وغدا الفلاحون أشبه بالعبيد ارتبط الواحد منهم بالأرض وخضع لأعمال السخرة وللسيد المالك السلطان المطلق عليه[3].

ورغم ذلك كله فإن من الحقائق التاريخية الواضحة أن مصر على مر العصور كانت المنتج البارز لمحصول القمح وسائر الحبوب الأخرى[4]، إذ كانت الأقوام المجاورة لها تقصدها أملاً في الحصول على حبوبها لاسيما إذا ما مرت بها مجاعة أو قحط[5]، وما قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) وقومه الذين مرت بهم سنوات القحط والذين قصدوا مصر لغرض الميرة[6] إلا شاهداً يؤكد ما سبق قوله ويؤكد على غناها وعلاقاتها التجارية مع شمال الحجاز منذ عهود قديمة، بالإضافة

---

(1) بتلر، فتح العرب لمصر، ص 32.

(2) الريس، محمد ضياء الدين، الخراج والنظم المالية للدولة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة نهضة مصر، (مصر 1957م)، ص 31- 44.

(3) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص 23.

(4) ولسون، جون، الحضارة المصرية، ترجمة: د. احمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، (مصر 1955م)، ص 258، 264، 267، صالح، محمد أمين، النظم الاقتصادية في الشام ومصر في صدر الإسلام، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ص 207 وما بعدها.

(5) ولسون، الحضارة المصرية، ص 399.

(6) ينظر: ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط1، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة بلا ت)، 2/ 264- 266.

إلى ذلك اعتماد القسطنطينية عليها في تجارة الحبوب لانها الحقل الذي ينتج الغلال لها[1].

والى جانب ما تقدم ذكره فإن عرضاً موجزاً لبعض الروايات الواردة في المصادر الجغرافية الإسلامية- رغم تأخرها كثيراً عن المدة موضوع البحث- سيعطي إيضاحا عن الحالة الاقتصادية للشام ومصر إذا ما قورنت بالمصادر الأخرى، فقد تحدث المقدسي عن تجارات الشام في أيامه قائلاً: ((والتجارات به مفيدة يرتفع من فلسطين الزيت والقُطّين والزبيب... ومن بيت المقدس الجبن والقطن.. والمرايا وقدور القناديل والابر، ... ومن عمان الحبوب والخرفان والعسل.. ومن صور السكر والخرز والزجاج المخروط.. ومن مآب قلوب اللوز ومن بيسان الرز))[2] ومما يؤكد صدق تلك الروايات فيما ذهبت إليه ويؤكد ثراء إقليم الشام اقتصادياً هو اعتماد اهل مكة والحرم في القسم الأكبر من تجاراتهم على بلاد الشام خلال رحلتي الصيف والشتاء، ووصف المقدسي مصر وما يخرج منها من منتوجات بقوله ((وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيد صبور على الماء ثخين ليّن.. ومن الصعيد الأرز والصوف والتمور والنحل والزبيب ولا نضير لأقلامهم وزجاجهم ورخامهم..))[3]، وتتأكد مثل تلك الروايات مرة أخرى إذا ما علمنا أن كنيسة الإسكندرية كان لها أسطول بحري كبير ينقل الحبوب ويتاجر بها مع

([1]) حسن، علي إبراهيم، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة 1954م)، ص 28؛ العدوي، إبراهيم احمد، مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1967م)، ص 5؛ الريس، الخراج، ص44.

([2]) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 180- 184؛ عن تجارة المدن الشامية في العهد البيزنطي، ينظر: حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: د. جورج حداد وعبد الكريم رافقة، دار الثقافة، (بيروت 1958م)، 1/ 389- 392.

([3]) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص203.

القسطنطينية وسائر المدن الأوربية أيام البيزنطيين[1]، كما وان اعتماد الخلافة الراشدة على أحمال القمح الواردة منها عام الرمادة 18هـ/ 639م إلى المدينة المنورة والحجاز شاهداً آخر يؤكد ما مضى[2].

وعرفت الشام العديد من الصناعات لاسيما النسيجية منها حيث تصنع هناك أنواعاً دقيقة من الحرير والصوف والكتان ويصدر منها إلى الأسواق الخارجية لاسيما في دمشق[3] واشتهرت المدن الشامية بصناعات الأخشاب والزجاج والصناعات المعدنية[4] بالإضافة إلى ذلك فإنه قد وجد في مصر هي الأخرى بعض الصناعات المهمة التي تعكس بلا شك غنى البلاد ورقيها اقتصادياً- رغم ممارسات السلطة البيزنطية- إذ وجدت صناعة النحت على العاج والتطعيم بالذهب إضافة إلى صناعات الورق والزجاج والمنسوجات وبناء السفن التي تجلب أخشابها من الشام[5].

ومما تقدم يبدو أن الحياة الاقتصادية في الشام ومصر كانت مزدهرة رغم ممارسات السلطة البيزنطية الحاكمة والناجمة عما كان بينها وبين الفرس من حروب استنزفت الشيء الكثير من ثرواتها، كما كانت تلك الأقاليم ممولاً أساس لأبناء القبائل العربية في الجزيرة نتيجة لما حباها الله تعالى من موارد زراعية وصناعية.

---

(1) بتلر، فتح العرب لمصر، ص 37- 38.

(2) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 162- 164؛ الطبري، تاريخ، 100/4.

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 369، طبعة روما.

(4) المحاسنة، محمد حسين سلامة، الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد، 1986م، ص 113 وما بعدها.

(5) بتلر، فتح العرب لمصر، ص 79- 83.

الغنائم وعلاقتها بحركة الفتوح

أدرك الخليفة الصديق (رضي الله عنه) طبيعة الظروف التي أعقبت فتنة الردة في عموم بلاد العرب لاسيما ما نجم عنها من خسائر روحية حلت بقوات الخلافة وبالقبائل المرتدة نفسها لاسيما في موقعة حديقة الموت سنة 12هـ / 633م التي جرت بين جند الخلافة الراشدة وبين مسيلمة الكذاب ومن تبعه من بني حنيفة-[1] وخسائر مادية كان من الطبيعي ان تنجم عن مثل هذا الصراع الواسع النطاق.

وكان الصديق (رضي الله عنه) يدرك جيداً ان على عاتقه مهمات أساسية توجب عليه الاستمرار في تنفيذها، ألا وهي قيادة الأمة نحو الجهاد والفتح، وتقديراً منه لعظمة وخطورة جيوش الروم المحتشدة في الشام، بعد أن رأى قلة عدد المتطوعين المسلمين قياساً لعدد الروم، وهي حقيقة لم تكن لتغيب عن بال أعيان الصحابة (رضي الله عنهم) في المدينة المنورة الذين أثنوا على رأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأيدوه فيما أشار به على الخليفة حين قال: ((ما أرضى هذه العدة بجموع بني الأصفر))[2]، لذلك قرر الصديق (رضي الله عنه) ان يكتب إلى ((أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد يستنفرهم))[3] للقتال.

وهنا لابد من الإشارة إلى حقيقة لا ريب فيها وهي ان رسوخ العقيدة وقوة الإيمان والزهد في الدنيا حالة متفاوتة عند أبناء الأمة الإسلامية وقتذاك حتى في القبائل التي لم ترتد، ولا تماثل في عمقها ما كان عليه حال صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذين آزروه ونصروه واستلهموا ما نزل بين ظهرانيهم من

([1]) خليفة بن خياط، تاريخ، 72/1- 77؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 120- 121، 123؛ الطبري، تاريخ، 396/3- 297.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 7؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 129/1- 130.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 149؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 284.

القـران الكريم وما تضمنته السنة النبوية، والذين يمثلون بدورهم المثال الذي يجب ان يقتدي به سائر المسلمين.

لأجـل ذلـك ولكون الخيلفة ابي بكر (رضي الله عنه) يعد قائد الأمة وأمير جيوشها، كان عليه ان يذكر أهل الصبر والبلاء منهم بثواب الله تعالى إن كانوا من أهل الآخرة ويعدهم بالجزاء والنفل من الغنيمة إن كانوا من أهل الدنيا تحقيقاً لقوله تعالـى: ((وَمَـن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا))[1] وثـواب الدنـيا الغنيمة وثواب الآخرة الجنة[2]، لذلك كانت كتبه إلى قبائل العرب تحمل في طياتها أسلوباً يجمع الترغيب بالجنة ونصر الله عز وجل لمن يريد ثواب الآخرة والفتح والنصر والغنيمة لمن يريد ثواب الدنيا[3].

ولان الغنـيمة بأنواعها شيء أحله الله تعالى لعباده المجاهدين في سبيله، لذا فـإن المسلمين من أبناء تلك القبائل المستنفرة كانوا أنفسهم قد اختلفوا في نياتهم من وراء تلبية النداء إذ كانوا- على ما يروى- ((بين محتسب وطامع))[4]، علاوة على هـذا فإن هناك مسألة يجب الوقوف عندها هي أن استجابة تلك القبائل لنداء خليفة المسلمين أفراداً وجماعات أدى بلا شك إلى تركهم ((الديار والأموال))[5] وهو أمر أعلنـته بعـض تلـك القبائل بكل فخر أمام الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) [6]، وبالتالـي فـإن ذلك يحتم على الخلافة توفير موارد اقتصادية تموينية لتلك الجموع

([1]) سورة آل عمران، آية 145.

([2]) المـاوردي، ابـي الحـسن علـي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية والـولايات الدينـية، وبهامشه اقباس الأنام في تخريج أحاديث الأحكام، تأليف د. خالد رشيد الجميلي، (بغداد 1989م)، ص73.

([3]) ينظر: نص كتاب الخليفة ابي بكر إلى قبائل العرب ك الأزدي، فتوح الشام، ص 8؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 129- 130؛ صفوت، احمد زكي، جمهرت خطب، 1/ 142.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 149؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 284.

([5]) الأزدي، فتوح الشام، ص 25.

([6]) فتوح الشام، ص 25.

التي تتابعت ((يتلو بعضها بعضاً ومعهم نسائهم وأموالهم))[1] لاسيما إذا ما علمنا أن الديوان لم يكن قد دون بعد أو ضمنت للجند أعطيات محددة[2]، إذ ((لم يفرض النبي صلوات الله عليه ولا أبو بكر (رضي الله عنه) للمسلمين عطاء مقرراً))[3]، ولأن تلك الجموع ستقف- دون شك- في مواجهة أعداء صعبي المراس وجيوش عركتها تجارب الحروب مثل الفرس والروم، إزاء كل تلك الأمور لم يكن أمام الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) من مناص إلا أن يعتمد سياسة التشجيع والتحفيز بالمغانم- بعد التذكير بما وعد الله تعالى المجاهدين في سبيله من الفضل والثواب- لاسيما وأن الله جل وعلا قد جعل ((رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجة رماحها))[4] عندما تكون تحت السلاح مجاهدة في سبيله جل ثناؤه، سائراً بذلك على خطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الاتجاه الذي سبق له (صلى الله عليه وسلم) أن أعلن بكل جلاء عن النوايا والبواعث الاقتصادية وراء العديد من سراياه وغزواته الموجهة ضد مشركي قريش[5]، كضرب من الحرب الاقتصادية ورداً

---

(1) الواقدي، فتوح الشام، 8/1.

(2) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص 40.

(3) ابن الطقطقي، الفخري، ص60.

(4) ابن آدم، يحيى بن آدم القرشي، الخراج، مط بريل (ليدن 1895م)، ص 59؛ محمد، محمد عبد الجواد، ملكية الأراضي في الإسلام تحديد الملكية والتأميم، مط العالمية، (القاهرة 1971م)، ص 44.

(5) ينظر: الواقدي، المغازي، 9/1، 11-12، 14، 20؛ ابن سعيد، الطبقات، 7/2- 10، 36، 87؛ خليفة بن خياط، تاريخ، 14/1، 21- 22؛ الطبري، تاريخ، 402/2- 403، 407-408، 492- 493.

علـــى الاعـــتداء بالمـــثل ولإخراجهم إياه والمسلمون الاوائل من اهل مكة معه من أموالهم و" دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ"(1).

ومـــن المعلـــوم أن الله تعالى احل الغنائم للمسلمين بعد معركة بدر (2 هـ) بقوله جل شأنه: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْـنِكُمْ وَأَطِـيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"(2)، وقوله تعالى: " فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(3) (4)، وأعلم المصطفى (صلى الله علـــيه وسلم) المسلمين ذلك بأحاديث صريحة فقد ذكر لهم ان الله تعالى أعطاه عدة أمور لم تعط لنبي قبله منها: ((وأُحِلَتْ لي الغنيمة ولم تحل لنبي كان قبلي))(5) وفي حـــديث آخر موجه للمسلمين قال (صلى الله عليه وسلم): ((وأحلت لكم الغنائم))(6)، علـــى أن يكـــون ذلك مقروناً بالجهاد في سبيل الله تعالى، وإلا فلا يجوز ان يقاتل الرجل للمغنم(7)، أي أن تكون غايته الأولى وهدفه الأسمى الجهاد(8)، كما أنه (صلى الله عليه وسلم) طالما ندب المسلمين محفزاً إياهم للجهاد بقوله: ((المجاهد في سبيل

---

(1) سورة الحج، آية 40؛ يذكر ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) استنفر المسلمين في غزوة أحد قـــائلاً: "هـــذه عيـــر قريش فيها أموالهم لعل الله ينفلكموها" ينظر ابن هشام، المصدر السابق، 2/ 244؛ ابن سعد، الطبقات، 2/ 11.

(2) سورة الأنفال، آية 1.

(3) سورة الأنفال' آية 67- 69.

(4) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص 32.

(5) الترمذي، السنن، 3/ 56؛ النسائي، السنن، 4/6-6؛ ابن كثير، تفسير القرآن، 2/ 312.

(6) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 6/ 21؛ ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لـــم تحـــل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم"، ابو عبيد، الأموال، ص 317؛ ابن كثير، تفسير القرآن، 2/ 312.

(7) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 28/6- 29.

(8) ينظر في تفصيل ذلك: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 27/6- 29.

الله مضمون على الله أما يكفته إلى مغفرته ورحمته وإما ان يرجعه باجر وغنيمة))[1].

وتأسيساً على ما تقدم فإن الخليفة أبا بكر (رضي الله عنه) لم يكن مبتدعاً فيما نهجه من أسلوب لاستنفار المتطوعين وترغيبهم بالمغانم، لان ذلك أمر قد أحله الله تعالى وعمل به نبيه (صلى الله عليه وسلم) وتنفيذاً لأمر الله جل شأنه بضرورة التأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) [2] وإتباع ما جاءهم به[3]، لذا عمد الخليفة (رضي الله عنه) إلى العمل بالسنة الشريفة في دفع الناس صوب جبهات الجهاد مرغباً إياهم بالمغانم لمن بقي حيّاً منهم، وبهذا يكون الدين الإسلامي استناداً إلى (القرآن والسنة) قد ألغى نهائياً ظاهرة الغزو في سبيل اكتساب القوت التي كانت شائعة في بوادي العرب واحل الرزق الذي يحصل عليه المسلمون كغنيمة حرب أثناء الجهاد في سبيل الله تعالى[4].

حظيت دوافع الفتح الإسلامي لاسيما السنوات الأخيرة من حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما بعدها باهتمام الدراسات الحديثة لاسيما الاستشراقية منها التي ركزت على الدوافع الاقتصادية ووظفتها بالشكل الذي يخدم النوايا المسبقة المعلنة وغير المعلنة تجاه الإسلام، فعلى سبيل المثال لا الحصر أعطى فيليب حتي- من غير أن يورد دليلاً تاريخياً موثوقاً بصحته يدعم به ما زعم- تعليلاً لخروج المسلمين إلى مؤتة (8 هـ/ 629م) يقول فيه: ((أما الباعث الجوهري فهو رغبة محمد في الحصول على السيوف المشرفية التي تصنع في مؤتة ونواحيها

([1]) ابن ماجه، السنن، 2/ 920- 921؛ النسائي، السنن، 6/16- 17.

([2]) سورة الأحزاب، آية 21.

([3]) سورة الحشر، آية 6.

([4]) النص، إحسان، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، (بيروت بلا ت)، ص 296؛ الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص 13.

ليسلح بها رجاله يوم الهجوم العتيد على مكة))[1]، غير منكر ما تذكره المصادر وتؤكده أنه خرج للثأر لرسول كان النبي (صلى الله عليه وسلم) بعثه إلى أمير الغساسنة في بصرى فقتله[2].

ويتبين من خلال الشواهد التاريخية أن ما ذكره بعيد كل البعد عن الحقيقة، لاسيما إذا علمنا ان أهل المدينة كانت لهم تجارة مع الشام وضواحيها تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام[3]، كما وأن أغلب الصحابة من المهاجرين كانوا أهل تجارة قبل الإسلام وبعده، بل أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان قد زاولها بنفسه، وإن استقرارهم في المدينة المنورة لم يكن ليلغي العمل الذي اعتادوا ممارسته لسنوات طويلة، فضلاً عن أنهم كانوا قد دخلوا عدة معارك قبل ذلك مع مشركي مكة ومع اليهود حول المدينة المنورة ايضاً ولم يذكر أن سبب خسارتهم الأول والأساس في أُحد- مثلاً- هو قصور عدتهم الحربية ازاء عدة قريش على الرغم من تفاوت كميتها وعدد المقاتلة بين الطرفين، وإن المبالغ التي انفقها المسلمون في تجهيز جيش العسرة المتجه نحو تبوك (9 هـ/ 630م) [4] يظهر ما كان عليه عدد من المسلمين من الثراء، كان من الممكن استثمار هذه الاموال في شراء السيوف من مؤتة لاسيما وان تجارة المدينة لم تنقطع مع الشام وضواحيها بعد الهجرة[5]، ويأتي ذلك تفنيداً لما ادعاه بروكلمان من ان خروج النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى تبوك

([1]) تاريخ العرب مطول، 1/99.

([2]) حتي، تاريخ العرب مطول، 1/99؛ ينظر الواقدي، المغازي، 2/ 755- 756.

([3]) ينظر: الواقدي، فتوح الشام، 1/16؛ المقدسي، ابو قدامة عبد الرحمن بن محمد ابن احمد، التبيين في انساب القريشيين، حققه وعلق عليه: د. محمد نايف الدليمي، ط1، المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1982م)، ص 62.

([4]) ينظر: البلاذري، انساب الأشراف، ق1، ج4، تحقيق: د. إحسان عباس، دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن، (بيروت 1979م)، ص 487- 488، 490- 494.

([5]) الواقدي، فتوح الشام، 1/16.

لاجــل الحصول على المزيد من الغنائم ولإشغال اتباعه المدنيين الذين لا زالوا في حالة من عدم الارتياح بعد توزيع غنائم حنين (8 هـ/ 629م) [1].

إن تلــك الافتراءات وسواها تفضح دوافع مفتريها في إفراغ الإسلام من كل المعاني الإنسانية المثلى والقيم الروحية السامية فعَدوه استمراراً لحركة غزو القبائل العــربية في الجاهلية التي تهدف إلى السلب والنهب والحصول على الطعام والكلأ والماء في المراعي الخصبة لدوابهم[2].

بل إن بعض المستشرقين عدّ الفتوحات ((آخر هجرة سامية كبيرة ناتجة عن تدهور الأحوال الاقتصادية في الجزيرة)) منكرين أن الهدف الأسمى لها هو ((نشر الإســلام)) ومعتبرين ان الذي ((نشر لم يكن الدين الإسلامي بل سيادته السياسية)) ومعللين ذلك بـــ ((عدم وجود حركة تبشيرية خلال الفتوحات وبعدها))[3].

ورداً علـــى مـــا ذكـــره هؤلاء ومن تبعهم في الرأي من المستشرقين ومن شـــايعهم[4] لا بـــد أن نشير إلى أن مسألة خروج الهجرات العربية من بلاد العرب تجـــاه الهـــلال الخصيب وبلاد الرافدين حقيقة لا تنكر ترجع إلى قرون عديدة قبل الإسلام[5].

([1]) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 65.

([2]) Gabrieli, Op. Cit, pp. 107- 110.

ماســيه، هنري، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، (بيروت 1960م)، ص 52؛ لويس، العرب في التاريخ، ص 69- 70.

([3]) ينظـــر الـــدوري، عـــبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص 53- 54؛ الرصافي، معروف، رسائل التعليقات، ط1، مط المعارف، (بغداد 1944م)، ص 200- 201.

Gabriali, Op. Cit, p. 108.

([4]) شـــعبان، محمد عبد الحي، صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، (بيروت 1983م)، ص 34- 36.

([5]) ينظر: الفصل الثالث الدوافع القومية.

وإذا كان خروج هذه القبائل بسبب انهيار الحياة الاقتصادية في اليمن بسبب خراب السدود وتعطل الزراعة هناك، فإن ذلك على رأي بعض الباحثين ((لا يعود إلى فعل الجفاف الذي أثر على السد كما تصور ذلك كيتاني بل يعود إلى عامل آخر لا صلة له بالجفاف هو ضعف الحكومة في اليمن وتزعم الأقيال والأذواء فيها وتدخل الحكومات الأخرى في شؤون العربية الجنوبية كالحبشة والفرس مما أدى إلى اضطراب الأمر في اليمن وظهور ثورات داخلية وحروب.. فألهى ذلك الحكومة عن القيام بإصلاح السد فتصدعت جوانبه فحدث الانفجار فخسرت منطقة واسعة من أرض اليمن مورد عيشها الأول وهو الماء ويبست المزارع التي كانت ترتوي منه واضطرت القبائل وأهل القرى والمدن الواقعة فيها إلى الهجرة إلى مواطن جديدة وتصدع السد بسبب ضغط الماء على جوانبه هو في حد ذاته دليل فساد نظرية الجفاف))(1).

فضلاً عن ذلك فإن هجرة القبائل العربية البدوية استمرت حتى القرن السابع الميلادي، بل حتى بعد الإسلام بحثاً عن الماء والكلأ، لكنها حركة مستمرة وبطيئة ليس لها هدف محدد أو فكرة معينة تنشد من وراء ذلك نشرها وقد أفصح عن غاياتهم من هذه الهجرة الاصطخري بقوله: ((وقد كانوا منتشرين ما بين العراق واليمن والشام ينتجعون المراعي والمياه معتمدين عدم الاستقرار أساساً لحياتهم))(2).

إلى جانب ما تقدم فإن المصادر التاريخية المعتمدة لا تشير إلى حصول حالة من الجفاف أو الانهيار الاقتصادي عمت في جزيرة العرب منذ حوالي منتصف القرن السادس الميلادي على أقل تقدير في مكة أو المدينة أو الطائف وحتى بلاد اليمن- التي كان لقبائلها دور بارز في الفتوحات- بل على العكس تماماً فإن ما حصل من ازدهار في أنماط وأوجه النشاط الاقتصادي هناك عصرئذ جعلها مثار

---

(1) ينظر: علي، جواد، المفصل، 246/1.

(2) المسالك والممالك، ص 25.

اطماع الدول الكبرى المحيطة بها وما حملة ابرهة الحبشي على مكة عام ولادة النبي (صلى الله عليه وسلم) [1] الهادفة إلى احتوائها سياسياً واقتصادياً إلا شاهداً يؤيد ما نذهب اليه، فضلاً عن أشكال أخرى من التخريب الاقتصادي المتعمد التي مارستها تلك القوى الخارجية التي لم تغفل عن ذكرها المصادر التاريخية[2].

ومن الواضح أن هذه الموجة الجديدة من الانسياح العربي الإسلامي لم تكن كسابقاتها من الهجرات العربية لان ما تحمله من أهداف وغايات أسمى وابعد جعلت من شارك كيتاني في نظريته يعترف بأن الإسلام قد قدم الوحدة الضرورية والقوة المركزية لهم[3]، أما الأستاذ الدوري فيذهب إلى أن القيادة والتوجيه والبناء كانت لعرب المدن مع أن أغلب المقاتلة من البدو وهو ما يميز الفتوحات الإسلامية عن الغارات البدوية في الجاهلية من حيث التنظيم والأسلوب والهدف[4].

كما أن توجه جيوش الفتح الإسلامي باتجاه العراق والشام يعد بالنسبة للمسلمين أمراً طبيعياً لابد منه لان الله تعالى أوجب عليه ذلك[5]، ولأن العراق والشام هما أقرب الأقاليم وأكثرها صلة بجزيرة العرب من النواحي المختلفة، وعلى هذا الأساس كان الانطلاق صوبهما أمراً لابد منه، علاوة على ذلك اعتماد المستشرقون ومن سايرهم من المؤرخين المسلمين ذوي النظرة الاقتصادية- الأحادية- على بعض الروايات المتضمنة جوانب من الخطب الحماسية لقادة الفتح الموجهة لجنودهم لتعزيز وتضخيم الدوافع الاقتصادية وجعلها غاية أولى وهدف

([1]) ابن هشام، السيرة النبوية، 1/ 43- 46؛ الارزقي، أخبار مكة، 36/1 وبعدها.

([2]) بيضون، إبراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت 1979م)، ص 38؛ ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية، ص 35-36.

([3]) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 17؛ لاندو، العرب والإسلام، ص 59.

([4]) الدوري، عبد العزيز، التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 37.

([5]) قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً " التوبة: آية 123.

اسـمى يطغى على سائر الدوافع الاخرى، متجاهلين ان هذا الأسلوب من التشجيع مارسـه المـسلمون فـي حروبهم داخل شبه الجزيرة، منها مثلاً ما قاله العلاء بن الحضرمي لجموع قبيلة عبد القيس التي حاربت مرتدي البحرين ((وان القتيل منكم فـي الحـياة والـرزق عند الله وللحي منكم الغنم والسرور))[1] يوضح مقاصدهم وغايـاتهم المبيـتة ضـد الإسلام والمسلمين، وهكذا لابد أن تكون هناك حالة من الموازنة بين الأهداف الرئيسية وما استجد من أهداف مصاحبة عدّت وسيلة لتحقيق الهدف الأسمى والنظر إليها بمنظار منطقي.

ولأن الـشريعة الإسـلامية قـد أحلت للمسلم المجاهد ما تخلف من غنيمة- مـنقولة أو غير منقولة- نتيجة لصراعه مع أعداء الدين ولكون الإسلام يحمل في جوهره حالة من الموازنة المنطقية بين المثل الروحية الأخروية والحاجات الإنسانية والدنـيوية[2] ولان الرسـول (صـلى الله علـيه وسلم) قد مارس هذه الصيغة من الاستنفار لجنده- كما مضى ذكره- في سراياه ومغازيه ولان الجهاد نفسه لا يعني ((فقـط التضحية والتماس الحياة المثلى في الآخر فهو في مضمونه يعني مباشرة الجانـب الدنيوي في شخصية المقاتل العربي المسلم....)) [3]، لذا استنفرت الخلافة المقاتلة للفتح والجهاد ونيل المغانم بعد رضي الله تعالى لمن يحيى منهم سواء كانت المغـانم (فـيء أو غنيمة) [4] أو ان يدخل أبناء تلك الشعوب المحررة في الإسلام

([1]) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 52.

([2]) سورة آل عمران: آية 145.

([3]) بيضون، الاتجاهات السياسية، ص 41.

([4]) الفـيء: ما وصل المسلمون من اعدائهم صلحاً من غير قتال وما ملكه المسلمون من أموال وممـتلكات عفـواً لانجـلاء المـشركين عنها. ينظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص39؛ الماوردي، الأحكام السلطانية، ص 199- 200.

الغنـيمة: ما يأخذه المسلمون من المشركين عن طريق الحرب من اموال منقولة وغير منقولة، ينظر: ابن آدم، الخراج، ص 3؛ ابو عبيد، الأموال، ص 127.

فيــصبحوا جزءا لا يتجزا من هذه الأمة واموالهم وانفسهم في خدمة قضية الإسلام الأساس.

يــؤكد ما مر ذكره أن القائد خالد بن الوليد لما وصله كتاب الخليفة ابو بكر (رضــي الله عنه) استنفر من معه من المقاتلة بغية التوجه إلى العراق قائلاً: ((فمن أراد الثواب العاجل والآجل فلينكمش))[1] قارناً بين الهدف الأسمى للجهاد وهو نشر الإســلام، وبــين مــا قد يجول في نفس جنده من رغبة مادية فيما أحله الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) لهم إن استجابوا لنداء النفير.

ويتبــين أن استخدام هذا الأسلوب من قبل خالد بن الوليد ربما يعود إلى تلكؤ بعض المقاتلة عن التوجه نحو بلاد فارس استعظاماً لجبهة الفرس، علاوة على ان خــروجهم إلــى العراق جاء بعد معارك الردة مباشرة التي أرهقتهم من الناحيتين الماديــة والبــشرية- كما ذكرت سابقاً- وان هذه الحالة من التثاقل كانت من جملة القضايا التي لاحظها الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) ووجه قادته بعدم الزام هؤلاء بالقــتال لمــا لــه من نتائج وخيمة خلال القتال، منها قوله لخالد: ((وأذن لمن شاء بالرجوع ولا تستفتح بمتكاره))[2].

ومــع تواصل الفتوح وتكالب جموع الفرس على جبهة العراق لم ينس القائد خالــد بــن الوليد أن يستنهض المجاهدين بالخطب الحماسية التي تحمل في ثناياها مسحة من الموازنة بين المقاصد الجهادية والمطامع الدنيوية المشروعة للمجاهدين، فــبعد انتصار المسلمين وهزيمة الفرس في وقعة الولجة (12 هــ/ 633م) على ما يــروي ذلــك سيف بن عمر (ت 180هــ) قام ((خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم ويزهدهم في بلاد العرب وقال: ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب وبالله

([1]) الأزدي، فتوح الشام، ص 56.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 346.

لــو لم يلزمنا الجهاد والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلا المعاش لكان الراي ان نقارع على هذا الريف حتى نكون اولى به))[1].

إن هــذا بــلا شك يؤكد حقيقة ثابتة وهي أن أرض العراق أغنى من جزيرة العــرب مــن الناحية الاقتصادية لاسيما في مجال الزراعة، وأنه كان يحث مقاتليه علــى التوجه نحو هذا الإقليم للجهاد اولاً وللحصول على الموارد الغذائية التي تعد هدفاً مهماً لحياتهم عصر ذاك وهذا لا يعني في الوقت عينه ان المسلمين في جزيرة العــرب يعانون مجاعة قاسية كما يصور ذلك من استغل هذا النص وغيره من تلك النصوص في إثبات هذه الفكرة[2].

مــن ناحية أخرى فإن قادة الفتح الإسلامي كانوا دائماً حريصين على توفير الموارد المعاشية لجندهم ولتأمين استمرارية الفتوحات، وتعزيز قدرة الدولة العربية الإســلامية اقتــصادياً من خلال حصول المجاهدين على غنائم أهل البلاد المفتوحة المختلفة.

وفــي أطــار سياسة الخلافة التشجيعية لدفع المقاتلة إلى أمام سواء بالخطب الحماســية ام باتخــاذ إجراءات يوحي ظاهرها بأن غاياتهم الحصول على المغانم، ولكن جوهرها يعكس الرغبة الشديدة لدى الخلافة وقادة جيوشها في دفع المقاتلة إلى تحقــيق الأهــداف الكبرى لها، فمثلاً قام خالد بن الوليد بعد أن علم بتواصل أمداد الفــرس بعد هزيمتهم في ذات السلاسل سنة (12 هــ/ 633م) بتقسيم الفئ ((على مــن افــاءه الله عليه ونفّل من الخمس ما شاء الله))[3]، وقد تكرر هذا الإجراء بعد معركة المذار سنة (12هــ/ 633م)، بل زاد على ذلك أن ميّز أهل البلاء في القتال

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 354.

([2]) عــن تلــك الآراء ومــثلها ينظر: سالم، عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية تاريخ العرب منذ الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية، دار النهضة العربية للطباعة، (بيروت بلا ت)، ص454-455.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/351.

بـزيادة حصـصهم مـن الأخماس[1]، كل ذلك ليشجعهم على مواصلة قتال الفرس ويوفـر المؤونة اللازمة لهم ولعيالاتهم ولأجل التواصل في إصلاح عدتهم الحربية وتطويـرها بالشكل الذي يمكنهم من صد من يعترض دعوتهم تنفيذاً لأمره تعالى: ((وَأَعِـدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ))[2] ولانهم لم يكن امامهم من سبيل إلا ان يعتمدوا على تلك المغانم التي احلّت لهم.

تعد توجيهات الخلافة لجندها بعدم التعرض للفلاحين وإقرارهم على اراضيهم وأملاكهـم ممن لم يجهروا بعدائهم ومقاومتهم للمسلمين انطلاقاً من الأمر الآلهي: ((وَقَاتِلُـواْ فِـي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))[3] شـاهداً آخـر يؤكد أن المسلمين هذه المرة يختلفون عمّا كانت عليه غارات القبائل العـربية قـبل الإسلام، من حيث الأهداف والتنظيم والأسلوب وهذا ما نهجه القائد خالـد بـن الوليد وجنده مع فلاحي السواد من خلال إقرارهم على أراضيهم وعدم التعرض لهم ولأملاكهم بسوء[4]، لان غنائم الحرب المباشرة يدفعها أعداء الإسلام ممن ابوا إلا القتال والوقوف بوجه الدعوة الإسلامية[5].

لـذلك كانـت عقـود الصلح التي ابرمها المسلمون مع أهل البلاد المحررة تلـزمهم بدفع مبالغ معينة من الأموال لقاء سلامتهم، وكان على المسلمين بالمقابل الـتعهد بحمايتهم وحماية ممتلكاتهم تجاه من يتعرض لهم ولا حق للمسلمين فيها إن لـم يوفـوا بعهـدهم، فقـد جاء في صلح خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف[6]

([1]) الطبري، تاريخ، 352/3.

([2]) سورة الأنفال: آية 60.

([3]) سورة البقرة: آية 190.

([4]) الطبري، تاريخ، 350/3، 352، 354.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 352، 354.

([6]) قـس الناطف، موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 349/4.

((عاهدتكم على الجزية.. والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم))[1]، أي علـــى أهل البلاد الإسهام بشيء من الجانب المادي في تقوية الجيش الإسلامي لأجل ضمان حمايتهم، وما إعادة الجزية لأهل حمص فيما بعد عند تحشد الروم في اليـــرموك إلا شاهداً يثبت صحة ذلك، إذ أشار ابو عبيد ة على أحد قادته أن ((أردد علـــى القوم الذي كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فإنه لا ينبغي لنا إذ لـــم نمنعهم ان نأخذ منهم شيئاً وقل لهم نحن على ما تركناهم عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح لا نرجع فيه إلا إن تراجعوا عنه وإنما ردنا عليكم أموالكم إنا كرهنا ان نأخـــذ أمـــوالكم ولا نمنع بلادكم))[2] إلى جانب ذلك فإن هذه العقود تضمنت ابعاداً إنـــسانية اكبر مما يتصور أهل تلك البلاد المحررة منها استثناء الرهبان، إذ استثنى خالد رهبان الحيرة[3] وفرضت الجزية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على الرجال دون النساء والأطفال وكل حسب طاقته[4].

وفـــي فـــتوح المسلمين للشام لم يكن الحال ليختلف عما كان عليه في جبهة العراق، فقد عمد الخليفة الصديق (رضي الله عنه) إلى تذكير المسلمين بما أعد الله تعالى لمن بقي حيّاً من المجاهدين في سبيله جل ثناؤه من نصر وغنيمة، وذلك لما رأى شـــيئاً مـــن التثاقل والتهيب من الروم لدى بعض المسلمين[5]، وقلة عدد جند الإســـلام قياساً إلى حشود الروم وحلفائهم بالشام[6] وقرر (رضي الله عنه) استنفار من ثبت على الإيمان ولم يرتدّ من قبائل العرب في ((مكة والطائف واليمن وجميع

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 367- 368؛ ينظر ايضاً ص 364.

([2]) الأزدي، فـــتوح الـــشام، ص 155- 156؛ ينظـــر ايـــضاً: ابـــو يوسف، الخراج، ص 67؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 187.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 364.

([4]) ينظر: ابو يوسف، الخراج، ص 67؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 170- 171.

([5]) الازدي، فتوح الشام، ص 5؛ اليعقوبي، تاريخ، 123/2.

([6]) الأزدي، فتوح الشام، ص 3.

العرب بنجد))[1]، ولم ينس بدوره تفاوت المتطوعين واختلاف نواياهم في الاستجابة لدعـوته ورغبته في الثواب العاجل والآجل، حيث ندبهم قائلاً: ((فسارعوا عباد الله إلى فريضة ربكم وإلى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الغنيمة))[2].

عاكساً بذلك الصفة الواقعية للرسالة الإسلامية في تعاملها مع النفس البشرية وتقديـرها لحاجاتهـا الضرورية بعيداً عن الترهب أو الزهد المطلق فيما أحل الله تعالى.

وقد استجاب أبناء القبائل العربية المستنفرة فجاؤا ومعهم أهلهم وأموالهم[3]، غيـر أنهـم لـم يكونوا جميعاً تدفعهم الحاجة أو الجهد صوب الفتح بالصورة التي تـصورها الكتابات المغرضة، إذ ترفض المصادر التاريخية مثل تلك الافتراءات، فقـد روي مثلاً ان ذا الكلاع الحميري قدم على الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) ((ومعه ألف عبد دون من كان معه من عشيرته))[4] تجهزوا كجهاز القبائل اليمانية التـي أقـبلت بـــ ((العـدد والعديد والزود النضيد))[5] والذين ((كانوا أهل قرى ومزارع فتركوا وطنهم رغبة بالهجرة))[6].

كـل ذلك يظهر بجلاء ما كانوا عليه من انتعاش اقتصادي يخالف كثيراً تلك الصورة التي رسمت لهم وكأنهم ((هجرة جماعية نشيطة... دفعها الجوع والحرمان إلى ان تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلاداً أكثر خصباً))[7].

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 149؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 284.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 8؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/129- 130.

([3]) الواقدي، فتوح الشام، 1/8.

([4]) المسعودي، مروج الذهب، 2/ 305 يروى ان زعماء العرب وإشرافهم وملوك اليمن قدموا على الخليفة ابي بكر ((وعليهم الحلل والحِبَرُ وبرود الوشي المثقل بالذهب والتيجان))، مروج الذهب، 2/ 305.

([5]) الواقدي، فتوح الشام، 1/8.

([6]) الجاحظ، العثمانية، ص 212.

([7]) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 47؛ وبنفس المعنى: حتي، تاريخ العرب مطول، 1/195.

ومــع ذلــك كله لم يخفوا رغبتهم في الحصول على ما ينتج عن الفتوح من مغانم وهي مسألة أكدها اندفاع خالد بن سعيد بن العاص الذي ازداد حماساً لما بلغه عن الأمراء الذين تجمعوا عند الخليفة (رضي الله عنه) وتوجههم إليه حين ((أقتحم طلب الحضوه))[1] وتسارع يزيد ابن ابي سفيان في السير إلى هناك على الرغم من وصــية الخليفة له بالرفق بمن معه في السير معللاً ذلك لمن عابته بالقول: ((أردت أن اسبق الناس إلى الشام فلعلنا ان نفتح فتحاً قبل تلاحق الناس بنا فيجتمع لنا بذلك ثــلاث خصال رضاء الله عز وجل ورضاء خليفتنا وغنيمة نأخذها))[2] جاعلاً من الغنيمة امراً ثانوياً يأتي بعد رضا الله تعالى وخليفة رسول الله.

لــم تكــن قــضية تموين الجند لتغيب عن بال الخلافة وقادتها بسبب إنتقال المــسلمين في قتالهم خارج حدود شبه الجزيرة إلى مرحلة جديدة تختلف عمّا كان علــيه حــالهم هناك، إذ طالت هذه المرة خطوط مواصلاتهم وبعدت ميادين القتال بالنسبة لهم عن مركز قيادتهم الرئيس في المدينة المنورة وطالت كذلك غيبتهم عن ديــارهم وأموالهم ولم تعد نفقة من يشترك في الجهاد بالغة ما بلغت تكفي صاحبها وتغنيه عن مدد النفقة والتموين، ولكون الخلافة في بداية الامر- كما اشرنا سابقاً- لــم تكن قد حددت عطاء للمقاتلين أو وضعت لهم ديوان يضمن لهم ارزاقاً معلومة وعطــاءات ثابــتة؛ لــذا كانت وصية الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) ليزيد عند توجــيهه إلى الشام تؤكد على هذه المسألة موجهاً إياه بالاعتماد على ثروات البلاد المحررة في تموين أنفسهم مع تشديده البالغ على عدم الإضرار بممتلكات اهل تلك

([1]) الطبري، تاريخ، 391/3.

([2]) الــواقدي، فتوح الشام، 10/1؛ الحضي، محمد أديب، منتخبات التواريخ لدمشق، دار الآفاق الجديدة، (بيروت 1979م)، 48/1- 49.

البلدان إلا فيما يتعلق بسد حاجتهم ونزع عناصر القوة من أيدي عدوهم[1] مقتدياً بذلك برسول الله (صلى الله عليه وسلم) [2].

كان جند الخلافة منذ وصولهم أرض العراق ((يعيشون مما ينالون من العراق))[3] على حد تعبير البلاذري، إذ أن خالد وجنده لم يجدوا بدّاً- وللأسباب آنفة الذكر- من الاعتماد على ثروات السواد ولأجل التزود بالمؤن ومواصلة الفتوح، ولانتزاع أسباب القوة من يد الساسانيين أخذ بتوجيه الغارات على مراكز النشاط الاقتصادي لهم، وتتفق أغلب المصادر على أن الهدف الأساس من غارات المسلمين على بعض الأسواق الموسمية التي يجتمع فيها التجار من مختلف مدن العراق وتحتوي على أموال كثيرة، هو الحصول على الأموال لتكون غناءً للمسلمين وقوة لهم على عدوهم[4]، فقد نبهت اشارة من أحد العرب في الحيرة المسلمين إلى ضرورة محاربة أعدائهم في واحد من أهم مصادر قوتهم وانتزاعه وذلك بدلالته لهم على أحد الأسواق الموسمية وفعلاً أرسل خالد بن الوليد إحدى سراياه إلى هناك فأغار ((فملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء وما خف حلمه من المتاع))[5] وكانت أوامر المثنى بصفته قائد هذه السرية بألاّ يأخذوا ((إلا الذهب والفضة ومن المتاع ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته))[6].

---

(1) ينظر: مالك، الموطأ، ص 297؛ الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد، عيون التواريخ، عني بتحقيق النص: حسام الدين الآلوسي، مكتبة النهضة، (القاهرة 1980م)، السفر الأول ص509.

(2) ينظر: مسلم، الصحيح، 27/12؛ ابي داود، السنن، 37/3.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 355- 356.

(4) الطبري، تاريخ، 473/3؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 26-27، وينظر كذلك خليفة بن خياط، تاريخ، 86/1؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 400، 445.

(5) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 116؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 344- 345؛ قدامة ابن جعفر، الخراج، ص 356؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 26/1-27.

(6) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 26/1- 27.

ويظهر أن هذه الغارة وأخرى شنها المسلمون على سوق الانبار[1] ونحوهما من الهجمات السريعة التي شملت أراضي ما بين تكريت وعكبراء[2] كانت خير وسيلة لتمويل أنفسهم وإلحاق الضرر بعدوهم، واستمرت سياسة خالد هذه وهو في مسيره إلى الشام إذا أغار على عدد من القرى والقصبات في طريقه[3] وقبل دخوله ميدان المعارك أغار على أركه ((وهي رأس الأمانة لمن يخرج من العراق وكانت الروم تمسك بها القوافل... واخذ ما فيها))[4].

وعلى جبهة الشام ايضاً فقد نهج المسلمون النهج نفسه في تمويل أنفسهم ميدانياً ومحاربة عدوهم اقتصادياً في مرتكزات قوته مهتدين برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حروبه[5]، وقد أشار الصحابي عبد الرحمن بن عوف على الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) باستخدام هذا الأسلوب القتالي قبل توجيهه للحملات العسكرية إلى الشام بقوله: ((ما أرى أن تقتحم الخيل عليهم إقحاماً، ولكن تبعث الخيل فتغير في أدنى أرضهم ثم تبعثها فتغير ثم ترجع اليك فاذا فعلوا ذلك مراراً أضروا بعدوهم وغنموا من أرضهم فقووا بذلك على قتالهم))[6] وظل الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) يؤكد هذا النهج في القتال ويحث قادته على تطبيقه كلما وجدوا أن الفرصة مناسبة، ومن الشواهد على توجيهاته بهذا الشأن أمره لابي عبيدة بن الجراح قائلاً: ((فبث خيلك قبل في القرى والسواد وضيق عليهم بقطع الميرة والمادة))[7]، فتابع المسلمون ذلك ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إذ

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 345.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، 337- 338.

([3]) الأزدي، فتوح البلدان، ص 72، 76- 78؛ الطبري، تاريخ، 3/ 406-407؛ ابن كثير، الاجتهاد، ص 85- 86.

([4]) الواقدي، فتوح الشام، 24/1.

([5]) ينظر حصاره (صلى الله عيه وسلم) للطائف: ابن هشام، السيرة النبوية، 122/4 وما بعدها.

([6]) الأزدي، فتوح الشام، ص3.

([7]) الأزدي، فتوح الشام، ص 50؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 124- 125.

كانـــوا ((يغيـــرون علـــى أطراف دمشق فكلما أصابوا نفلاً أتوا به في المقسم))[1] وكانت جموع المسلمين في إقليم الجزيرة المحاصرة للرقة تشن الغارات ويصيبون المغانم ليتقووا بها على حصارهم[2].

ولمـــا طـــال أمـــد الحصار ((بث السرايا فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى وبالأطعمـــة))[3] ونحـــو ذلك ما فعلته إحدى السرايا المتجهة إلى عين الوردة[4] إذ أصابت في طريقها اقواماً من الفلاحين فغنمت منهم مواشي[5].

وللإســـهام فـــي تمـــوين المقاتلة كانت عقود الصلح المبرمة مع أهل البلاد المحـــررة فرصـــة أخرى لتحقيق ذلك- فمثلاً- كان صلح عياض بن غنم مع أهل الرها أن يؤدوا للمسلمين عن كل رجل ديناراً ومدي قمح[6] وتضمن صلحه مع أهل سنجار ((على كل جمجمة دينار ومدين قمح وقسطين زيتاً وقسطين خلا))[7]، بل أن بعـــض تلـــك العقود تضمنت وجوب تجهيز المقاتلة المسلمين بالملابس إلى جانب المواد الغذائية[8].

([1]) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 150- 151.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 237؛ قدامة ابن جعفر، الخر اج، ص 312؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 2/ 445.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، 237- 238؛ قدامة ابن جعفر، الخراج، ص 312.

([4]) عـــين الـــوردة: مدينة بارض الجزيرة فيها وقعة للعرب ويوماً من ايامهم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 180.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 243.

([6]) الـــبلاذري، فتوح البلدان، ص 239. المد: وحدة قياس تساوي 1.5 لتر. ينظر: هنتس فالتر، المكايـــيل والأوزان الإســـلامية، تـــرجمة عن الألمانية، د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان 1970م)، ص 74، 77.

([7]) ابو يوسف، الخراج، ص 41. القسط: مكيال منه في العراق حجمان: القسط الصغير ويعادل وزنـــاً قـــدره 3 ارطـــال من السوائل، أي ان سعته 2158.1لتر، والقسط الكبير كان ضعف الصغير تماماً أي ان سعته 2.4336 لتر. هنتس، المكاييل، ص 65.

([8]) ينظـــر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص 70، 82، 85؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 301.

ولــم تغب فكرة تموين الجيش المتجه نحو العراق بقيادة سعد بن ابي وقاص عــن بال الخليفة عمر بن الخطاب، بل انه حرص على ن تكون منطقة تحشده في القادسـية لأنهـا ((بــاب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الآصل وهو منزل رغيب خصيب حصين))[1]، إلى جانب ذلك لم يوقف المسلمون غاراتهم وعلى مختلف الجبهات للأسباب سالفة الذكر، فقد روي أن رسـتم أقـام قبل القادسية ((بدير الأعور[2] معسكراً أربعة اشهر وأرادوا مطاولة العرب ليضجروا وكان المسلمون إذا فنيت ازوادهم وأعلافهم جردوا الخيل فأخذت على البر حتى تهبط على المكان الذي يريدون ويغيرون فينصرفون بالطعام والعلف والمواشي))[3].

بــات أسلوب الغارات القتالية على مراكز العدو الاقتصادية منهجاً ثابتاً لدى قـادة الفـتح الإسـلامي، إذ استمر سعد في بث الغارات على المناطق الواقعة بين كـسكر والانبار من اجل الحصول على أرزاق للجند ودوابهم وتخزين شيء منها كأحتـياط[4]، بل إنهم لم يفتأوا يشنون الغارات ضد من وقف بوجه دعوتهم حتى ما بعد دحر الفرس في القادسية وفتح جلولاء 16هــ/ 636م[5].

ومن المرجح أن السبب وراء ذلك هو مطاولة الفرس لهم وعدم كفاية ما كان يــردهم مــن امداد على الرغم من أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان ((يمدهم بالأسواق إلى ما يصيبون))[6]، لاسيما أن موارد أرض شبه جزيرة العرب كانت قد

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 491.

([2]) دير الاعور: دير بظاهر الكوفة بناه رجل من إياد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 499.

([3]) الدينوري، الأخبار الطوال، ص 120.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 495 كذلك، البلاذري، فتوح البلدان، ص 357؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص 57.

([5]) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 280- 281.

([6]) الطبري، تاريخ، 3/ 510.

لا تفـــي باحتياجات المقاتلة المتعددة ولهذا العدد الضخم من الجند والعيالات[1] ومع توسع جبهات القتال.

وطـــبق الـــنهج نفـــسه القائد عمرو بن العاص بعد ان تم له فتح مصر أثناء غاراتـــه على افريقية[2] وكذلك خلفه على مصر عبد الله بن سعد بن ابي سرح في خلافـــة عـــثمان بن عفان (23- 36 هـ/ 644- 656م) [3] وكانت الغارات سبيل عـــثمان بـــن ابـــي العـــاص[4] الـــذي لابـــد منه ايضاً لما طال حصار المسلمين لاصطخر[5]، إذ أشار على ابي موسى الأشعري قائد المسلمين هناك بالإغارة على مـــا حولها من رساتيق "فما ظفروا به من شيء قاسموه أهل العسكر المقيمين على المدينة.. فاجمع المسلمون على رأي عثمان"[6].

أظهـــرت أحداث الفتح في العصر الراشدي ان الخلفاء كانوا شديدي الحرص علـــى سلامة الجند وتوفير ما يقيتهم وعيالاتهم لكيما يمضوا في الجهاد والفتح إلى أمـــام، وقد أكد ذلك الخليفة عمر (رضي الله عنه) في أول خطبة له بقوله: ((وأما الثانـــية فالمهاجرون تحت ظلال السيوف أدر عليهم أرزاقهم وأوفر عليهم فيئهم ولا أجمـــرهم فـــي المغازي وأكون أنا أبا العيال حتى يقدموا اما الثالثة فالأنصار الذي آووا رســـول الله (صلى الله عيه وسلم) ونصروه وواسوه في دمائهم وأموالهم أدر

([1]) ينظر مثلاً عدد النساء من بجيلة والنخع والمشاركات في القادسية: الطبري، تاريخ، 3/ 581.

([2]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 32؛ فتوح مصر واخبارها، ص 172.

([3]) ابن اعثم، الفتوح، 2/ 132.

([4]) عثمان بن ابي العاص: ابن بشر بن عبد بن دهمان وقيل عبد دهمان بن عبد الله.. الثقفي، وفد علـــى رسول الله (صلى الله عيه وسلم) مع وفد ثقيف واستعمله على الطائف. ابن الأثير، أسد الغابة، 3/ 475- 477.

([5]) اصطخر: مدينة من أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان سكن ملوك فارس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 211/1.

([6]) خليفة بن خياط، تاريخ، 1/ 123.

علـــيهم وأرزاقهـــم وأوفـــر فيـــئهم..)) [1]، يعزز ما أشرت إليه ما ذكره المدائني (ت 225 هــــ) من أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) حضّ المسلمين بقوله: ((لا يزال الإسلام صالحاً ما حوفظ على أربع: أن يجمع هذا المال من حله ويوضع في حقه وأن توفر أقسام المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله تحت ظلال السيوف))[2].

لـــذا مـــن باب حرصه الشديد على سلامة الجند وحرصاً على ضمان مورد عيش للمقاتلة لمواصلة الفتح، نهى عن تجاوز مكران[3] في فتوحهم خشية ان يهلكوا وان يقتـــصروا علـــى ما دون النهر لما أعلمه من وفد عليه بخمس غنائمها، شحة مـــواردها وصعوبة أرضها وشراسة العدو فيها[4]، والحال نفسه مع الخليفة عثمان بـــن عفـــان (رضي الله عنه) فيما بعد الذي أحجم عن فتح السند وما يتبعها- ربما للأســـباب آنفـــة الذكر- في بداية الأمر، ولأن تلك الأراضي وصفت بأنه: ((ماؤها وشل وتمرها دقل[5] ولصها بطل وإن قلّ الجيش فيها ظاعوا وإن كثروا جاعوا))[6] ممـــا يـــشير بـــلا شك إلى حاجة المسلمين هناك إلى المزيد من الأمداد والميرة إن أصروا على فتح تلك النواحي لاتساع الجبهات وقلتهم بالنسبة لعدوهم مع شحة في مواردها الاقتصادية.

([1]) ابن شبه، تاريخ المدينة، 2/ 675؛ ينظر ايضاً: ابو يوسف، الخراج، ص 117.

([2]) البلاذري، انساب، الشيخان، ص 284.

([3]) مكـــران: بلـــد بأرض فارس وهو اسم لسيف البحر وقد شدد كافةُ الحكم بن عمرو التغلبي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 179- 180.

([4]) الطبـــري، تاريخ، 182/4؛ ينظر وصف اعشى همدان لمكران: الاصفهاني، الاغاني، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1986م)، 6/ 49.

([5]) دقـــل: كل ما لا يعرف اسمه من التمر (دقل). ينظر: ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل الاندلـــسي، المخصص، المكتب التجاري للطباعة، (بيروت بلا ت)، م3، السفر الحادي عشر، ص 132.

([6]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 607.

فـــي حين تشجع الخليفة عمر (رضي الله عنه) لفتح مصر وبادر إلى ارسال الامداد لمساعدة جند الفتح هناك فيما بعد عندما شجعه عمرو بن العاص اثناء لقائه معه في الجابية[1] بقوله: ((إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الأرض اموالاً واعجزها عن القتال))[2]، بالرغم من ورود الروايات التي تشير إلى تردده في ارسال المقاتلة إلى هناك في بداية الامر[3].

وبـــذلك يكـــون الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد استشعر بالاهمية المستقبلية لمـــصر بالنسبة للدولة العربية الإسلامية بما ستوفره من موارد اقتصادية تساهم في ديمـــومة الجهاد والفتح وبناء الدولة الاقتصادية إلى جانب اعتبارات اخرى سيجري بحـــثها في فصل لاحق، وبذا يكون للعامل الاقتصادي- بعد الجهاد في سبيل الله- أثـــر لا ينكـــر في دفع المسلمين لفتحها وقد ظهرت نتائج ذلك فيما بعد عندما نقل المـــواد الغذائية منها إلى الحجاز حينما حلت به المجاعة عام الرمادة سنة (18هـــ/ 639م) عن طريق خليج حفره عمرو بن العاص لهذا الغرض[4].

([1]) الجابـــية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 91.

([2]) ابن عبدالحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 55- 56؛ فتوح مصر والمغرب، ص 80- 81؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 137؛ الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص 6-7.

([3]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 55- 56؛ فتوح مصر والمغرب، ص 80- 81؛ الكـــندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص 6-7؛ ينظر في مناقشة هذه المسألة: الملاح، هاشم، الوســـيط فـــي السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة الموصل، (الموصل 1991م)، ص 375.

([4]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 162- 163؛ ينظر: البلاذري، انساب، الشيخان، ص 192.

ومما شجع الحكم بن عمرو الغفاري[1] على غزو أهل جبل الاشل[2]، ما وصلته من اخبار تشير إلى أن ((سلاحهم اللبود[3] وآنيتهم الذهب فغزاهم))[4] ويظهر أيضاً أن الاسباب سالفة الذكر كانت وراء توجه المسلمين بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي إلى فتح بيكند[5] سنة (87هـ/ 750م) لأنها كانت ((مدينة التجار))[6] إذ ذكر الطبري أن المسلمين ((أصابوا شيئاً كثيراً وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان، ورجع قتيبة إلى مرو[7] وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت إليهم الدواب، وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح بسبعين)[8] واخرج قتيبة ما كان في الخزائن- بعد استئذانه الحجاج بذلك- ((من عدة الحرب وآلة السفر فقسمه بين الناس فأستعدوا فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال: إني اغزيكم قبل ان تحتاجوا إلى حَمْل زاد وانتقلكم قبل ان تحتاجوا إلى الادفاء فسار في عدة حسنة من الدواب والسلاح..)) [9].

([1]) الحكم بن عمرو الغفاري: وهو الحكم بن عمرو بن مجدع بن جذيم بن الحارث، اخو عمر غلب عليهما النسب صحب النبي (صلى الله عيه وسلم) حتى توفي سكن البصرة واستعمله زياد على خراسان. ابن الأثير، أسد الغابة، 1/ 517.

([2]) جبل الاشل: لم أعثر على تعريف له في المصادر.

([3]) اللبود: الصوف إذا ابتل بالماء بعد نقشه. واللبادة قباء من لبود. ابن منظور، لسان العرب، 385/3- 388.

([4]) الطبري، تاريخ، 250/5- 251.

([5]) بيكند: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 533/1.

([6]) الطبري، تاريخ، 430/6.

([7]) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 112/5- 113.

([8]) تاريخ الرسل والملوك، 432/6.

([9]) الطبري، تاريخ، 432/6.

يتـــضح جليا مما تقدم ان الهدف من الحصول على الغنائم هو في جانب منه لإدامـــة وتطويـــر عدة الجيش الإسلامي الحربية وذلك بشراء اسلحة جديدة ودواب اضافة إلى الارزاق، كما إن جزءً كبيراً من الأموال تبقى لدى مقر القيادة الميداني لاسيما في تلك المناطق النائية الباردة، لكي تستخدم عند الحاجة وعند بدء الأعمال العسكرية وقت حلول الدفء، وبذلك يستطيع القائد ان يوفر جانباً مهماً من متطلبات واحتياجات مقاتليه ميدانياً.

مـــن كـــل ما مضى ذكر يظهر أن الخلافة في العصرين الراشدي والأموي وقادتها قد أولت مسألة توفير المستلزمات الميسرة للفتح وإيصال رسالة الإسلام إلى بقية الأمم كل الاهتمام لاسيما إذا علمنا أن هؤلاء المجاهدين سيخوضون معارك قد تستمر لأيام مع من يعترض طريق الدعوة ويحول دون بلوغها هدفها، ولكن ذلك لا يعنـــي فـــي الـــوقت نفسه توقف الجهاد والفتح إن شحت الموارد أو قلت في البلاد المزمع فتحها، بل إن مثل ذلك الاحتمال ولكيلا يعرقل تنفيذ الرسالة أي عائق والى جانـــب أمور أخرى تتعلق باتساع مساحات الأراضي المفتوحة وكثرة الداخلين في الإسلام أو تحت رايته وتوسع مؤسسات الدولة الناشئة واشراكاً لجميع المسلمين في عائـــدات الفـــتوح[1] ولأجـــل فرض حالة من السيطرة المركزية للخلافة على تلك الثـــروات قـــام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بإجراء إداري اقتصادي يـــرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفتوحات وهو توزيع العطاء سنوياً سنة (15هـــ/ 636م) [2] ومـــن ثـــم تـــدوين الديـــوان سنة (20 هـــ/ 640م) [3] الذي تضمن أسماء المقاتلة وعـــيالاتهم ومقادير عطاءاتهم وأرزاقهم بما يضمن إعطاء كل ذي حق حقه ويوفر

([1]) ينظـــر خطـــبة الخلـــيفة عمر (رضي الله عنه) عند شروعه في توزيع العطاء: ابو يوسف، الخراج، ص 46؛ ابن سعد، الطبقات، 3/299؛ الطبري، تاريخ، 4/211.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 615.

([3]) ابـــن ســـعد، الطـــبقات، 3/296؛ البلاذري، انساب، الشيخان، ص 192؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/142- 143.

مـــورد دائـــم يحقق غايات الخلافة الكبرى، لاسيما إذا علمنا ان الأمور قد اختلفت كثيـــراً عمـــا كان عليه الحال أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخليفته ابي بكر (رضـــي الله عنه)، إذ كان المسلمون يجاهدون أيامهما من دون عطاء محدد وإنما يقسم ما يعود على المجاهدين من مغانم بينهم بالسوية ويخرج الخمس الذي اشارت اليه الآية القرآنية الكريمة[1].

يـــؤكد ذلك قول ابن الطقطقي: ((ولم يفرض النبي صلوات الله وسلامه عليه ولا ابـــو بكـــر رضي الله عنه للمسلمين عطاءً مقرراً ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخـــذوا نـــصيباً من الغنائم قدرته الشريعة))[2] ومصداق ذلك ما روي عن عائشة (رضي الله عنها) قولها: ((قسم أبي الفيء عام أول، فأعطى الحر عشرة والمملوك عـــشرة والمـــرأة عـــشرة وأمـــتها عـــشرة ثم قسم العام الثاني فاعطاهم عشرين عشرين))[3] وما ذكره مصعب الزبيري في معرض حديثه عن أسباب عزل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد عن قيادة جيش الشام، والتي جاء فـــيها ان عمر (رضي الله عنه) عتب على خالد ((في تقدمه وما كان يصنع بالمال، وكان خالد إذا أصاب المال قسمه في أهل القتال ولم يرفع إلى ابي بكر حساباً))[4].

كمـــا وأن الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) نفسه كان قبل ذلك يقسم ما يرد علـــى بـــيت المال في المدينة بين الناس مباشرة فقد روي أنه ((لما قدم على عمر (رضـــي الله عنه) بأخماس فارس قال والله لا يجنها سقف دون السماء حتى أقسمها

([1]) الحشر، الآيات 6-10.

([2]) الفخري، ص 60.

([3]) البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 60.

([4]) نـــسب قريش، ص 321؛ ذكر اليعقوبي انه لما بعث العلاء بن الحضرمي بغنائم مرتدي أهل الـــزارة وضواحيها والبحرين إلى المدينة قسمه ابو بكر "في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد دينار لكل إنسان" تاريخ اليعقوبي، 2/124.

بـين الناس))[1] بل أنه كان يرى ان جمع هذه الأموال وادخارها سيعود على الأمة بالـبلاء والفتـنة[2]، ولكـن توسع جبهات الفتح وضرورات إيجاد موارد اقتصادية دائمية تمول الأمة في أوقات الشدة وتدفع بعجلة الجهاد إلى أمام ولسعة حجم المغانم التـي حـصل عليها المسلمون التي أسهبت المصادر في وصفها من أموال منقولة كالـذهب والفضة والأثاث الفاخرة والأسلحة والسبايا[3] وغير منقولة مثل الأراضي الـزراعية الخـصبة التـي شكلت مورداً اقتصادياً هاماً للدولة إلى ما بعد العصر الراشـدي متمـثلة بـ ((ارض من قتل في الحرب وارض من هرب وكل أرض كـسرى وكل أرض لأهل بيته وكل مغيض ماء وكل دير بريد وكل صافية أصفاها كـسرى))[4] إلـى جانب المباني والمنشآت الاخرى[5]، ازاء كل ذلك أسس ديوان الجـند وفرضـت الخلافة سيطرة مركزية على ما يرد عن الفتوح من أموال ولان الخلـيفة عمـر ((أراد أن يجعل من العرب أمة عسكرية ويوجهها للجهاد في سبيل سـيادة الإسلام فأراد أن يخصص للمقاتلة رواتب وأعطيات من بيت المال ليكفيهم مؤونة العمل))[6].

([1]) ابو يوسف، الخراج، ص 47؛ كذلك ابن اعثم، الفتوح، 1/ 285.

([2]) ابن بكار، الزبير، الأخبار الطوال، ص 612- 613؛ البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 201، ابـن الطقطقـي، الفخري، ص 60؛ ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ط1، مط السعادة، (مصر 1924م)، ص 101.

([3]) ينظـر: الـبلاذري، فتوح البلدان، ص 398؛ الطبري، تاريخ، 3/ 17- 19، 21- 22؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 204، 211- 212؛ الذهبي، الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1988م)، ص 59، 65- 66.

([4]) الـبلاذري، فـتوح البلدان، ص 182؛ ينظر ايضاً: ابو يوسف، الخراج، ص 57؛ الطبري، تاريخ، 3/ 586.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 586.

([6]) الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، منشورات بيت الحكمة، (بغداد 1988م)، ص 140.

لـــذلك اوقـــف الخلـيفة عمـــر (رضي الله عنه) ((الفيء وخراج الارضين للمجاهـــدين ففرض للمقاتلة والعيال والذرية فصار ذلك سنة لمن بعده لمن افترض فيه ونيته الجهاد فلا بأس فيه))[1].

واذا كانـــت هـــذه الاجراءات تبدو اقتصادية في طبيعتها إلا إن ما يعنينا هو مـــدى ارتـــباط ذلـــك بالفـــتوحات الإســـلامية وتواصلها وعلاقة ذلك بعطاء الجند وتمويلهم، فقد أثارت قضية اقتسام الأراضي الخصبة التي حررت على عهده جدلاً طويلاً بين الفاتحين والخلافة يطول شرحه[2]، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رأى بثاقب نظره ان يجعل من تلك الأموال مورداً ثابتاً ودائماً يكفل للامة تحقيق اهدافها الكبـــرى، لـــذا أصر على أن تكون هذه الاراضي ملكاً عاماً للمسلمين لاجل ابلاغ رســـالة الإســـلام وتحقـــيق المزيد من الفتوح التي ستأتي بالتالي من ورائها أموالاً أخرى واراضي جديدة، وقد افصح الفاروق عن غاياته من ذلك بقوله: "واذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد بعد الثغور وما يكون للارامل والذرية بهذا البلد وغيره من ارض الشام والعراق))[3]، كما واراد ان يجعل من تلك الاراضـــي قواعد متقدمة تؤمن تموين جيد للمجاهدين لكيما ينطلقوا منها نحو فتوح جديدة ومصداق ذلك رد الخليفة عمر على كتاب ورده من عمرو بن العاص عامله علـــى مصر يسأله فيه رأيه في تقسيم أرض مصر بين الفاتحين المسلمين استجابة

([1]) مالـــك، مالك بن أنس بن مالك، المدونة الكبرى، دار صادر بيروت، طبعة جديدة بالاوفسيت عن طبعة مطبعة السعادة، (مصر 1323هـــ)، 43/2.

([2]) ينظـــر: ابـــو يوســـف، الخراج، ص 23- 28، 35- 36، 140- 141؛ محمد، محمد عبد الجواد، ملكية الاراضي، ص 53- 57.

([3]) ينظـــر: ابو يوسف، الخراج، ص 25، يقول ابو يوسف "لان هذا لو لم يكن موقفاً على الناس فـــي الاعطيات وارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير للجهاد ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة المرتزقة"، الخراج، ص 27.

لمطلب الزبير بن العوام، أجابه الخليفة ((اقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة))[1] وفي رواية أخرى "فكتب عمر: أكلةٌ وأكلات خير من أكلة أقرّوها))[2] أي اراد أن تكون تلك الأراضي مورداً دائماً للدولة العربية الإسلامية للاستعانة بها في سد نفقاتها ولاسيما بعد ان تنضب موارد الغنائم.

وعليه فإن وجدت هناك دوافع اقتصادية من وراء الفتوحات الإسلامية فإنها بلا ريب تستهدف توفير المزيد من الأموال التي تؤمن تحقيق فتوح جديدة للمسلمين ناشرين الدين ومنفذين أمر رب العالمين وسنة نبيه الامين (صلى الله عليه وسلم) وليس القصد الاثراء الشخصي وجمع الأموال ولا أدل على ذلك من تخميس الخليفة عمر (رضي الله عنه) سلب البراء بن عازب[3] الذي بلغت قيمته ثلاثين الف درهم إذ قال: ((إنا كنا لا نخمس السلب وإن سلب البراء بلغ مالاً كثيراً ولا أراني إلا خامسه))[4]، بالرغم من أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قضى بالسلب للقاتل[5].

وسخط المسلمين وانكارهم على الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حين نَفّلَ عبد الله بن سعد بن ابي سرح خمس الخمس من غنائم افريقية (سنة 27 هـ / 647م) عند توجيهه إلى هناك واستعادة تلك الأموال، شاهداً آخر على ما ذكرت[6]، ومع ذلك لا ينكر أن هذه الفتوح قد أوجدت حالة من الاثراء الشخصي

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 300؛ أبو عبيد، الأموال، ص 63- 64، ط1، 1986م؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 82.

([2]) الذهبي، الخلفاء الراشدون، ص75.

([3]) البراء بن عازب: ابن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة.. بن مالك بن الاوس الانصاري، غزا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اربع عشرة غزوة اولها احد. ابن الاثير، اسد الغابة، 1/ 205.

([4]) ابو عبيد، الأموال، ص 320.

([5]) مالك، الموطأ، ص 302.

([6]) ينظر: الطبري، تاريخ، 4/253- 254؛ الذهبي، الخلفاء الراشدون، ص 162- 163.

لـــدى عدد من المسلمين[1] ولا يعني ذلك الاثراء هو الغاية الأولى وإنما هو نتيجة مـــتوقعة وتحـــصيل حاصل لمن بقي حياً ولم يكن ذلك نهباً أو أخذ قسراً هو شيء أحله الله تعالى لهم كما سبق ذكره.

نتـــيجة لاجراءات الخلافة الراشدة وانسجاماً مع سياستها القائمة على تسخير كل الطاقات البشرية والموارد المادية بغية انجاز المزيد من الفتوحات برزت قضية الهجـــرة مـــن سائر انحاء بلاد العرب تجاه الامصار الجديدة للاشتراك في الفتوح ونـــيل حظ من المغانم والحصول على العطاء بعد نيل ما وعد الله تعالى المجاهدين فـــي سبيله من الأجر والثواب، ولا يخفى أن الهجرة لم تكن محدثة أملتها ظروف أحاطت بالخلافة كضائقة اقتصادية أو ضغط سكاني أو فاقة، بل إن النبي (صلى الله علـــيه وســـلم) كان قد أوضح من قبل أنه لاحق لمسلم في الفيء إلا أن يهاجر نحو المدينة المنورة[2]، وقد كان مدلول الجهرة حتى فتح مكة المكرمة (8 هــ/ 629م) يعنـــي الانتقال إلى المدينة والانضمام إلى المسلمين ولكن يظهر أن الامر قد تغير بعد عام الفتح إذ صارت الهجرة تعني الجهاد ومصداق ذلك قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم): ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية))[3]، وحين جاء مجاشع بن مـــسعود الـــسلمي وابـــوه[4] وقيل أخيه[5]- بعد الفتح لمبايعة النبي (صلى الله عليه

([1]) مـــن أمـــثلة ذلك ما حصل عليه بعض المقاتلة من سلب إلى جانب حصتهم من الاخماس إذ حـــصل رجل من تميم على سلب رستم بعد قتله فباعه بسبعين الفاً. الطبري، تاريخ، 566/3. وأخذ عمرو بن معد يكرب سبل بوذان فقوم بسبعة الاف دينار. ابن اعثم، الفتوح، 51/2.

([2]) الشيباني، شرح السير، 255/1- 156؛ ابو عبيد، الأموال، ص 29- 30، ابن آدم، الخراج، ص 20.

([3]) ابـــن حجـــر العسقلاني، فتح الباري، 189/6- 190؛ ينظر قصة الحديث: ابن شبه، تارخي المدينة، 2/ 482- 483.

([4]) ابن سعد، الطبقات، 30/7؛ ابو عبيد، الأموال، ص 230.

([5]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 189/6- 190.

وسلم) على الهجرة اجابهما: بان ((المبايعة الان على الإسلام والجهاد في سبيل الله)).

ومع تعاظم الفتوح وكثرة الغنائم ونتيجة لفرض العطاء وتدوين الديوان ربط الخليفة عمر (رضي الله عنه) بين الهجرة واخذ العطاء إذ قال: ((من اسرع إلى الهجرة اسرع اليه العطاء ومن ابطأ فلا يلومن إلا مناخ راحلته))[1] وهو النهج نفسه الذي اتبعه قادته، إذ اجاب القائد ابو عبيدة أحد الاعراب لما سأله ان يرزقه بالقول: ((لا والله لا ارزقكم حتى ارزق أهل الحاضرة فمن اراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة))[2] وأوصى الخليفة عمر سلمة بن قيس الاشجعي[3] حين وجهه إلى الاكراد سنة (23 هـ/ 643م) جملة امور منها دعوتهم إلى الإسلام ((فإن اسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في اموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب))[4].

وبذلك تكون الغاية واضحة هي مواصلة الفتوح ولم تكن الهجرة أو ما يعود على المهاجر المشترك بالجهاد من اجر وغنيمة مقصوراً على من يخرج مهاجراً من بلاد العرب؛ بل أن الامر نفسه ينطبق على أهل البلاد المحررة ولا يعني ذلك أن الخلافة كانت تعاني ضائقة اقتصادية في بلاد العرب وتأمل من خلال الفتوح ايجاد متنفساً لها وهو ما قد يتبادر إلى الذهن، ولكن مع هذا فإن الفتوح وما تدره كانت وسيلة بيد الخلافة وقادتها لتعبئة الامة بأسلوب تشجيعي لاجل المزيد من الفتوح، إذ ذكرت المصادر أنه لما أتى رسول عتبة ابن غزوان- من البصرة- إلى

([1]) ابو عبيد، الأموال، ص 236، (ط1، 1986م)؛ ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، ص101.

([2]) ابو عبيد، الأموال، ص 240.

([3]) سلمة بن قيس الاشجعي: من اشجع بن ريث بن غطفان كوفي روى عنه ابن الاثير، اسد الغابة، 2/ 280.

([4]) ابو يوسف، الخراج، ص 193؛ الطبري، تاريخ، 186/4.

المدينة المنورة بسلب المرزبان الفارسي ((مرزبان دست ميسان))[1][2] سأله الناس عن حال المجاهدين بالبصرة فأجاب:

((تـــركت والله الـــناس يهتالون الذهب الفضة فنشط الناس واقبل عمر يرسل الرجال اليه المائة والخمسين ونحو ذلك مدداً لعتبة إلى البصرة))[3].

واعتمد سعد بن ابي وقاص هذا الاسلوب ومعه زعماء القبائل المجاهدين في القادســية مــع احــتدام الخطر الساساني[4] وانتهجه النعمان بن مقرن يون نهاوند (21هـــ/ 641م) حين خطب المقاتلة قائلاً: ((يا معشر العرب إنكم نظام الإسلام في أهلـــه استعملوا الصبر والزموه فانكم على أحدى الحسنيين إما الغنيمة والفضل وإما الشهادة.. إن هؤلاء العجم قد حبسوا عليكم اموالاً وخزاين ودنيا عريضة إن هربوا سلموا بخزاينهم واموالهم اليكم..)) [5].

واستمرت تلك السياسة التشجيعية إلى ايام الأمويين، إذا اتخذت مقادير الغنائم مـــادة للاعلام والاخبار والمباهات ودفعاً للناس إلى جبهات الجهاد، وشاهد ذلك ما رواه الطبري من ان يزيد بن المهلب كتب سنة (98هـــ/ 716م) إلى الخليفة سيلمان بن عبد الملك رسالة جاء فيها: ((اما بعد فإن الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحاً عظيماً وصـــنع للمـــسلمين احسن الصنع .. أظهر في خلافة امير المؤمنين على جرجان وطبرستان.. وقد صار عندي من خمس ما افاء الله على المسلمين بعد ان صار إلى

([1]) دســت ميــسان: كــورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي إلى الاهواز اقرب. وهي ليست ميسان لكنها متصلة بها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 455/2.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 595.

([3]) الديــنوري، الاخــبار الطــوال، ص 117، ابن سعد، الطبقات، 7/7، كذلك البلاذري، فتوح الــبلدان، ص 478- 49؛ الطبــري، تــاريخ، 3/ 595، ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني، مختصر كتاب البلدان، مط بريل، (ليدن 1302)، ص 188.

([4]) ينظــر: الــواقدي، فتوح الإسلام، ص 23- 24؛ الطبري، تاريخ، 3/ 532- 554، ينظر: تحريض الخنساء لبنيها، ابن اعثم، الفتوح، 1/ 206.

([5]) الاصمعي، نهاية الأرب، ورقة رقم 262.

كـل ذي حـقِ حقـه مـن الفيء والغنيمة ستة الاف الف وانا حالم ذلك إلى امير المؤمنـين إن شاء الله))[1] ولما طالبه الخليفة عمر بن عبد العزيز فيما بعد بالمبلغ قال يزيد ((إنما كتبت إلى سليمان لأُسَمِّع الناس به))[2].

إن سياسة الخلافة التشجيعية للاعراب وأهل البلاد المحررة على الهجرة إلى الامصار الجديدة ومعسكرات الجهاد[3]، أملت عليها ان توقف عائدات ومغانم الفتح علـى اولـئك المجاهـدين ومن لحق بهم يؤكد ذلك قول الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): ((الفيء لأهل هؤلاء الامصار ومن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ألا فبهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح واليهم أُديَ الجـزاء وبهـم سُدت الفروج ودوخ العدو))[4]، وعمدت الخلافة الراشدة إلى تألف الاعراب وأهل البوادي ورفداً لجبهات الجهاد بالمزيد من المقاتلة، وقد أشار الجاحظ إلـى ذلـك الاجراء واهداف الخلافة من ورائه بقوله: ((واقل مما فرض للأعراب وحاشـية العرب وعوامهم فقيل له (عمر بن الخطاب) في ذلك فقال: إن الاعراب ألاّ يقاتـل عـن دينه قاتل عن رهطه وشقه وناحيته وإن لم يكن ذا بصيرة في دينه قاتل محاماة عن حسبه واصحابه وقد امنت تحوله على عدوه فاعل ما عنده إذا مل يُبل ان يكثر السواد ويكثف الجيش))[5].

بهـذا تتـضح حنكة الخليفةعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) السياسية في استثمار الاعداد الكبيرة والطاقات الكامنة لهؤلاء الاعراب، وادراكه لما سيؤدي اليه

---

(1) الطبري، تاريخ، 545/6.

(2) الطبري، تاريخ، 557/6.

(3) الـدوري، عـبد العزيز، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، بحوث المؤتمر الدولـي لتاريخ بلاد الشام من القرن السابع الميلادي إلى القتر السابع عشر، الجامعة الاردنية، ط1، الدار المتحدة، (بيروت 1974م)، ص 28؛ كذلك نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 20 لسنة 1970م، ص 8.

(4) الطبري، تاريخ، 3/ 615.

(5) العثمانية، ص 213.

تـــركهم لاموالهم واسباب معيشتهم وعيالاتهم، كذلك تفاوت حالة الايمان بين هؤلاء واهــل الحاضـــرة الذين منهم القيادات العليا لجند الفتح، اضافة إلى هذا ادراكه لما أملـــته الظـــروف من توسع جبهات الجهاد وتعاظم المخاطر على المسلمين والذين اصبحت اعدادهم بالغة ما بلغت لا تفي باتساع رقعة بلاد الإسلام، لهذا فرض لاهل الـــيمن فـــي الـــسبعمائة إلـــى الألـــف تحفيزاً لهم ((وانما ارغبهم لبعد دارهم من المهاجـــر))[1]، بـــل ان بعـــض القبائل كربيعة التي كانت تقاتل الفرس منذ ما قبل الإسلام قد اعترضت على اعطاء اولئك الروادف[2] مثلها، مما اغضب الخليفة عمر بـــن الخطاب وقال: ((إن ربيعة فاجر غادر واني والله لا اجعل فرائضهم وفرائض قـــوم جاؤا من مسيرة شهر وانما مهر احدهم عند طنبه))[3] وقال ايضاً: ((أفأجعل من تكلف السفر وابتاع الظهر بمنزلة قوم إنما قاتلوا في ديارهم))[4].

ممـــا يعكس تقدير الخلافة العالي لهؤلاء المهاجرة واستشعارهم بمكانتهم في امـــداد الجهاد بالجند وللصعوبات التي سيواجهوها في ترك بلادهم وربما عيالاتهم، لذا ((ففضل (عمر بن الخطاب) على قدر المؤونة واعطى على قدر المشقة))[5].

يتبـــين ممـــا تقدم ان سياسة الخلافة تلك قد آتت أكلها من خلال تدفق أعداد كبيـــرة من ابناء الامة إلى الامصار الجديدة في العصرين الراشدي والأموي، مما

([1]) العثمانية، ص 212.

([2]) الروادف: الردف أو المرتدف وهو الذي يركب خلف الراكب وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفهُ– بالكـــسر– أي تـــبعه يقـــال: كان نزل بهم امر فردف لهم آخر اعظم منه. ينظر: الجوهري، الصحاح، 4/ 1463.

([3]) خليفة بن خياط، تاريخ، 1/ 185. (حققه سهيل زكار 1967م).

([4]) ابو عبيد، الأموال، ص 177.

([5]) الجاحظ، العثمانية، ص 213.

زاد اعـداد المقاتلة وساهم في تحقيق المزيد من الفتوح، يؤكد ذلك الزيادات الهائلة في اعداد المقاتلة وعيالاتهم في الامصار الجديدة[1].

عـلاوة علـى ما تقدم لابد من الاشارة إلى مسالة مهمة وهي بما ان القواعد التـي سنها الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) تملي ((بأن يكون كل مسلم جندياً من جـنود الإسـلام علـى أهبة الاستعداد لتلبية داعي الجهاد في كل لحظة دفاعاً عن ديـنه))[2] لهـذا وجب على الخلافة أن تمنحه عطاء يعيش به وعياله معه، وامام محدوديـة امكانات بلاد العرب ازاء حاجات المقاتلة ومتطلبات الجهاد عصرئذ فقد أملت تلك الظروف على المسلمين ان يعتمدوا على ما تجنيه ايديهم من عوائد الفتح سـواء كان ذلك خراجاً أو جزية وغيرها وفقاً لما احله الله تعالى من غير ان يغلّوا أو يفـسدوا أو يخربوا وانما في حدود شرع الله عز وعلا الذي فرض عليهم، يؤكد ذلـك جـواب الحكم بن عمرو الغفاري على كتاب زياد بن ابيه- والي العراق ايام معاويـة- الذي بعثه اليه طالباً من ان يصطفي للخليفة معاوية كل صفراء وبيضاء مـن غنيمة المسلمين في خراسان إذ قال: ((إني وجدت كتاب الله قبل كتابك فلو ان السماوات والارض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله عز وجل لجعل له منهما مخرجاً والسلام. وقسم الغنائم بين الناس))[3].

([1]) ينظر: الياس، عبد الوهاب خضر،، نظام العطاء الإسلامي- دراسة في نشأته وتطوره (15-218هـ/636-833م)، رسالة ماجستير مطبوعة على الألة الكاتبة، جامعة الموصل، 1985م، ص106- 108؛ عـواد، محمود احمد محمد سليمان، الجيش والقتال في صدر الإسلام، ط1، مكتبة المنار، (الاردن 1987م)، ص 154، 156، 161- 169

([2]) فلوتن، السيادة العربية، ص 16.

([3]) الـبلاذري، انـساب، ج4، ق1، ص 222- 223؛ اليعقوبـي، البلدان، ص 297؛ الطبري، تاريخ، 5/251- 252.

وبالمقابل فإنه كان على اولئك المقاتلة الذين ياخذون العطاء ان يجهزوا انفسهم بالعدة اللازمة ويتوجهوا تجاه جبهات الجهاد إذا ما ضرب عليهم البعث[1]، إذ روي ان سلمان بن ربيعة الباهلي[2] غزا ارمينية سنة (22 هـ / 642م) وعرض الجند ((فكان لا يقبل من الخيل إلا عتيقاً فمر به عمرو بن معد يكرب الزبيدي بفرس غليظ فرده وقال هذا هجين))[3]، وذكر البلاذري[4] ان كثير بن شهاب ((كان على الري ودستبي وقزوين.. وكان إذا غزا أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس ابر وخيوط كتان، وبمخصف ومقراض ومخلاة وتليسه))[5] واستمر هذا الحال حتى العصر الأموي إذ كان الحجاج بن يوسف (75 هـ 95هـ/ 694- 713م) عامل الخلافة على العراق والمشرق ((يفرض في ثلاثمائة ففرض للحرنفش احد بني ثعلبة بن سلامان- وكان يأخذ من فرض له بفرس وجواد وسلاح شاك- فقال الحرنفش[6]:

يكلفني الحجاج درعاً	وطرفاً كميتاً رائعاً بثلاث
وستين سهماً صنعةً	وقوساً طروح النبل غير لباث

([1]) طه، عبد الواحد ذنون، ادارة العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط1، مط جامعة الموصل، (الموصل 1985م)، ص 129؛ العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص 159.

([2]) سلمان بن ربيعة الباهلي: هو ابو عبد الله سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة... بن أعصر، صحابي أول من قضى بالكوفة شهد فتوح الشام. ينظر ابن الأثير، اسد الغابة، ص 363.

([3]) ابن ابي الحديد، عز الدين ابي حامد بن عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة 1967م)، 12/ 119.

([4]) فتوح البلدان، ص 445.

([5]) مخلاة: الوعاء الذي يوضع فيه الرطب من الحشيش أي علف الحصان. ينظر: الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، (الكويت 1983م)، ص 189.

([6]) البلاذري، أنساب، ج11، ص 273.

ففــي اي هــذا اجعلــن   فربــي من هذا الحديث غياثي

وكــان الخلــيفة عمر بن عبد العزيز (199- 101هـ/ 717- 719م) هو الآخر وجه إلى ولاته حين اخرج العطاء امراً جاء فيه: ((لا يقبل من رجل له مائة دينار إلا فرس عربي ودرع وسيف ورمح ونبل))[1]، ومن جهة أخرى فإن المقاتلة مــن أهل العطاء إن لم يستجيبوا لداعي الجهاد وينفذوا ذلك عند ضرب البعث فإن اسمهم يمحى من العطاء[2].

ممــا يعطــي تأكــيداً لما سبق ذكره أن الدوافع الاقتصادية للفتوحات تنصب بالدرجة على تقوية المجاهدين وكفايتهم من حيث التموين والتسليح وكفاية عيالاتهم بغية دفعهم نحو المزيد من الفتح والجهاد، وشاهد ذلك تلك النفقات الهائلة التي كانت تسخرها الخلافة من واردات بيت المال الأخرى إلى جانب عائدات الفتح على الجند لكيما يندفعوا لتحقيق أهداف الدولة العربية الإسلامية الكبرى، فقد روي الواقدي أن الخلــيفة عمر بن الخطاب كان ((يحمل على ثلاثين الف بعير في سبيل الله في كل حــول وعلــى ثلاثمائــة فرس وكانت الخيل ترعى بالنقيع وكان حمى النقيع لخيل المسلمين))[3]، وعن مالك ابن أنس (ت 179هـ) أنه ((كان يحمل في كل عام واحد علــى اربعــين الف بعير ويحمل الرجل إلى الشام على بعير والرجلين إلى العراق على بعير))[4].

وفي هذا الشأن أشار الاستاذ الدكتور صالح العلي إلى أن عائدات الفتوح التي قام بها عتبة بن غزوان ومجاشع بن مسعود السلمي والمغيرة بن شعبة- الذي خلف عتــبة على البصرة- في مناطق ميسان ودست ميسان وابرقباذ قد استخدمت ((لسد

([1]) ابن سعد، الطبقات، 351/5.

([2]) العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص 160.

([3]) البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 247.

([4]) البلاذري، انساب الشيخان، ص 242.

مــصروفات الحملــة التــي اخــذ عدد افرادها يتزايد تدريجيا بمن انضم اليهم من العــرب))[1] المتجه قِبَل فارس، وروي أن ابا موسى الأشعري كان قد صالح أهل اصفهان على مئة الف درهم عاجلة والجزية على من أقام على مجوسيته وجهز[2] جيشه بالارزاق والعطاء وتوجه بهم لفتح مناطق اصطخر وكرمان من بلاد فارس ففــتحها وفرض الجزية عليها وصالحهم على أموال هائلة بعث خمسها إلى الخلافة ووزع الباقــي بين المقاتلين فأصاب الفارس زيادة على ثمانية الآف درهم والراجل زيارة على أربعة الآف درهم[3].

ولهــذا الغــرض ذكــر الزهري (ت 124هــ) أن الخليفة عثمان بن عفان (رضــي الله عــنه) ((حمــى النقيع لخيل المسلمين وكان يحمل في كل سنة على خمــسمائة فــرس والــف بعيــر وكانــت الأبــل ترعــى بناحية الربذة في حمى لهــا))[4]وكانت تلك الخيول موسومة في افخاذها ((حبس في سبيل الله))[5] منذ ايام الخلــيفة عمــر بن الخطاب، وفي خلافة معاوية (41- 60هــ/ 661- 679م)[6] جهــز ســيعد بن عثمان باربعة ملايين درهم مع السلاح والمقاتلة من البصرة في ولاية زياد بن ابيه وزود بمبلغ ما بين عشرين إلى اربعين الف دينار من وكيل عبد الرحمن بن ابي بكرة[7] بناءً على كتاب ورد اليه بمعية سعيد يأمره بدفع هذه المبالغ مــساهمة فــي تجهيز جيش المسلمين وهذه البادرة تشير إلى الجهود المشتركة بين

([1]) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص 39.

([2]) ابن اعثم، الفتوح، 2/ 69- 70.

([3]) ابن اعثم، المصدر نفسه، 2/70- 71.

([4]) البلاذري، انساب، 5/ 38.

([5]) البلاذري، أنساب، الشيخان، ص 247؛ الطبري، تاريخ، 4/ 211.

([6]) ابن اعثم، الفتوح، 4/ 186- 187.

([7]) عبد الرحمن بن ابي بكرة: من أعيان التابعين استخلفه زياد بن ابيه امير البصرة على بعض اعمالها وتوفي فيها 96/ 715م؛ الزركلي، الاعلام، 3/ 302.

الخلافـــة وابــناء الامة في تجهيز جند الإسلام لمواصلة الجهاد والفتح، وازاء ذلك حقق سعيد وجنده العديد من التفوح على جبهة سمرقند[1].

وعقــد الخلــيفة معاوية مرة اخرى لعبيد الله بن زياد وزوده بالمال والسلاح ووجهـــه إلـــى مناطق خراسان وبخارى وسمرقند فحقق نصراً كبيراً للإسلام وغنم غنائم كثيرة[2]، وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65- 86هـــ/684-705م) يروى أن الحجاج بعث الجيوش مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحـــرب رتبيل ملك الترك سنة 82هـــ/ 701م ((وأخذ في جهاز عشرين الف رجل مـــن أهل الكوفة وعشرين الف رجل من أهل البصرة وجدّ في ذلك وشمّر واعطى الـــناس اعطياتهم كملاً واخذهم بالخيول الروائع والسلاح))[3] ولعظمة النفقة وحسن جهـــاز ذلك البعث ((كان يدعى جيش الطواويس))[4] إذ انفقت الخلافة عليهم الفي الف سوى الاعطيات[5].

وأنفقــت الخلافـــة الاموية على المقاتلة المتجهين صوب السند مع محمد بن القاسم الثقفي ستين الف الف[6] وقيل سبعة ملايين درهم[7] ((وجهزه (الحجاج) بكل مـــا يحتاج اليه حتى الخيوط والمسال))[8] والخل[9] والأبر[10]، ولما توجه مسلمة بـــن عبد الملك نحو القسطنطينية سنة 98هـــ / 716م بأمر الخليفة سليمان بن عبد

([1]) ابن اعثم، الفتوح، 4/ 192- 196.

([2]) ابن اعثم، الفتوح، 4/ 204- 205.

([3]) الطبري، تاريخ، 6/ 326- 329؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 454.

([4]) الطبري، تاريخ، 6/ 329؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 454/4.

([5]) الطبري، تاريخ، 6/ 329؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 454/4.

([6]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 618؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 539.

([7]) ينظر: العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص 170.

([8]) البلاذري، فتوح البلدان ص 618؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 537.

([9]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 612- 613.

([10]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 537.

الملـــك ((امــر كل فارس ان يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى ياتي به القــسطنطينية فأمر بالطعام فالقي ناحيةً مثل الجبال))[1] وهذا يشير اشارة واضحة إلـــى عظمـــة الانفـــاق والتجهيز الذي كانت تتبناه الخلافة اعتماداً على ما سبق ان وردها من عوائد الفتوح علاوة على مواردها الاقتصادية الأخرة، ويشير إلى كثرة عدد الجند ما قد يتعرضون له خلال مسيرهم في تلك البيئات المختلفة التي لم يألفها العرب المسلمون قبل ذلك، وأسهم المقاتلة من جانبهم في تجهيز أنفسهم إذ روي ان القائـــد ســـعيد بن عمرو الحرشي الذي أرسله الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـــ/ 723- 742م) إلى أرمينية ونواحيها بعد استشهاد سلفه هناك الجراح بن عبد الله الحكمي وقف خطيباً بعد ان قسمَ ما أمده به الخليفة من أموال على من بقي من جند الجراح قائلاً: ((فليعد موسركم على معسركم فليس هذا يوم إدخال الاموال ألا ومـــن عنده فضل دابة فليحمل عليها رجلاً من المسلمين.. فناداه الناس من كل ناحية سمعنا واطعنا أيها الأمير فسر بنا إلى عدونا يرحمك الله))[2].

يتضح مما تقدم أن الدولة العربية الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي لـــم تكن تبالي بكمية الانفاق على جند الفتح من أجل الوصول إلى الغايات المرجوة وإن الغـــنائم التـــي تعود عليها من جراء ذلك تنفق في بناء مرافق الدولة وتعزيز قدرات الجيش من اجل توطيد الأمن والاستقرار وتأمين حدود دولة الإسلام.

لأجـــل ذلك فلا غرابة فيما روي عن عبد الله بن جعفر الذي كان يقف على المـــسلمين- اثـــناء فـــتح افـــريقية في خلافة عثمان (رضي الله عنه)- نادباً إياهم ((وقدمـــوا المـــوت وأخروا الحيا واعلموا أن المسلمين ناظرون اليكم وغلى غنيمة تصل من عندكم))[3] وعن الحجاج قوله- لما وردته أخماس الغنيمة من عند محمد

([1]) الطبـــري، تاريخ، 6/ 530؛ ينظر: مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، مكتبة المثنى، (بغداد بلا ت)، 3/ 23.

([2]) ابن اعثم، الفتوح، 8/ 48- 49.

([3]) الواقدي، فتوح افريقية وتونس، 14/1، 32.

بــن القاســم من جهة السند والبالغة ضعف نفقات الحملة- ((شفينا غيظنا وادركنا ثأرنا وأزددنا ستين الف الف ورأس داهر))[1] وكذلك انتداب قتيبة بن مسلم الباهلي المجاهدين معه عند تهيئة لفتح (آخرون) و (شومان) من أعمال خراسان قائلاً: ((إن الله أحلكــم هــذا المحــل ليعــز ديــنه ويذب بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة))[2] جاعلاً من الغنيمة امراً ثانوياً بعد الجهاد في سبيل الله تعالى واعزاز الدين والذود عن الحرمات وليس غاية أولى وهدف أسمى.

مــن أجــل استكمال دراسة كل الجوانب المتعلقة بحركة الفتوحات واتساعها وعلاقــتها بالمــوارد الاقتصادية لابد من الحديث عن ابرز أوجه الانفاق الأخرى لــواردات الفــتح من قبل الخلافة بعد الحديث عن تجهيز المجاهدين، ففي العصر الراشــدي عــولت الدولة كثيراً على ما يعود عليها من غنائم الفتح المنقولة وغير المــنقولة لاسيما أن الامة جميعاً كانت تحت السلاح[3] لأجل خدمة الدين ومن دخل

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 618؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 539.

([2]) الطبري، تاريخ، 424/6.

([3]) يؤكد ذلك ما اوردته المصادر، إذ ذكر ابن عبد الحكم أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) ((أمر منادية أن يخرج إلى امراء الاجناد يتقدمون إلى الرعية ان عطائهم قائم وان رزق عيالهم سائل فــلا يزرعون ولا يزارعون)) فتوح مصر واخبارها، ص 162، وفي رواية أخرى كتب إلى المقاتلــة فــي الامــصار ((لا تستنبطوا في المدائن ولا تعلموا ابكار اولادكم كتاب النصارى وتمعززوا وكونوا مستعدين للغزو مستوفزين للجهاد)) الصيغاني، الحسن بن محمد بن الحسن، العــباب الزاخــر واللــباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، (بغداد 1979م)، ص 208.

ونهــج أبــو موســى الأشعري النهج عينه إذ كان يحذر المقاتلة من امتلاك الدور والمزارع. ينظــر: حــسين، فالح، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، الجامعة الاردنية، مطابع دار الشعب، 1978م، ص56.

وإن عدم التفات الخليفة عمر بن الخطاب إلى بعض رجالات مكة الذين اعترضوا على سياسة فــرض العطــاء معللين ذلك له بقولهم ((اديوان كديوان بني الاصفر إنك إن فعلت ذلك اتكل الــناس على الديوان وتركوا التجارات والمعاش)) ينصب ذلك في اطار الاعتماد على واردات

فـــيه او من دخل في ذمته، فقد ذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ((فــرض لأشراف الأعاجم.. دهقان نهر الملك ... ودهقان الفلوجة.. ودهقان بابل فـــي الفين الفين وفرض للهرمزان ولسياه وخش وافقلاس في الفين وخمسمائة وهو أقصى شيء أخذه عربي فقيل له في ذلك فقال: قوم أعاجم أشراف أحببت أن أتألف بهــم غيرهم))[1] ويظهر هذا النص بجلاء حرص الخليفة الفاروق على تألف أهل الذمة والأعاجم ومن لحق بهم وضمهم إلى المجتمع الإسلامي ولو كلف ذلك الخلافة مــبالغ كبــرى، وقد سار على خطاه الخليفة عمر بن عبد العزيز فيما بعد إذ ((زاد الـــناس في أعطياتهم عشرة عشرة العرب والموالي سواء))[2]، ورفع الجزية عمن اسلم وقد كان من قبله من خلفاء بني أمية فرضها على من أسلم منهم[3]، رغبة في تألفهم وتشجيعاً لهم على الإسلام وهذا ما نلاحظه في إجابته على كتاب عامله على البصرة عدي بن ارطأة[4] الذي شكى اليه انكسار الخراج و قلة واردات بيت المال بـــسبب كثرة من اسلم جاء فيه ((والله لوددت أن الناس كلهم اسلموا حتى نكون أنا

الفـــتوح بغية توجيه الأمة نحو الجهاد دون سواه يؤكد ذلك قول الخليفة عمر: ((قد كثر الفيء والمسلمون)) ينظر: الجاحظ، العثمانية، ص 211- 213؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص641-642.

(1) الجاحظ، العثمانية، ص 212- 213؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 642.

(2) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخه وصححه: محب الدين الخطيب، مط المؤيد، (مصر 1331هـــ)، ص 87.

(3) ينظــر: الدوري، عبد العزيز، نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمـــي العراقـــي، مجلـــد 11 لسنة 1964م، ص 80- 87؛ الفراجي، عدنان على كرموش، الخلافة الأموية (96- 105هـــ/ 714- 723م)، دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1987م، ص 289- 295.

(4) عـــدي بن ارطأة الفزاري من أهل دمشق كان من العقلاء الشجعان ولاه عمر بن عبد العزيز علـــى البـــصرة 99 هـــــ قتل في فتنة يزيد بن المهلب 102هـــ/ 720م. الزركلي، الأعلام، 4/ 219.

وأنت حراثين نأكل من كسب ايدينا))[1] معبراً عن حرصه الشديد على توضيف هذه الامال لكسبهم إلى الإسلام.

مـن جهـةٍ أخـرى يذكـر أن عائدات الفتوح من جزية وخراج- بالدرجة الأساس- كانت تنفق في اصلاح البلاد المفتوحة بعد إخراج نفقات الجهاد واعطيات وارزاق أهـل ذلـك المـصر، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص عامل الخلافة الراشدة على مصر كان ((يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه ... لحفر خلجها وإقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها))[2] كمـا أمـر الخلـيفة عمر (رضي الله عنه) ابو موسى الأشعري ((أن يحفر لأهل البـصرة نهـراً ابتدأ الحفر به من الاجانة وقادهُ ثلاثة فراسخ حتى بلغ به البصرة فصار طول نهر الابلة اربعة فراسخ" بعد أن شكوا للخليفة عمر سوء احوالهم[3].

بل أن زياد بن ابيه والي العراقيين أيام معاوية هو الآخر كان يدخر "في بيت المـال للـبوائق والـنوائب الفـي الف درهم))[4] وهذا بلا شك من أموال الجزية والخراج التي هي من عائدات الفتح وبقية موارد بيت المال الأخرى، إلى جانب هذا كان عمال الخلافة الراشدة على بساطة مؤسساتها من ولاة وقضاة وكتاب يعتمدون فـي ارزاقهم وعطاءاتهم على ما يرد من عائدات الفتح- التي تشكل الجزء الاكبر من واردات بيت المال- وموار الدولة الأخرى[5].

كـل تلك الأوجه من الانفاق بعد النفقة على المجاهدين- التي تستهلك الجزء الاكبر- والذين لم يكونوا بمعزل عن سائر المسلمين في صدر الإسلام ((لان الأمة

---

(1) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 98- 99.

(2) فتوح مصر وأخبارها، ص 151.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 496- 497؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص189-190.

(4) البلاذري، أنساب، ج4، ق1، ص 218- 219.

(5) ابو يوسف، الخراج، ص 186- 187.

كلهـا مقاتلة.. ولأن المسلمين كلهم كانوا جنداً للدولة يلبون نداءها للنفير))[1] يعزز ذلـك مـا رواه المدائني من ((أن زياد كان يجبي من كور البصرة ستين الف الف فيعطـي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين الف الف ويعطي الذرية ستة عشر الف الف ويـنفق فـي نفقات السلطان الفي الف ويجعل في بيت المال للبوائق والنوائب الفي الـف درهـم ويحمل إلى معاوية اربعة الآف درهم))[2]. كما وأن السمح بن مالك الخولانـي عامـل الخلافة الأموية على الاندلس كتب سنة (100هـ/ 718م) إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ((يستشيره ويعلمه أن مدينة قرطبة[3] تهدمت من ناحية غـربها وكـان لها جسر يعبر عليه نهرها ووصفه بخموله وامتناعه من الخوض الشتاء عامة فإن أمرني أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت فإن قبلي قوة على ذلـك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد))[4] مما يعطي دلالة بالغة على مـدى إهـتمام الخلافـة بإصلاح احوال الأمصار المحررة باستخدام عائدات الفتح وكذلك تقديم نفقات الجهاد وعطايا المجاهدين على سواهما من الإصلاحات الأخرى لأجل المزيد من الجهاد والفتح.

إلى جانب ذلك كان لحماية الثغور وانشاء المدن العسكرية الإسهام في إنفاق مـبالغ طائلـة من واردات الفتوح، فقد أمر الخليفة معاوية سنة (49هـ/ 669م) بإنـشاء دار لـصناعة السفن بعكا لهذا الغرض[5] وأشار البلاذري إلى أن الخليفة

([1]) فـوزي، فـاروق عمر، واردات الدولة ونفقاتها، حضارة العراق، 5/ 394- 395، وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد 1985م).

([2]) البلاذري، أنساب، ج4، ق1، ص 218- 219.

([3]) قـرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها . ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 324.

([4]) مجهـول، اخـبار مجمـوعة فـي فتح الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني (بيروت 1979م)، ص 30- 31.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 160- 161.

معاويـــة رتـــب بملطـــية[1] الـــرابطة من المسلمين وشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة[2] وأمر بتحديد مدينة مرعش[3] الثغرية واسكنها الجند بعد أن عاود الروم السيطرة عليها مجدداً وأعيد فتحها من قبل المسلمين[4] .

كـــل تلـــك الإجـــراءات تاتي مصداقاً لما سبق ان احتج به الخليفة عمر بن الخطـــاب (رضي الله عنه) عندما رفض قسمة الارض بين جند الفتح الإسلامي[5]، ويذكر أن الحجاج انفق مبالغاً كبيرةً عندما بنى مدينته العسكرية واسط سنة 82هـــ/ 701م على الأرجح[6].

وإلـــى جانـــب هذه النفقات فإن مشاريع الإصلاح الداخلي لاسيما في مجال الزراعة وحفر الانهار في ولاية الحجاج على العراق (75-95هـــ/694-714م)[7] وخلافـــة هـــشام ابن عبد الملك (105- 125هـــ/ 724- 744م) [8] فيما بعد التي تـــزامنت مع توسع الفتوحات، قد أخذت حيزاً كبيراً من نفقات واردات الفتوح التي اصـــابها شـــيء من الفتور في الفترة الأخيرة لخلافة هشام، إلى الدرجة التي ربما

([1]) ملطـــية: بلـــدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام للمسلمين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 192.

([2]) فتوح البلدان، ص 161.

([3]) مرعش: مدينة بالثور بين الشام وبلاد الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 106-107.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 265.

([5]) ينظر: ابو يوسف، الخراج، ص 25.

([6]) بحـــشل، تـــاريخ واسط، ص 43؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 349؛ العمد، الحجاج، ص 448- 449.

([7]) ينظر: المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الأموي 81- 132هـــ/ 700- 749م، دار الحـــرية للنـــشر والطـــباعة، (بغـــداد 1976م)، ص 35- 36، 41؛ العمد، المرجع السابق، ص 470.

([8]) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 247؛ الأزدي، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس، تاريخ الموصل، تحقيق: د. علي حبيبه، لجنة احياء التراث الإسلامي، (القاهرة 1967م)، ص 43.

اضرت بنفقات الجهاد وارزاق الجند واثارت استياءهمن يوضح ذلك خطبة يزيد بن الوليد لما ثار على الخليفة الوليد بن يزيد وقتله سنة (127هـ/ 744م) إذ قال: ((أيها الناس إن لكم عليّ ألا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكثر مالاً ولا أعطيه زوجة ولا ولد ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة اهله بما يعنيهم فإن فضل فضلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج اليه))[1] وقول داود بن علي العباسي في مسجد الكوفة عند إعلان دولة بني العباس (132هـ/ 749م): ((إنا والله ما خرجنا فيكم لنحفر نهراً ولا نبني قصراً))[2]، وهذا يعني أن خلفاء بني أمية قد ابتعدوا كثيراً عمّا كان عليه الحال من التقشف في الانفاق في العصر الراشدي.

إن تلك الروايات تشير إلى أوجه الإنفاق الرئيسية التي شاعت في العصر الأموي إلى جانب ما مضى ذكره، كما واهتمت الخلافة الأموية كثيراً بانشاء المساجد في الامصار وتوسيع المسجد النبوي فقد روي أن زياد بن ابيه بنى عدة مساجد محلية في العراق منها ((مسجد بن عدي ومسجد بني مجاشع ومسجد الأساورة))[3] وأعيد تجديد الأخير على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بالرغم من أنه كره البناء ومال إلى الاقتصاد في كل شيء يظهر ذلك رده على كتاب أرسله له عدي بن ارطأة بهذا الخصوص قائلاً: ((وقد كنت أحب ان اخرج من الدنيا لم أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة))[4].

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 284؛ الطبري، تاريخ، 7/ 269؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص 57- 58.

([2]) البلاذري، أنساب، ق3، العباس بن عبد المطلب وولده، تحقيق: د. عبد العزيز الدوري، مط الكاثوليكية، (بيروت 1987م)، ص 140.

([3]) البلاذري، أنساب، ج4، ق1، ص 232.

([4]) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص 284؛ ينظر بالمعنى نفسه: ابن سعد، الطبقات، 348/5.

وشهدت خلافة الوليد بن عبد الملك (86- 96هـ/ 704- 714م) مع التوسع الهائل في الفتوح شرقاً وغرباً توسعاً في مجال الانفاق الداخلي لاسيما تشييد المساجد العامة وتوسيع مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبناء المسجد الجامع في دمشق، فقد ذكر صاحب العيون والحدائق أنه كتب ((إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وادخال حجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه وكتب إلى جميع البلاد بهدم المساجد والزيادة فيها))[1] وارسل إلى ملك الروم يعلمه انه قد أمر بهدم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأن يبني مسجد دمشق وأن يعينه فيه فبعث اليه بمائة الف دينار ومائة الف صانع واربعين حملاً من الفسيفساء فحمل اكثر ذلك إلى مكة والمدينة[2]، واشار أهل دمشق إلى حجم الانفاق على مسجدهم رداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز لما عزم على انتزاع مظاهر الزينة منه فيما بقولهم: ((إنا معشر اهل دمشق أعنا الوليد بربع أعطياتنا تسع سنين ونحن خمسة واربعين الفاً واستعصى اخواننا من أهل الشام وحملنا ما فيه من رخام ونحاس على دوابنا من أرض الروم وقد أنفق فيه الوليد نفقات لا يدري ما هي))[3]، وقام بتجديد مسجد قباء ومسجد مصر[4].

علاوة على هذا فإن سياسة الخلافة في تثبيت الإسلام ونشر الحضارة الإسلامية وايجاد حالة من التعايش السلمي بين المحررين وأهل البلاد الاصليين بغية تألفهم وكسبهم إلى الإسلام كانت هذه السياسة تتطلب شيء من الانفاق لتحقيقها اعتماداً على ما ورد من مغانم يؤكد ذلك، بناء المسلمين للمساجد في إقليم السند

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، 4/3؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 68- 69؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص 80- 81.

(2) مجهول، العيون والحدائق، 5/3؛ ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 69.

(3) مجهول، العيون والحدائق، 3/ 5- 6.

(4) مجهول، العيون والحدائق، 3/ 12.

كلمـــا فتحوا منطقة[1] وكذلك اصرار قتيبة بن مسلم الباهلي على ألا يغادر بخارى ونواحـــيها حتـــى تعمر المساجد وتقام الصلاة ايذاناً بوصول الإسلام وإتمام إبلاغ الدعوة وكسباً لأهل تلك النواحي مع مرور الزمن[2].

وبالتالي فإن تلك النفقات المبذولة في مصلحة الإسلام والمسلمين والتي تعتمد بالجـــزء الاكبـــر مـــنها علـــى غنائم وواردات الفتوح بانواعها تأتي تفنيداً للصور المغرضة التي تصورها الكتابات الاستشراقية ومن سايرها لفتوحات المسلمين على أنها غارات قائمة على السلب والنهب وبقصد المغانم اولاً دون سواها[3].

ومـــن كل ما تقدم ذكره يمكن القول بأن الحياة الاقتصادية في جزيرة تمتاز بتَـــنوع واضـــح فـــي مخـــتلف اشـــكال النشاط الاقتصادي- على الرغم من غلبة الصحارى على أقسام واسعة منها- وأن القبائل العربية التي اسهمت برفد الفتوحات بالمقاتلة لم تكن فقيرة بالصورة التي صورتها الكتابات المعادية للإسلام والمسلمين، وأن الغـــنائم المتأتية من الفتوحات في العصرين الراشدي والأموي لم تكن يوماً ما هدفاً أساس ودافعاً أول حدا بالمسلمين للإنطلاق نحو الأقاليم المجاورة لأرضهم، بل أنها كانت وسيلة مشجعة ومساعده على بعث الجيوش لنشر رسالة الإسلام وتحرير الأرض وتحقيق مبدأ العدل والمساواة بين الناس وفقاً لما جاءت به مبادئ الإسلام، ولم تنفق هذه الأموال إلا كما امر الله تعالى به ورسوله (صلى الله عليه وسلم) على هيئة عطاءات وارزاق للجند وعيالاتهم وتجهيزات عسكرية لهم تتطلبها ضرورات الجهـــاد، علاوة على هذا انفاقها في مجالات بناء المؤسسات العامة للدولة العربية الإســـلامية الدينية والمدنية، وأن الآراء والأفكار المغرضة التي تبناها المستشرقون ومـــن ســـايرهم لم تكن إلا تعبيراً صريحاً عما يكنه هؤلاء من أحقاد على الإسلام

([1]) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 614، 617.

([2]) ينظـــر: الطبـــري، تـــاريخ، 6/ 475؛ ابن نباته، سرح العيون، ص 190؛ النرشخي، تاريخ بخارى، ص 31، 72، 73.

(5) Rodinson, Op. Cit, p. 273- 274, 294; Gabrieli, Op. Cit, p. 107- 110.

والمـــسلمين ولتشويه صورة العرب الذين حملوا اعظم معاني العدل والإنصاف إلى بقية الشعوب بأعمال عسكرية عظيمة تتوجت بالقضاء على أعتى امبراطوريتين في العـــالم آنـــئذ الـــساسانية والبيزنطية، مما يصعب على هؤلاء المستشرقين أن يتحد العــرب تحت راية الإسلام وبفضله ليخرجوا بعد ذلك محررين الأمم الأخرى مما لحقها من جور وظلم تحت نير هؤلاء وسواهم.

الفصل الثالث

الدوافع القومية

الفصل الثالث

الدوافع القومية

الوجود العربي في العراق وبلاد الشام ومصر

لم تكن أقاليم العراق وبلاد الشام ومصر بمعزل عن شبه الجزيرة العربية[1]، بل ارتبطت بها ومنذ فترات موغلة في القدم بصلات اقتصادية وروابط اجتماعية، ذلــك ان عــرب شــبه الجزيرة كانوا يعتبرون تلك الاقاليم امتداداً طبيعياً لارضهم لاسـيما إذا مــا علمــنا أن تلك الأقاليم لا يفصلها عن شبه الجزيرة فاصل أو مانع طبيعي يحول دون الاتصال فيما بينها[2].

لأجــل ذلــك كلــه فقد ذكرت المصادر ان الهجرات الأولى للأقوام العربية الجزرية كانت قد انطلقت بصورة دورية نحو العراق منذ حوالي سنة (5000 ق.م) وتــوالت تلــك الهجــرات بصورة أكثر بعد سنة (3800 ق.م) [3]، إذ كان بعضها موســمية كهجــرات الــرعاة الذين ينتقلون بحثاً عن الكلأ والماء فيدخلوا العراق وسوريا وبقية الهلال الخصيب ثم يعودون بعد انتهاء الربيع أو يستقر البعض منهم هــناك[4] وفــي بعــض الاحيان تجري هجرات واسعة نحو تلك الأراضي كهجرة الأكديــين الذين استوطنوا العراق حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد[5] وقيل

([1]) علي، جواد، المفصل، 1/ 143، (ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1976م).

([2]) ينظــر: البكــري، ابــو عبــيد عــبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، حققه وضبطه: مصطفى السقا، ط1، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1945م)، 6/1 ومــا بعــدها؛ سوسة، احمد، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، وزارة الإعلام، (بغداد 1979م)، ص127.

([3]) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 16؛ سوسة، حضارة العرب، ص 125، 127.

([4]) الأصطخري، الأقاليم، ص 16.

([5]) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، طبعة منقحة مط الحوادث، (بغداد 1973م)، 61/1، 352.

الالف الرابع قبل الميلاد او العموريين إلى العراق ايضا والكنعانيين والفينيقيين إلى سوريا بحدود (2200 ق.م) [1] أو القبائل الجزرية الجنوبية إلى مصر (أو ما يعرف بالهكسوس) الذين ظهروا في حدود الألف الرابع قبل الميلاد وقيل في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد وبدأوا حكمهم في ارض الدلتا سنة 1730 وانتهى سنة 1580 ق.م إذ كانت هجرتهم امتداد لهجرات الارومات العربية السابقة إلى مصر عن طريق سيناء[2]، وهجرة الآراميين الذين انتشروا في سوريا وفلسطين وشمالي العراق والعبرانيين في فلسطين حوالية سنة (1500 ق.م) والتدمريين والانباط بحدود سنة 500 ق.م[3]. بل إن هناك من يرى أن تخلل القبائل العربية إلى وادي الرافدين بدأ في حدود القرن الثامن قبل الميلاد وكانت تلك الموجات في أوج قوتها أيام الدولة البارثية (250 ق.م- 224 ق.م) [4].

([1]) باقر، مقدمة، 1/ 390؛ العلي، صالح، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل 1981م)، 1/ 11- 12؛ الملاح، هاشم، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل 1994م)، ص 39- 40؛ غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مط دنكور الحديثة، (بغداد 1936م)، ص 6.

([2]) دروزه، محمد عزة، عروبة مصر في القديم والحديث أو قبل الإسلام وبعده، ط2، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا، (بيروت 1963م)، ص 39، تراجع ص ص 19- 39.

([3]) باقر، المقدمة، 2/ 168- 169، 281، (ط2 بغداد 1956م).

(3) Posner, Nadine F., The Muslim Conquset of Northren Mesopotamia An introductory Essay into Historical Background and Historiograph, University Microfilms international, (Michigan 19890, p. 95.

يذكر Posner أن اقدم استعمال لمصطلح (عرب) في المصادر المسمارية يرجع إلى عهد (جندب) العربي، من أقليم (عريبي) في شمال جزيرة العرب بين سوريا وبلاد الرافدين والذي قاد بدوره الفاً من راكبي الجمال في معركة القرقار ضمن الحلف الآرامي ضد الآشوريين بزعامة شلمنصر الثالث سنة 853 ق.م. على نهر العاصي (الاورنت) وتسمية (عرب) تبدو أنها تحمل معنى اجتماعي أكثر مما هو عرقي في النصوص المسمارية الآشورية والبابلية ما بين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد، وباختصار فهي الاسم الأكثر شيوعاً للبدو الذين يشغلون الأراضي السهلية على اطراف الهلال الخصيب خلال الألف الأول قبل الميلاد واستمر

بـــلا ريب فإن إنتشار العرب خارج جزيرتهم وما حدث من هجرات عربية فــردية غير ملحوظة أو جماعية منظمة كما أشرنا مقدماً صوب تلك الأقاليم يرجع إلـــى حالات ضيق العيش والأحداث التي كانوا يحدثونها فيما بينهم[1]، ففي العراق كـــان لوجـــود المراعــــي الجيدة والعيون والآبار في منطقة البادية ما بين البصرة والأنـــبار[2] ومجاورتها لأرض السواد الأثر الأكبر في جعل تلك النواحي مسرحا لتحـــركات القـــبائل العـــربية النازحة، لاسيما في سنوات القحط وكانت تلك القبائل تتـــنازع فـــيما بينها أحياناً لأجل السيطرة عليها[3] فضلاً عن ذلك فإن تلك النواحي تمثل المدخل نحو سهل السواد وأن اعداد السكان المتزايدة في شبه الجزيرة العربية وقصور مواردها- حينذاك- عن تلبية احتياجات هذه الجموع البشرية إذا ما قيست بخيرات السواد[4] إضافة إلى حالات الاضراب والانحلال السياسي للسلطة الحاكمة

هـــذا المصطلح في الاستعمال عند الأغريق وعرب الجنوب في المصادر الأدبية. Ibid.p 94، رو، جـــورج، العـــراق القـــديم، ترجمة: حسين علوان، مراجعة: د. فاضل عبد الواحد، ط2، (بغداد 1986م)، ص 398.

أشـــار الدكـــتور الملاح إلى كلمة عرب ((قد غدت صفة قومية عامة تطلق على العرب كافة ســـواء أكانوا من البدو أو من الحضر قبيل الإسلام بقليل بدليل استخدام القرآن الكريم لها بهذا المعنــــى نحـــو قوله تعالى ((وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا)) الأحقاف آية 12، الوسيط، في تاريخ العرب، ص 18.

([1]) الطبـــري، تـــاريخ، 2/ 42- 43؛ الاصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، (بيروت بلا ت)، ص 86.

([2]) ينظـــر: الطبـــري، تـــاريخ، 3/ 478، 482؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 187؛ البكري، معجم ما استعجم، 2/ 479.

([3]) ابـــو عبـــيدة، معمر بن المثنى التيمي البصري، نقائض جرير والفرزدق، باعتناء بيفان، مط بريل، (ليدن 1907م)، 2/ 120 وما بعدها، دائرة المعارف الإسلامية، مطابع الشعب، (مصر بلا ت)، 3/ 45 وما بعدها.

([4]) غنيمة، الحيرة، ص 7- 8؛
Sagges. H.W.F, Everyday Life in Babylonia and As Assyira, Bastford, London, P. 30.

المحتلة للعراق انئذ، كل تلك الامور كانت تشجع العرب وتدفعهم للتوجه نحو العراق يؤكد ذلك ورود اشارات تفيد بحصول هجرات عربية نحو العراق في أيام الدول البارثية (250 ق.م- 226ق.م) وتكوين أمارات عربية مستقلة مثل إمارة الحضر مستغلة هذه الحالة من الانحلال السياسي الذي نجم عن الحروب الطاحنة التي قامت بين الدولة البارثية من جهة والدولة السلوقية ومن ثم الدولة الرومانية في سوريا من جهة أخرى[1]، ويؤكد ذلك الطبري بقوله: ((وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام آردشير بن بابك بالملك فيما ذكر هشام بن محمد دنو من دنا من قبائل العرب من ريف العراق ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك))[2] وقد اشار حمزة الاصفهاني إلى أن هجرة العرب وملكهم يرتبط ويعتمد على قوة الفرس أو ضعفهم[3] ويرى ان الازد وقضاعة خرجت للعراق أيام ملوك الطوائف ((فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من الملوك وهي شاغرة))[4] وقد علل البكري سبب خروجهم حقداً بأنهم كانوا ((يطلبون الريف والمتسع والمعاش))[5] وعلى هذا الأساس باتت املاك الدولة الساسانية في ايامها الأخيرة موزعة بين قوى محلية مختلفة على حد قول المسعودي[6].

وفي مطلع القرن الرابع الميلادي تكررت الهجرة العربية إلى العراق ثانيةً وللأسباب آنفة الذكر، فعلى اثر وفاة هرمز الثاني (302- 309) حدث تخلخل في اوضاع الدولة الساسانية لاسيما وان سابور (309- 379م) خليفة هرمز كان طفلاً

([1]) باقر، مقدمة، 1/ 466- 470.

([2]) الطبري، تاريخ، 1/ 602؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 277، ينظر كذلك: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 341/1، ابن خلدون، تاريخ، ج1، ق1، ص 260؛ غنيمة، الحيرة، ص116.

([3]) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، 91- 93.

([4]) معجم، استعجم، 52/1.

([5]) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، 91- 93.

([6]) مروج الذهب، 234/1.

انذاك فعلمت القبائل العربية المتاخمة للسواد على الاستفادة من حالة الضعف هذه، فبالاضـافة إلـى بكر بن وائل ((سار جمع عظيم من بلاد إياد وناحية عبد القيس والبحـرين وهجرْ وكاظمة وغيرها إلى اطراف العراق واسياف فارس فغلبوا أهلها على اراضيهم ومواشيهم))[1] وفي أيام قباذ بن فيروز (488- 531م) شغلت الدولة الـساسانية مرة أخرى مع الهياطلة[2] وبالثورة المزدكية[3] مما جعل القبائل العربية كبكـر بن وائل تقوم بالإغارة على السواد[4]، ولعدم قدرة قباذ على صد تلك القبائل وقـتذاك تنازل عن ستة طساسيج[5] في اسفل الفرات للحارث الكندي مقابل تعهده بحماية أرض السواد من هجمات القبائل العربية[6].

إن كـل ذلـك يعكـس- على ما يظهر- عزم العرب المتواصل على طرد المحـتل الأجنبي واستغلال حالات ضعفه بغية استعادة تلك الاراضي التي سبق أن استوطنها أسلافهم قبل الاحتلال الساساني بزمن بعيد، وممارستهم لحق طبيعي من حقوقهم في انتجاعها واستثمار خيراتها يؤكد ذلك ما رواه ابن الكلبي (ت 204هـ)

---

(1) الثعالبـي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، غرر السير المعروف بكتاب غرر اخـبار ملـوك الفرس وسيرهم، مكتبة الاسدي، (طهران 1963م)، ص 514؛ دائرة المعارف الإسلامية، 476/7.

(2) الهـياطلة: هم أقوام من ولاية قان صو الصينية غزوا أقليم طخارستان في زمن الملك فيروز ويسمون بالهون البيض. ينظر: كرستنسن، ايران، ص 279- 283.

(3) كرستنسن، ايران، ص 302- 348.

(4) جـودة، جمـال محمـد داود محمد، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1979م، ص 62.

(5) الطـسوج: وهـو أخص واقل من الكورة والرستاق والأستان كأنه جزء من اجزاء الكورة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 38.

(6) الطبـري، تـاريخ، 2/ 95- 96؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 415، ولأسباب مماثلة مـنح كـسرى أبرويـز قيس بن مسعود الشيباني أراضي الابلة وما جاورها. ينظر: كستر، الحيرة، ص 17.

من ان الحارث بن عمرو الكندي على الرغم من اتفاقه سالف الذكر مع قباذ إلا انه لما رأى ((ما عليه قباذ من ضعف طمع في السواد فأمر أصحاب مساحلة أن يقطعوا الفرات فيغيروا على السواد))[1] ويبدو أن ضعف الملك الساساني قد شجع الحارث على الاستنجاد بتُبَّع ملك العرب في اليمن آنذاك وسار حتى نزل الحيرة[2]، وإن صحت الرواية الأخيرة فإنها تشير إلى تلاحم العرب جميعاً في الجزيرة وعلى تخوم السواد املاً في طرد المحتل واستعادة الارض العربية.

أشارت أغلب كتب التاريخ والبلدان إلى منازل معظم القبائل العربية ومواطنها لاسيما في الحقبة التي تعود إلى ما قبل الإسلام، فهذه إياد هاجرت في مطلع القرن الثالث الميلادي نحو العراق واصطدمت مع الملك الحيري جذيمة الابرش غرب الفرات الذي امتد نفوذه إلى الشمال من هيت، واستوطنت على حافة الصحراء جنوب وغرب الفرات الاوسط[3]، إذ نزلت بين أرض الجزيرة وارض البصرة بمنطقة الحيرة واتخذت من سنداد ودير الأعور ودير قرة والخورنق[4] والدير[5] وبارق[6] منازل لها[7] يؤكد ذلك قول أمية بن ابي الصلت بقوله:

([1]) الطبري، تاريخ، 2/ 95- 96؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 415/1.

([2]) الطبري، تاريخ، 2/ 96؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 415.

([3]) اليعقوبي، تاريخ، 1/ 180؛ ابن خلدون، تاريخ، 2/ 260، دائرة المعارف الإسلامية، 5/ 254- 255؛

Posner, Op. Cit, 126- 127.

([4]) الخورنق: قصر كان بظهر الكوفة بناه النعمان بن المنذر بن أمرئ القيس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 401.

([5]) الدير: لم أعثر على تعريف له.

([6]) بارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من اعمال الكوفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 319.

([7]) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، جمهرة انساب العرب، تحقيق: د. ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، (بيروت 1986م)، ص 606؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 397- 398؛ اليعقوبي، تاريخ، 180/1؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 135؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 286.

قومـــي إيـــاد لـــو انهـــم أمم   أولـــو أقامـــوا فتجـــزر النعم

قـــوم لهـــم ســـاحة العراق إذا   ســـاروا جميعاً والقط والقلم[1]

وانتـــشرت بكر بن وائل وعنزة وضبيعة من قبائل ربيعة بعد انتصارها على تغلـــب فـــي أرض اليمامة إلى اطراف السواد وناحية الابلة إلى هيت[2]، وقد قال الاخـــنس بن شهاب التغلبي يذكر منازل العرب مشيراً إلى كثرة (بكر) في المناطق المتاخمة للعراق في البادية بقوله:

وبكـــراً لهـــا أرض العراق وإن   يحـــل دونهـــا مـــن الـــيمامة[3]

حـــيث نزلت كاظمة[4] والنباج[5] وذي قار[6] وكان لهم بسنداد ما بين الحيرة والابلـــة صـــنم يدعى ذو الكعبات كانت تعبده إياد قبلهم[7] التي كانت تتنقل ما بين الجزيرة الفراتية والسواد[8].

---

(1) ديوانه، حققه ووقف على طبعه: بشير بموت، ط1، مط الوطنية، (بيروت 1934م)، ص 60.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 284؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 85- 86.

(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 284؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 86.

(4) ابن سعد، الطبقات، 6/ 104.

(5) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 351.

(6) اليعقوبي، تاريخ، 1/ 187؛ الاصفهاني، الاغاني، 2/ 125.

(7) ابـــن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، الأصنام، تحقيق: الاستاذ احمد زكي، الدار القومية للطـــباعة والنـــشر، (القاهـــرة 1964م)، ص 45؛ الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 286؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 69.

(8) المسعودي، مروج الذهب، 1/ 254.

وضمت الحيرة أخلاطاً من تميم وطيء[1] وغسان والعباد[2] وجعفى كما يفهم من رواية البلاذري[3] والازد ولخم[4] وكنده[5] وحمير ومذحج[6] ودوس من الازد على ما يروي الهمداني[7]، ونزلت تنوخ هي الاخرى من الانبار إلى الحيرة وكان بينهم وبين اللخميين والفرس حروب ففصل جماعة منهم نزلوا الشام[8] وسكنت الحيرة العديد من قبائل العرب الاخرى[9]، واقامت تميم في بادية البصرة وكانت أكثر قبائل العرب هناك[10] وكان منهم من يقيم في بادية الكوفة بوادي العذيب[11] وفي الحيرة إذ كانوا ارداف الملوك هناك[12] وقد منحوا هذا الامتياز من قبل ملوكها من العرب بسبب غاراتهم المتواصلة على مناطق السواد[13]، واستوطنت سليح وطيء في انقرة بظهر الكوفة اسفل الخورنق وفي بارق إلى هيت وما

([1]) اليعقوبي، البلدان، ص 309.

([2]) ابو عبيد، الاموال، ص 39؛ الطبري، تاريخ، 2/ 43.

([3]) فتوح البلدان، ص 403؛ الطبري، تاريخ، 2/ 43.

([4]) اليعقوبي، البلدان، ص 309؛ الطبري، تاريخ، 2/ 196.

([5]) المسعودي، التنبيه، ص 174؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 3/ 193- 196.

([6]) المقدسي، البدء والتاريخ، 3/ 196.

([7]) صفة جزيرة العرب، ص 330.

([8]) الطبري، تاريخ، 2/ 42؛ غنيمة، الحيرة، ص115.

([9]) ينظر: غنيمة، الحيرة، ص 8.

([10]) الاصطخري، الأقاليم، ص 12- 13؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 41.

([11]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/92.

([12]) ردف الملك، جليس الملك على يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك قعد الردف في موضعه ويخلفه على الناس حتى ينصرف واذا عادت كتيبة الملك اخذ المرباع. ينظر: الجوهري، الصحاح، 4/ 1463؛ كذلك ابو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، 1/ 298- 299.

([13]) ابو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، 1/ 298- 299؛ الجوهري، الصحاح، 4/1463؛ كستر، الحيرة، ص 15- 16؛ دائرة المعارف الإسلامية، 10/ 58- 59.

يليها[1] وقطنت النمر بن قاسط وتغلب من ربيعة ما بين الانبار وعين التمر[2] وسكنت باهله وبنو عنبر بجوار البطائح بناحية ميسان[3].

لم يقتصر وجود العرب على تلك المناطق فقط، وانما شمل أطراف بلاد فارس فقد ذكر ان بعض القبائل العربية قامت بهجرات متتالية من البحرين وكاظمة إلى السواحل الشرقية للخليج العربي فاستقرت في ابرشهر وسواحل كورة اردشيرخرة[4]، وهناك روايات تذكر أن سابور الثاني ذا الأكتاف (309- 379م) وكأجراء منه للتخلص من خطر العرب الرافضين للهيمنة الساسانية قام بتهجير عدد من ابناء تلك القبائل، فأسكن من بني تغلب دارين وعبد القيس وقبائل من تميم هجر وبكر بن وائل كرمان وتوج وهم الذين يدعون بكر أبان[5]، ومن كان منهم من بني حنظلة توج من كور بلاد فارس[6]، واسكن وجوههم مدينته المسماة فيروز سابور[7]، وإن صحت هذه الروايات فإنها تعني عروبة السواحل الشرقية للخليج العربي، إلا أن هناك من يرى أن مسألة تهجير العرب إلى هناك ((أمر غير معقول إذ ليس معروفاً أن يقوم المهاجم بنقل السكان من الاراضي التي يهاجمهم فيها وهي غير خاضعة له إلى ارض دولته))[8] واغلب الظن ان العرب بحكم دورهم الملاحي اعتادوا عبور الخليج إلى هناك وأنهم اختاروا تلك المنطقة لقربها منهم وبعدها عن

([1]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 203.

([2]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 330.

([3]) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 95.

([4]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 48؛ الثعالبي، غرر السير، 514.

([5]) الطبري، تاريخ، 2/ 57- 61.

([6]) الطبري، تاريخ، 2/ 61؛ الثعالبي، غرر السير، 529.

([7]) الثعالبي، غرر السير، ص 529. يذكر ابن خلدون أن اقواماً من بني العم بن مالك نزلوا خراسان ابان الفتوحات الإسلامية، تاريخ، ج2، ق2، ص 111.

([8]) الحديثي، نزار وآخرون، الحدود الشرقية للوطن العربي دراسة تاريخية، (بغداد، دار الحرية، 1981م)، ص 22.

الدولة الساسانية مستدلا بالإشارة الواردة على انهم ((غلبوا)) اي انتزعوا الاراضي انتزاعاً[1].

ومما تقدم يمكن القول أن العراق ومنازله كانت امتداداً لأرض جزيرة العرب يجتذبهم بخصوبته وكثرة خيراته قياساً إلى موارد بلادهم حينذاك، ولم يكن يوماً ما غريباً عنهم بل كان منزلاً لهم منذ زمن موغل بالقدم ودليلنا على ذلك ما وجده خالد بـن الولـيد بعد فتح الانبار من ان قوماً فيها يكتبون بالعربية ويستعملونها على ما رواه سـيف بـن عمر إذ قال: ((فسألهم (خالد) ما أنتم؟ فقالوا:قوم من العرب نزلنا علـى قـوم من العرب قبلنا- فكانت اوائلهم نزلوها ايام بختنصر (نبوخذ نصر).. فقال: ممن تعلمتهم الكتابة؟ فقالوا: تعلمنا من إياد وانشدوه قول الشاعر:

قومـي إيـاد لـو انهـم أمم	أولـو أقامـوا فتجـزر النعم
قـوم لهـم سـاحة العراق إذا	ساروا جميعاً والقط والقلم[2]))

أمـا عـن أرض الشام والجزيرة الفراتية فإنها هي الأخرى أراضٍ عربية، اختلفت المصادر اختلافاً ملحوظاً في تحديد تاريخ الوجود العربي فيها بصورة دقيقة وقد يعود هذا الاختلاف ربما إلى عدم توفر المصادر المدونة عن الهجرات العربية أو إلى تداخل هذه الهجرات فيما بينها فمن المصادر ما أرجعه إلى عشرة الآف سنة قبل الميلاد اعتماداً على ما رواه الأخباريون العرب من نزول عاد بارض الشام[3]، وارجع البعض الآخر اقدم تلك الهجرات إلى ثلاثة الآف سنة قبل الميلاد، ثم تتابعت

([1]) الحديثي، الحدود الشرقية، ص 22، معتمداً رواية الثعالبي، غرر السير، ص 514.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 375. وتنسب هذه الابيات لامية بن ابي الصلت. ينظر: ديوانه، ص60؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 68- 69.

([3]) باشميل، محمد احمد، العرب في الشام قبل الإسلام، دار الفكر، (بيروت 1973م)، ص 20- 21؛ علي، جواد، المفصل، 1/299، (بيروت 1979م)، عطوان، الجغرافية التاريخية، ص75.

الهجـرات الجـزرية إلـى بلاد الشام بعد ذلك ويمكن ان تعد هجرة الغساسنة اخر الهجرات العربية قبيل الإسلام[1].

سبق الحديث في هذا الفصل أن النصوص المسمارية الآشورية ذكرت لفظة (عـرب) لاول مـرة وبـشكل صريح من خلال الحديث عن معركة القرقار التي اشـترك فيها امير عربي (جندب) مع الف مقاتل من رجاله (راكبي الجمال)، وهذا يعنـي ان القبائل العربية لم تعد مجرد قبائل بدوية متفرقة في المنطقة بل صار لها تجمعات منظمة لها وزنها السياسي والعسكري[2].

ويتوالـى ذكـر العـرب في بلاد الشام بعد ذلك لاسيما في مناطق فلسطين وغـرب سـوريا وشرق الأردن وعلى الأخص اثناء الحملات الأشورية على هذه المنطقة أو على مصر[3].

ففـي أقـرب تاريخ باتجاه القرون الميلادية وبحدود عام 130 ق.م. تمكنت بعـض الامـارات الشامية من الاستقلال مستغلة ضعف السلوقيين، فظهرت أسرةٌ عـربية تحكم حمص[4] وصارت تشكل أهمية كبيرة في المنطقة إذ أنظمت أنطاكية إلـيها[5] وبقـيت تتمـتع باسـتقلالها تحت سلطة امرائها العرب حتى سنة 72م[6]

---

(1) للمـزيد مـن التفاصـيل ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، (بغداد 1956م)، 2/ 232 -280.

(2) الجـبوري، وجاسم، د. محمود عباد و د. مهند ماهر جاسم، القصور الأموية في بلاد الشام دراسة تحليلية، بحث مقبول للنشر، ص 1.

(3) الجبوري، وجاسم، القصور الأموية، ص 1-2.

(4) ديـسو رينـيه، العـرب فـي سـوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، راجعه: د. مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 11.

(5) داونـي، جلانفيل، انطاكية القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، دار النهضة، (مصر 1967م)، ص92.

(6) جونـز، ارنـولد هيو مارتن، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: د. احسان عباس، (عمان 1986م)، ص 71، 79.

وحكمت أديسا (الرها) اسرة عربية أخرى لقب ملوكها بأسم (أبجر) [1] ونشأت في منطقة البقاع حكومة عربية ثالثة على يد زعيمها العربي (معن) واتخذ خالقيس (عين الجر) مركزاً إدراياً لها[2].

شهد القرن السادس قبل الميلاد نزوح الانباط من جزيرة العرب إلى أعالي الحجاز [3] ((وهم عرب بقايا العمالقة قومن من عاد وهم القوم الجبارون بالشام))[4] ودامت مملكتهم لمدة طويلة حتى قضي عليها في مطلع القرن الثاني الميلادي وكانت تضم في أقصى أتساع لها جنوب فلسطين وشرق الاردن والجنوب الشرقي من سورية وشمالي جزيرة العرب[5]، ومما يؤكد عروبة الانباط ما رواه الصيغاني عن عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) قوله: ((نحن معاشر قريش حيّ من النبط من اهل كوثى)) اراد كوثى العراق وهي سرة السواد وبها ولد ابراهيم (صلوات الله عليه) [6] ويجمع اغلب الباحثين المحدثين على عروبة الانباط مستندين في ذلك الادلة اللغوية والدينية والفنية[7].

وخلفت مملكة تدمر العربية في القرن الثالث الميلادي مملكة الأنباط بالشام وقد وسع أذينة بن خيران مملكة تدمر لتشمل حمص ويصل سلطانه معظم المدن

([1]) ديسو، العرب في سوريا، ص 11- 15؛ باقر، طه، مقدمة، 2/ 314.

([2]) جونز، مدن بلاد الشام، ص 58؛ عباس، احسان، تاريخ دولة الانباط، (عمان 1987م)، ص42.

([3]) علي، جواد، المفصل، 3/ 15؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 18.

([4]) كرد علي، محمد، خطط الشام، ط2، (بيروت 1969م)، 1/ 21.

([5]) زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق: د. حسين مؤنس، دار الهلال، بلا ت، 89- 90؛ عطوان، المرجع السابق، ص 77.

([6]) العباب الزخر، حرف الطاء، ص 207.

([7]) عباس، احسان، تاريخ دولة الانباط، ص 25- 27؛ ينظر كذلك: علي، جواد، المفصل، 3/ 11- 15، (ط3، 1980م)؛ البكر، د.منذر عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، جامعة البصرة، 1993م، ص 355.

الشامية وصارت مملكته بحدود هذا التاريخ ((أعظم قوة في الشرق الادنى))[1] وعند اعتلاء زنوبيا العرش سنة 276م شملت حدود المملكة انطاكية واجزاءً من اسيا الصغرى[2] وقد ابقت هاتان المملكتان فيما بعد من اصولهما وحاميتهما جنداً كثيراً أصبحوا فيما بعد من جملة سكان الشام[3].

وفي مطلع القرن الاول الميلادي[4] هاجرت قبائل قضاعة من ديارها بتهامة وما يليها إلى الشام[5] وكانت تنوخ أول من حل منها بالشام ودخلوا في طاعة الروم وتنصروا فملكهم الروم على من بالشام من العرب، فكان أول ملك منهم النعمان بن عمرو بن مالك[6]، إذ كانت منازلهم ما بين مشارف في الجنوب إلى بادية الشام في الشرق والشمال[7] ولم يقتصروا على البوادي في وجودهم، بل بلغوا المدن الشمالية وأقاموا بها أو في ضواحيها، فقد ((كان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل))[8] وفي حاضر حلب[9] وفي

([1]) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 18.

([2]) داوني، انطاكية القديمة، ص 146- 147.

([3]) كرد علي، خطط الشام، 1/ 21؛ البكر، دراسات، ص 393.

([4]) زيدان، العرب قبل الاسلام، ص 193؛ ديسو، العرب في سوريا، ص 10.

([5]) البلاذري، أنساب، 1/ 19؛ اليعقوبي، تاريخ، 1/ 178؛ الطبري، تاريخ، 1/ 609؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 106؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 20، 25، 52.

([6]) اليعقوبي، تاريخ، 1/ 178؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 106؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 280.

([7]) كرد علي، خطط الشام، 1/ 24؛ ديسو، العرب في سوريا، ص 160- 161؛ عطوان، الجغرافيا التاريخية، ص 79.

([8]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 197؛ ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن أحمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، عني بنشره وتحقيقه: سامي الدهان، (دمشق 1951م)، 1/ 28.

([9]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 198؛ ابن العديم، زبدة الحلب، 1/ 28.

معــرة الــنعمان[1]، وكانت كلب هي الأخرى ممن سكن الشام قبل الإسلام وكانت منازلهم في دومة الجندل وتبوك واطراف الشام إلى ناحية طيء[2] وفي حمص[3] ((ثــم وردت ســليح الــشام فغلبت على تنوخ وتنصرت فملكها الروم على العرب بالــشام))[4] وقد نزلت مناظر الشام م البلقاء إلى حوارين إلى الزيتون[5] وقيل انهم باطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين وبلاد الروم[6].

ووردت الشام من قضاعة بنو عامر وعمرو وحنظلة والطوال ومُرة وخزيمة وأبــان[7] وبــنو الخــشين والقــين[8] واستوطن الاخيرون بحفير من الاردن ولهم حاضــرتها[9] وانــتقل من الجزيرة الفراتية بعض بني تزيد وعشم[10] وعلاف إلى لشام[11] وحلت في القرن الثالث الميلادي قبيلة غسان بعد تنوخ وسليح[12] إذ قدموا

([1]) اليعقوبــي، الــبلدان، ص 324؛ القلقشندي، صبح الاعشا، 1/ 316؛ الدوري، عبد العزيز، العرب والأرض، ص 25.

([2]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 50؛ القلقشندي، صبح الاعشا، 1/ 316.

([3]) اليعقوبي، البلدان، ص 324؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص22.

([4]) المسعودي، مروج الذهب، 2/ 106.

([5]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 26.

([6]) عطوان، الجغرافيا التاريخية، ص 80؛ زيدان، العرب قبل الاسلام، ص 191.

([7]) الــبلاذري، أنساب، 1/ 19؛ ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهــرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، دار المعارف، (مصر 1962م)، ص 446.

([8]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 52.

([9]) الأصفاني، الأغاني، 16/ 14.

([10]) عطوان، الجغرافية التاريخية، ص 80.

([11]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 26.

([12]) ابــن حبــيب، المحبــر، ص 370- 371؛ اليعقوبي، تاريخ، 1/ 178- 179؛ المسعودي، مــروج الذهب، 2/ 107؛ نولدگــه، ثيودور، امراء غسان، نقله إلى العربية: د. بندلي جوزي د. قسطنطين زريق، مط الكاثوليكية، 1933م، ص6؛ باشميل، العرب قبل الإسلام، ص188.

وسـالوا سليح ان يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم وان يقيموا في البلاد ولهم ما لهم وعليه ما عليهم[1] وانتزعوا زمام الأمور من سليح وحصلوا على اعتراف ملك الروم اناسطاسيوس (491- 518م) بفضل قوة بأسهم وشدة مطالبتهم وظلت الزعامة فيهم إلى أيام الفتح الإسلامي[2].

وعلى ما يبدو أن حدود مملكتهم لم تكن ثابتة إنما تتسع وتتقلص حسب تغير الظـروف الـسياسية وتبعاً لقوة ملوك هذه الأسرة عصرئذ[3]، فقد ذكرت المصادر التاريخـية وكـتب الـبلدان اسماء الكثير من الأماكن التي استوطنوها كالجولان[4] والجابـية[5]، ومـرج الـصفر[6]، ((وكانـت دمشق منازل ملوك غسان وبها لآل جفنة))[7]، علاوة على ذلك فقد استوطنت بلاد الشام قبائل عربية أخرى قبل الإسلام كجذام التي سكنت مشارف الشام حوالي آيله[8] وقيل بين مدين إلى تبوك والى أذرح ومـنها فخـذ ممـا يلي طبرية من أرض الأردن إلى اللجون واليامون إلى ناحية عكـا[9]، وفـي معان وما يحيط بها وكانت لها رئاسة فيها إذ كان فروة بن عمرو

([1]) ابـن حبـيب، المحبـر، ص 371؛ اليعقوبي، تاريخ، 1/ 178؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 107.

([2]) اليعقوبـي، تـاريخ، 1/ 178؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 107؛ ينظر ايضاً: نولدگـه، امراء غسان، ص 807.

([3]) عطوان، الجغرافية التاريخية، ص 81.

([4]) الجـولان: قـرية وقـيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 188.

([5]) الجابـية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر. ياقوت، المصدر نفسه، 2/ 91.

([6]) مرج الصفر، مرج بدمشق قال عنه الشاعر: شهدت قبائل مالك وتغيبت وعنـي عميـرة يوم مرج الصفر، ياقوت، المصدر نفسه، 5/ 101.

([7]) اليعقوبي، البلدان، ص 326.

([8]) ابن حزم، جمهرة النسب، ص 421؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 238.

([9]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 243.

الجذامـــي عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الأردن[1]، وســكنت لخــم اطــراف الشام[2] ((بين مصر وبين الشام حوالي العريش))[3] وبالبلقاء[4] وفلسطين وبادية الشام[5] وكانت بهراء تنزل شمالي منازل بلــى مــن ينــبع إلى عقبة آيلة[6] وفي المناطق المحيطة بحماة[7] كما واستوطنت المنطقة الشمالية من الشام قبائل من قيس وربيعة، إذ نزل الحيار من برية قنسرين بنو يربوع بن خليد بن جزء بن عبس وغلبوا عليه حتى عرف بهم فقيل حيار بني يربوع[8].

أما أرض الجزيرة الفراتية فقد شهدت نزول العرب واستيطانهم خلال القرون التـــي سبقت الإسلام، نتيجة الهجرة المستمرة من أرض العرب، وكانت هذه القبائل تـــتكلم بلـــسان عربـــي أكثـــر مـــن الآرامـــية ويعـــد الجمل العنصر الاساس في اقتصادياتهم[9] إذ سكنتها احياء من ربيعة واليمن[10] ومضر[11] حتى صارت دياراً لهـــم بها ومراعي وسارت اليها جموع من تنوخ- بعد ان هاجمهم الملك الساساني

([1]) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 238.

([2]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 238.

([3]) ابن حزم، جمهرة النسب، ص 424.

([4]) ابن حزم، جمهرة النسب، ص 151.

([5]) علي، جواد، المفصل، 4/ 462؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 22.

([6]) القلقشندي، صبح الاعشا، 1/ 317.

([7]) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 22.

([8]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 199.

(9) Posner, Op. Cit, P. 126

عـــن التسلـــسل التاريخـــي للوجود العربي في الجزيرة تفصيلاً ينظر: حمادي، محمد جاسم، الجزيـــرة الفـــراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والاداري 127- 418هـــ/ 744- 823م، دار الرسالة للطباعة، (بغداد 1977م)، ص 154- 160.

([10]) ابن حوقل، صورة الارض، ص 41.

([11]) ابن حوقل، صورة الارض، ص 29.

سابور الاكبر (241- 272م) من الحيرة قاصدة ارض الحضر فاستقرت بها وكونت لها على مرّ الايام سلطان هناك[1] وكانت لهم غارات متواصلة باتجاه السواد وارض شهرزور من أقليم الجزيرة بقيادة الضيزن بن جبلة[2].

وشهدت الجزيرة هجرة جموع من تزيد وعشم ابني حلوان بن عمران وجماعة من علاف وهربان بن حلوان وهم عوف بن ربان وبنو حزم بن ربان وخالطوا قراها وعمرانها، كعبقر وآمد وميافارقين وشهرزور[3] وكثروا بها وكانت لهم وقعة مع الأعاجم ولم يزالوا هناك حتى أغار عليهم سابور ذو الأكتاف (309-279م) فافتتحها وقتل منهم جماعة من عشم وتزيد وعلاف وبقيت منهم بقية لحقب بأرض الشام[4].

كانت إياد إحدى قبائل ربيعة هي الأخرى من سكان الجزيرة الفراتية قبل الإسلام ففي القرن الثالث الميلادي كانت إياد تجوب المنطقة الواقعة بين العراق والجزيرة الفراتية على حافات الصحراء جنوب غرب الفرات الأوسط[5] ولغاراتهم المتكررة على السواد أضطر سابور ذو الأكتاف إلى نفيهم عن منازلهم في ريف السواد والحيرة، ففرت جموع منهم نحو الجزيرة[6] يؤكد ذلك قول الشاعر:

وغارات إياد في السواد ودونها   برازيق عجم تبتغي من تضارب[7]

([1]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 23- 24.

([2]) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 129- 130.

([3]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 26 ينظر كذلك ص 21- 23.

([4]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 26.

(5) Posner, Op. Cit, 127.

([6]) ينظر: ابن دريد، ابي بكر محمد بن السحن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، مكتبة المثنى، (بغداد 1979م)؛ المسعودي، مروج الذهب، 1/ 260- 261؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 3/ 160- 161.

([7]) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 325.

لـــذا حلـــوا بهـــا بعد ان طردوا قوما من العماليق كانوا قد سكنوها قبل ذلك وســكنوا تكريت والموصل والأقسام الغربية منها التي كانت على مر الدهر طريق غاراتهم جنوباً وشرقاً باتجاه السواد[1].

ولم تنقطع غارات الاياديين على السواد وهجراتهم إلى أرض الجزيرة والشام مــع تكرار وتعاظم خطرها على الوجود الفارسي في العراق، لذا عمد الفرس إلى إقامة عدد من المسالح على ما قرب من حد السواد والبادية مثل مسلحة آلس[2] التي بـــناها ســـابور ذو الأكتاف وتم تجديدها وحفر خندقاً طويلاً على البر أيام كسرى آنوشيروان ((ليكون مانعاً لمن اراد أرض السواد من أهل البادية))[3].

وفـــي القرن الرابع الميلادي حلّت جموع جديدة من إياد بأرض الجزيرة بعد نفيهم من قبل الملك الفارسي سابور الثاني (309- 379م) إثر غاراتهم المتواصلة علـــى الـــسواد فقتل طائفة منهم سنة (325م) ومن بقي منهم لحق بأرض الجزيرة الخاضـــعة للدولة الرومانية حينذاك[4]، وتكرر الأمر نفسه أيام الملك سابور الثالث (383- 388م) بعـــد أن كانـــت إيـــاد قد عاودت الاستقرار في أماكنها الأولى في العراق متحدةً هذه المرة مع ربيعة التي كان يتزعمها صخر بن وائل والتي عاودت غاراتها على طول السواد[5] ، وللهجرة المتكررة للقبائل العربية اطلق المؤرخون الـــسريان فـــي القرن الخامس الميلادي على العراق الأعلى أرض العرب[6] وجدد الأياديـــون غاراتهم في القرن السادس الميلادي على السواد بعد أن تجمعوا ما بين عـــين التمر والانبار أيام كسرى آنوشيروان الذي عزم على الثأر منهم لنفسه بعيد

---

(1) Posner, Op. Cit, p. 128.

(2) آلس: ذكر ياقوت في معجمه آلوس وعرفها ويبدو أنها هي المقصودة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 246.

(3) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص 107؛ ذكر الدينوري ان للفرس مسالح أخرى بالسواد ومنها الخريبة، الاخبار الطوال، ص 117؛ Posner, Op. Cit, p. 132.

(4) Posner, OP. Cit, p. 29.

(5) Posner, Ibid, pp. 131- 132.

(6) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 18.

ذلـك فقاتلهم وطردهم نحو الجزيرة فنزل من حل بها منهم حول تكريت ومنهم من وصـل إلـى ما وراء الموصل[1]، وقيل أن منهم من وصل إلى أنقرة ببلاد الروم ((حيث وجدوا ان جماعة من قبيلتهم استوطنوا هذه البلاد))[2].

لم تكن إياد وحدها التي قطنت أرض الجزيرة قبل الإسلام[3]، بل كانت النمر بـن قاسـط وتغلب بن وائل من بطون ربيعة قد وردتها هي الأخرى، إذ جاء ذكر مـنازلها أيام الفتوحات الإسلامية حول هيت وتكريت[4] وكذلك كل وقضاعة التي هاجـرت جماعة منها إلى العراق ايام الدولة البارثية (250 ق.م- 226م) [5] ويرد ذكـرهما فـي بداية الدولة الساسانية ما بين تكريت والانبار، وذلك أن اردشير ابن بابك اول ملوك الدولة الساسانية أغار عليهما في هذه المنطقة[6]، وكانت لها منازل بنواحـي هـيت والانبار أيام الفتح الإسلامي[7]، واشارت الدراسات الحديثة إلى ان

([1]) ذكر البكري أن الاياديين كثر منهم من كان بعين اباغ ((حتى صاروا كالليل كثرة)) معجم ما استعجم، 1/ 69- 70، ينظر دائرة المعارف الإسلامية، 5/ 254، هامش Posner, OP. Cit, p. 259.

([2]) دائرة المعارف الإسلامية، 9/ 390.

([3]) حول توزيع القبائل العربية في الجزيرة الفراتية تفصيلاً ينظر: حمادي، الجزيرة الفراتية، ص 160- 170.

([4]) الطبري، تاريخ، 4/ 35- 36؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص 137؛ الاصطخري، المسالك، ص 14، ابن حوقل، ص 29؛ دائرة المعارف الإسلامية، 9/ 390.
Posner, OP. Cit, pp. 316- 317, 323- 324.

([5]) الطبري، تاريخ، 2/ 47؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص 83.

([6]) الطبري، تاريخ، 2/ 47، 51.

([7]) الطبري، تاريخ، 3/ 385؛ الاصفهاني، الأغاني، 2/ 140؛ الاصطخري، المسالك، ص 23، الأقاليم، ص 13؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص 41.

جماعـــة من تغلب عبرت دجلة إلى اذربيحان[1]، كما أن جموع من بني شيبان من بكر بن وائل سكنوا الجزيرة الفراتية بعد حرب البسوس[2].

يتبـــين مـــن مجمـــل ما سبق أن أقليم الجزيرة اراضٍ عربية كانت على مر العـــصور موطناً ومرتعاً للقبائل العربية المتنقلة بحثاً عن الكلأ والماء، تجذب اليها تلـــك القبائل طبيعتها الخصبة ومراعيها الغنية، ولأنها ملجأ آمناً لها إذا ما تعرضت للخطر الأجنبي، رغم أنها شكلت فيما مضى أمتداداً للأقاليم الشرقية الخاضعة للدولة الـــرومانية، وقـــد أفـــادت هذه القبائل من العداء المستحكم بين الدولتين الساسانية والـــرومانية للتوغل والاستقرار في الاراضي العربية، وشاهد ذلك أن الامبراطور الرومانـــي كونـــستانس بحدود سنة 359م كان قد شجع تلك القبائل على السكن في الاجـــزاء الشرقية من شمالي بلاد الرافدين محفزاً إياها لاستخدامها كقاعدة متقدمة للإغارة على القوات الساسانية في السواد[3].

أمـــا عن وجود العرب في مصر فعلى ما يبدو ان القبائل العربية كانت على اتـــصال بالاقسام الشمالية الشرقية وبالدلتا في حدود القرنين الأول والثاني الميلادي وقـــيل الرابع الميلادي بحكم قربها من جزيرة العرب وسهولة الاتصال عن طريق بـــرزخ الـــسويس وســـيناء التـــي كانت منطقة عبور القبائل العربية المهاجرة إلى مصر[4]، واذا ما علمنا أن مصر كانت من أهم الأقاليم المنتجة للحبوب أدركنا عمق الـــصلات الاقتـــصادية بين الطرفين[5]، فقد اشارت المصادر التاريخية إلى هجرة

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، 9/ 390.

(2) العبـــيدي، محمود عبد الله ابراهيم، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1981م، ص 29.

(3) Posner, OP. Cit, p. 131.

(4) مهران، د. محمد بيومي، مصر، ط4، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية 1988م)، 1/ 42-45؛ دروزه، عروبة مصر، ص 38- 39.

(5) ينظـــر: ابـــن عـــبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 164؛ ولسون، الحضارة المصرية، ص 258، 264- 267.

بعــض بطــون خزاعة وهم فرع من الازد في الجاهلية إلى هناك بسبب ما اصاب بلادهم من قحط[1]، كما أن بعض التجار العرب قد وصلوا إلى مصر للامتيار منها قــبل الإسلام مثل عمرو بن العاص[2] والمغيرة بن شعبة الذي يقال أنه وصل إلى الاسكندرية[3].

ورغــم عدم توسع المصادر في حديثها عن الهجرات العربية إلى مصر كما هو الحال بالنسبة للعراق وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، إلا انها أشارت إلى هجرة بعض بطون قضاعة وهم بنو حوتكة بن سود بعد الحرب التي وقعت بين ابناء هذه القبــيلة فتفرقت في البلدان ووصل بعضهم إلى مصر واستمروا في تواجدهم هناك إلى ما بعد الفتح الإسلامي[4] وهجرة بهراء التي كانت منازلها ((شمالي منازل بلّى مــن الينبع إلى عقبة آيلة ثم جاور بحر القلزم منهم خلق كثير وانتشروا ما بين بلد الحبــشة وصــعيد مصر))[5]، اضافة إلى هجرة بعض القبائل العربية اليمنية التي اســتوطنت الدلتا في القرن الأول وهجرة قبائل طيء ولخم وجذام التي استقرت في المــناطق الشرقية وقبيلة بلَى التي استوطنت بين قنا والقصير وكان عليها الاعتماد في نقل تجارة الهندية إلى مصر[6]. ونتيجة لذلك سميت المناطق الشرقية من مصر بالعربية حسب رواية المؤرخ الاغريقي هيرودتس[7] (480- 425 ق.م).

إزاء ذلــك كلــه لا يخــتلف الباحثون في أن مصر أرضاً عربية قد سكنها الأرومات العربية قبل الإسلام بقرون بعيدة[8].

([1]) مهران، مصر، 1/ 42- 45.

([2]) ينظر: أبن عبد الحكم، فتوح مصر واخباره، ص 53- 55.

([3]) الزركلي، الاعلام، 277/7.

([4]) البكري، معجم ما استعجم، 1/ 40 كذلك ص 25.

([5]) القلقشندي، صبح الاعشا، 1/ 37.

([6]) مهران، مصر، 1/ 42- 45.

([7]) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص 18.

([8]) دروزة، عروبة مصر، ص 19- 39.

مظاهر الحس القومي قبل الإسلام

تتجلـــى الـــروح القومـــية العربية الراغبة في التحرر من الأجنبي واستثمار خيرات الأرض العربية كلما سنحت الفرصة للعرب، ففي بلاد الشام شهدت القرون الأخيـــرة قـــبل الميلاد وما بعدها استقلال بعض الممالك العربية التي ظهرت هناك مـــستفيدةً مـــن آية حالة ضعف قد تنتاب المحتل الأجنبي لتحقق اهدافها في التحرر منه[1].

ففـــي عهـــد الحارث الثالث (87- 62 ق.م) استطاع الانباط أن يتغلبوا على الـــيهود فـــي عَدة مواطن ويحصاروا القدس، وينقذ الحارث الثالث أهل دمشق من الـــسلوقيين ويتولى الحكم على اواسط الشام والى (الحِجر) مدائن صالح في شمال الحجـــاز ووصـــلت حدودها إلى نهر الفرات شرقاً والى وادي القرى جنوباً مكونةً كـــياناً سياســـياً عربياً يجمع العرب تحت رايته[2]، وعبر ملوك العرب التدمريون ورعيـــتهم بكرههم للهيمنة الرومانية عن حسهم القومي ونزوعهم إلى التحرر، وهو ما تم لهم على يد أذينة الثاني في اواسط القرن الثالث الميلادي الذي قاتل الرومان والـــساسانيين واســـترد الأرض العربية من سطوتهم، وامتد نفوذ دولته إلى مصر والعراق وآسيا الصغرى إضافة إلى الشام على يد زوجته زنوبية فيما بعد[3] والتي كانت وصيّة على ولدها القاصر ((وهب اللات)).

أمـــا الغـــساسنة فقد عبروا بدورهم عن الشعور القومي لديهم ايضاً[4]- رغم رعايـــة الـــروم لملوكهم خدمة لمصالحهم في بداية الامر- من خلال اتباعهم مذهباً

---

(1) ينظر: الجبوري وجاسم، المرجع السابق، ص 1-2.

(2) معـــروف، ناجـــي، أصالة الحضارة العربية، ط2، مط التضامن (بغداد 1969م)، ص 91؛ الجبوري، وجاسم، القصور الاموية، 2-3.

(3) معروف، ناجي، اصالة الحضارة العربية، ص 92- 93.

(4) ينظـــر: بينز، نورمان، الامبراطورية البيزنطية، تعريب: د. حسين مؤنس ومحمود ابو زايد، لجـــنة التألـــيف والترجمة والنشر، (القاهرة 1950م)، ص 46- 47، 50، 55؛ اسكندر، فايز نجيب، الفتوحات، ص 86، هامش 95.

دينيا مخالفا للمذهب الرسمي لبيزنطة وهو المذهب اليعقوبي القائل بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (عليه السلام) [1]، والذي يقرب في مضمونه من ديانات التوحيد التي ظهرت في أرض العرب قبل ذلك وبعده، ونجحوا في تأسيس كنيسة قومية لهم- إذا صح التعبير- في بصرى جمعت نصارى العرب في الشام حولها[2]، معبرين- بذلك- عن سخطهم جراء سياسة الروم التعسفية ضدهم[3]، ومما يؤكد الابعاد القومية لهذه المسألة هو تآمر البيزنطيين وعزمهم على قتل المنذر بن حارث بحدود سنة (580م)، الذي تبنى هذا المذهب بعد ابيه والمعبر عن طموحاتهم، والذي ثار على البيزنطيين ثلاث سنين اعقبتها الفوضى في تلك النواحي بعد ثورة اولاده من بعده على سلطة الروم[4] والذين عكسوا عمق ارتباطهم القومي ببوادي العرب الجنوبية من خلال الالتجاء إليها خشية مخاطر الروم ولأكثر من مرة في صراعهم معهم[5].

ونتيجة لسياسة الامبراطور البيزنطي هرقل الجائرة ضد أهل الشام والتي لم يسلم منها حتى رعاياهم الارثودكس ممن كانوا يسكنون بلاد الشام فقد أدى ذلك إلى أن يستقبل الشاميون جموع المسلمين بالرضى والحماسة[6] لما يحملون من مبادئ الإسلام التي تؤكد على العدل والانصاف وروح التسامح وكل القيم الانسانية السامية الاخرى.

وفي العراق كانت القبائل العربية تعمل جاهدة- كما يتضح- على استغلال حالات الضعف والفتور التي تنتاب الفرس مثلما حصل بعد وفاة هرمزد الثاني

---

(1) البكر، منذر، دراسات، 409، 414- 418؛ حتي، تاريخ سورية، 1/ 410 وما بعدها.

(2) البكر، دراسات، ص 414- 415.

(3) لويس، العرب في التاريخ، 66

(4) البكر، منذر، دراسات، 418.

(5) معروف، ناجي، أصالة الحضارة العربية، ص 96- 97.

(6) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 53.

(302- 309م) [1]- واذا كانت هـذه الـصراعات تبدو ذات أبعاد اقتصادية في ظاهـرها، حـيث كانت القبائل العربية على الدوام تميل إلى الاستقرار في السواد والعيش فيه مما يثير ذلك غضب السلطة الفارسية الحاكمة[2]- فإن الحس القومي لم يكـن ليغـيب عن بال العرب، الذين عبروا عن ذلك بكرههم واستنكارهم للاحتلال الـساساني للعـراق منذ ايام اردشير بن بابك، وقد أشار ابن الكلبي إلى ذلك بقوله: ((لما استولى أردشير على الملك بالعراق كره الكثير من تنوخ ان يقيموا في مملكته وان يديـنوا له))[3]، فخرج من كان بالعراق منهم من قضاعة إلى الشام[4]، وأدرك العرب سياسة الفرس العدائية- في زمن آدرشير بن بابك- الرامية إلى الهيمنة على كافـة الأراضي العربية وقد عبر أمير البحرين (سنطرق) عن استنكاره لهذا الأمر مفضلاً الانتحار على أن يرى الفرس يحتلون أرض عمان واليمامة[5] والبحرين[6] وهو غير قادر على منعهم.

أصـبحت الفرصة مواتية في القرن الرابع الميلادي للعرب للإنتقام مما سبق أن فعلـه الفرس بهم بعد الفوضى التي عمت دولتهم عقب وفاة هرمز الثاني- كما أسـلفنا- وتنـصيب سـابور ذي الأكتاف بن هرمز ملكاً على الفرس مع انه كان صبياً[7] وقد أدى ضعف السلطة لديهم إلى أن تندفع جموع من إياد ونواحي ((بلاد عـبد القيس والبحرين وهجر وكاظمة وغيرها إلى أطراف العراق واسياف فارس

([1]) الديـنوري، الاخبار الطوال، ص 48؛ تاريخ، 2/ 55؛ المسعودي، مروج الذهب، 1/ 279؛ الثعالبي، غرر السير، ص 514.

([2]) الطبري، تاريخ، 2/ 55؛ الثعالبي، غرر السير، ص 514- 515.

([3]) الطبري، تاريخ، 2/ 42.

([4]) الطبري، المصدر نفسه.

([5]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 43.

([6]) الطبري، تاريخ، 2/ 41.

([7]) الثعالبي، غرر السير، ص 514- 515.

فغلبوا أهلها على أراضيهم ومواشيهم فاكثروا فيها الفساد وشنوا الغارات))[1] وبقيت هـذه القبائل منتجعة تلك المناطق ((إلى أن بلغ سابور مبلغ الرجال))[2] وهذا يعني أن قـبائل العرب ظلت تتمتع بشيء من الحرية في العيش في تلك الربوع ما يزيد على ربع قرن[3] كما واقبل أيضاً بعض ملوك غسان في جموع عظيمة من الجزيرة حتى أغاروا على السواد[4].

وعلى ما يظهر أن تلك الغارات تعكس حالة من التوحد والتطابق بين القبائل العربية عملياً وفكرياً لمحاربة المحتل، يثبت ذلك هجمة سابور بن أردشير بن بابك علـى اقلـيم الجزيـرة وقتله الضيزن ملك الحضر سنة (241م)[5] ومن ثم توجيه سابور ذي الأكتاف خيرة جنده لقتال العرب[6] و((الايقاع بهم وقطع دابرهم))[7]، إذ أوصـاهم بـدوره بابـادة العرب ونهاهم عن الابقاء على من يتصدى لهم منهم[8] ((فاوقـع أولاً بمـن فـي اطراف السواد من إياد))[9] واصبحت قسوة الفرس بحق

([1]) الديـنوري، الاخبار الطوال، ص 48؛ الثعالبي، غرر السير، ص 514- 515؛ ينظر ايضاً: الطبري، تاريخ، 2/ 48.

([2]) الطبري، تاريخ، 2/ 48.

([3]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 48.

([4]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 48.

([5]) الديـنوري، الاخـبار الطـوال، ص 48؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 130؛ سفر ومـصطفى، فـؤاد ومحمـد علـي، الحضر مدينة الشمس، مؤسسة رمزي للطباعة، (بغداد 1974م)، ص 34.

([6]) الطبري، تاريخ، 2/ 57؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 393.

([7]) الثعالبي، غرر السير، ص 518.

([8]) الطبري، تاريخ، 2/ 57؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 393.

([9]) الثعالبي، غرر السير، ص 518.

العــرب مــثالاً يــضرب بالتنكيل والبطش[1] إذ خلع اكتاف بعضهم[2] وطم آبارهم ومياههم[3].

وعلى الرغم من ذلك كله فإن نزعة العرب الرافضة لاحتلال الفرس لم تنته، بــل إن امرأة عربية عبرت عن ذلك بجلاء حين اعترضت سابور وصاحت به "إن كنت تطلب ثأراً فقد أدركت وإن كنت تعم قبائل العرب بالقتل فاعلم ان لهذا قصاصاً ولــو بعد حين"[4]، وقد جاء انضمام عرب الشام إلى جانب الروم في عهد لليانوس (361- 363م) عــندما عزم على قتال الفرس للانتقام من سابور والأخذ بثأر من قــتله مــنهم[5] متوافقاً مع ما اعلنته تلك المرأة العربية، إذ الحقوا الهزيمة بسابور وجــنده، وكــذلك إيــاد التي أوقعت بالفرس مرة أخرى بدير الجماجم[6] في القرن السادس الميلادي.

---

(1) روي أن الخلــيفة علي (رضي الله عنه) لما بلغه مكاتبة معاوية لبني تميم بغية الخروج عليه أنشد في مسجد الكوفة قائلاً:

إن حــيّاً يــرى الــصلاح فــساداً … أو يــرى الغــي للــشقاء رشادا

لقــريب مــن الهــلاك كما أهلك … ســـابور بالـــسواد إيـــاد

ينظر: المسعودي، التنبيه، ص 192؛ الثعالبي، غرر السير، ص 518.

(2) الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 315؛ البلاذري، أنساب، 27/1؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص 49؛ الطبري، تاريخ، 2/ 60.

(3) الطبري، تاريخ، 2/ 92؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 1/ 393.

(4) الثعالبي، غرر السير، ص 520- 521.

(5) ينظر: الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 317؛ الطبري، تاريخ، 2/ 58، 92.

(6) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 398؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 91؛ البكري، معجم ما استعجم، 70/1، 72، 75، دائرة المعارف الإسلامية، 5/ 254؛ Posner, Op. Cit, p. 129.

وكانت تميم التي تسكن البحرين والمناطق القريبة منها[1] في مواجهة المحتل، إذ لجأت إلى أسلوب الإغارة على لطائم كسرى وعماله على اليمن، بغية الحاق الضرر بهم والاستفادة مما تحمله تلك اللطائم من بضائع، غير أن الفرس نكّلوا بهم يوم الصفقة[2] ابشع تنكيل معبرين عن عزمهم على القضاء المبرم على كل اشكال التوثب العربي، فكان عاملهم على البحرين ((كثيراً ما يوقع ببني تميم ويقطعهم حتى سموه المكفر))[3] ولكن الغيرة والحمية العربية على ابناء جلدته دعت أحد ابناء تميم ان يقطع سلسلة باب حصن المشقر، ذلك الحصن الذي حصر به الفرس من دخل اليه من العرب في يوم الصفقة ويخرج قومه منشداً:

ألا هل أتى قومي على النأي أنني   حميت ذماري يوم باب المشقر

ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة   تفرج منها كل باب مضبر[4]

وفي اواخر القرن السادس الميلادي ومطلع القرن السابع توحدت تطلعات العرب التحررية في شرق شبه الجزيرة ومناطق السواد مع توجهات ملوك الحيرة لاسيما النعمان بن المنذر (585- 613م)[5] إذ كانت الممالك العربية الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق تشارك ابناء جلدتها في صراعهم مع المحتل، وإن كانوا قد قضوا ردحاً من حياتهم تحت هيمنة الروم والفرس الذين دفعتهم مصلحتهم الآنية

([1]) فوزي، فاروق عمر، ثلاثة معارك في الخليج العربي، مجلة آفاق عربية، العدد 7 لسنة 1984م، ص 13- 14.

([2]) الطبري، تاريخ، 2/ 169- 171؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 224؛ الاصفهاني، الاغاني، 6/24؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق1، ص 177- 178؛ جاد المولى، محمد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، ط2، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، (مصر 1953م)، ص 2- 5؛ فوزي، ثلاث معارك، ص 14.

([3]) ابن خلدون تاريخ، ج2، ق1، ص 177.

([4]) الطبري، تاريخ، 2/ 171- 172.

([5]) عن توليته والظروف التي عمّت الدولة آنذاك. ينظر: غنيمة، الحيرة، ص 201 وما بعدها.

لتملـيكهم[1]، فإن ذلك لم يكن منهم إلا ((تسليماً بالامر الواقع أكثر مما كان اذعاناً لغلب المنتصر لذلك كانت الاوضاع السياسية تتغير في امرهم تبعاً لقوتهم وكان لهم أكثـر الأمــر اسـتقلال ذاتي حرصوا عليه ودافعوا عنه))[2] يؤكد ذلك النعمان بن المــنذر الــذي دافــع عن العرب وامجادهم امام وفود ملوك الروم والهند والصين بحــضرة كسرى عند سماعه تجهين كسرى لامرهم[3] مشيرا الى حالة من التوثب القومــي وشعورا بالقوة والعزة، يثبت ذلك لقاؤه مع حكماء العرب ورؤساء القبائل فــي الخورنق عندما ندبهم قائلاً: ((وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور أو يكون إنما إظهرها لأمر اراد ان يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله))[4].

مـشيراً بـذلك إلى نزعة العرب الرافضة للهيمنة الساسانية في الحيرة وبقية القـبائل فــي المــناطق الأخــرى وندبهم قائلاً: ((إنما أنا رجل منكم وإنما تملكت وعــززت بمكــانكم وما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء أحب اليّ مما سدد الله به أمــركم واصلح به شأنكم... والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا إلى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن أو حدثــته نفسه))[5]، وقد تكون هذه التوجهات القومية التحررية الواضحة هي التي

([1]) ينظــر رأي المسعودي حول أسباب تمليك الغساسنة والمناذرة: التنبيه، ص 174؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 244.

([2]) هــيكل، الــصديق ابــو بكر، ص 207- 208، عن علاقات بكر بن وائل وتميم مع الفرس ينظر:

Posner, Op. Cit, p. 273.

([3]) ابــن عبد ربه، العقد الفريد، 2/ 4-6؛ ينظر ايضاً الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 239 وما بعدها.

([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 2/9.

([5]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 2/ 10.

جعلت الثعالبي يصف مدة حكمه بأنها ((اول ريح هبت للعرب وعنوان اقبالها))[1]، ذلـك لأن امـراء الحيرة في أواخر القرن السادس الميلادي بدأوا يشعرون بملامح الـضعف في الامبراطورية الساسانية إذاك ومنهم النعمان بن المنذر الذي بدأ يوثق صلاته بالقبائل العربية لاسيما بعد وفاة المنذر[2]، وقد تكون تلك التوجهات القومية هـي التي جعلت الباحثة الروسية بيغولفسكيا تقول أنه من خطل الرأي أن يظن ان عـرب الحيرة هؤلاء ((قد عاشوا تحت امرة الفرس ولمصلحة ايران))[3] وإنها هي السبب الارجح- على ما يبدو- وراء قتله من قبل كسرى ابرويز[4] (590- 628م) إلـى جانب اسباب أخرى[5] قد تعد ثانوية أو غطاء لستر النوايا الحقيقية للفرس من وراء اغتـياله، يوضح ذلك نص الكتاب الذي بعثه ابرويز لابنه أردشير الذي جاء فـيه ((أما ما زعمت من قتلي النعمان بن المنذر وازالتي الملك عن آل عمرو بن عدي إلى إياس ابن قبيصة، فإن النعمان واهل بيته واطؤا العرب))[6] تلك الجريمة التي كانت السبب الرئيس وراء معركة ذي قار التي جاءت لتحقق أول نصر حقيقي للعـرب على اعدائهم الفرس، يوم غضبت لمقتله قبيلة بكر بن وائل وجعلت ((تغير

([1]) غرر السير، ص 555.

([2]) كستر، الحيرة، ص 41- 42.

([3]) العـرب علـى حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان، (الكويت 1985م)، ص 81.

([4]) حمزة الاصفهاني، تاريخ سني، ص 53.

([5]) ذكر الاخباريون عدة اسباب لمقتله منها: غضب ابرويز لاعتقال ومن ثم اغتيال النعمان لاحد تـراجمته الـذي يدعى عدي بن زيد. ينظر: الاصمعي، نهاية الأرب، ورقة 247؛ الطبري، تاريخ، 2/ 193 وما بعدها. وقيل امتناع النعمان من تزويج ابرويز إحدى نساء العائلة المالكة الحيـرية. ينظر: الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 248- 249؛ الطبري، تاريخ، 2/ 193 وما بعدها؛ الاصفهاني، الاغاني، 2/ 124- 125.

([6]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 109- 110.

على السواد))[1] وبنو عجل الذين وصلوا بغاراتهم إلى القادسية وطيزناباذ[2] بقيادة كبير بن عائذ العجلي[3].

وبعض النظر عن تفاصيل المعركة واحداثها[4]، فإن ما يعنينا هنا هو متابعة التوجهات القومية لابناء القبائل العربية التي شاركت في المعركة وعلى رأسهم بنو شيبان الذين اتصلوا بباقي قبائل العرب من بكر بن وائل[5] بعد أن صارت الحرب مـــع الفــرس أمــراً محتماً. فوفد اناس من عبد القيس وحنيفة وغيرهم من اليمامة والبحرين[6] وعبس وتميم[7] كما وتناسى ابناء تميم عدائهم السابق مع بكر بن وائل معبرين عن تلاحم العرب جميعاً لردع عدوهم المشترك حين طلب اسرى منهم لدى بكــر بــن وائل المشاركة معهم في قتال الفرس وقالوا: ((نقاتل معكم فإنا نذب عن أنفــسنا))[8] وانسلت إياد من جيش الفرس ناكلةً من الاحقاد والضغائن السالفة لتقف مــع ابــناء عمومتها من بكر ضد المحتل الفارسي[9]، ولم تكن إياد وحدها في هذا الموقف بل أن القبائل المنهزمة كطيء وبهراء التي كانت قد تجحفلت مع الفرس في بداية الامر بدافع من احقادها القبلية تجاه بكر بن وائل، أخذت تراسل بكر بعد ليلة مــن المعــركة لكــي يعتزلوا الحرب فلا يركنون لا لهم ولا عليهم أو ينهزموا إذا

([1]) الاصفهاني، الاغاني، 24/ 54.

([2]) طيــزناباذ: موضـــع بــين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج بينها وبين القادسية ميل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 4/ 55.

([3]) الاصفهاني، الاغاني، 24/ 56.

([4]) عن تفاصيل المعركة ينظر: الاصفهاني، الاغاني، 24/ 53 وما بعدها؛ العبيدي، بنو شيبان، ص 143- 157.

([5]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 263.

([6]) المسعودي، التنبيه، ص 224.

([7]) ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق1، ص 180.

([8]) الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 252؛ ابو عبيدة، نقائض جرير، 2/ 647.

([9]) أبو عبيدة، نقائض جرير، 2/ 642، 644؛ الطبري، تاريخ، 2/ 208- 209.

التحمت العرب بالعجم، وقد انهزموا بالفعل وخذلوا جيش الفرس بذلك مما ادى هذا إلى هزيمته أمام جموع العرب[1].

وعبـر شعراء العرب عن استنكار قبائلهم ورفضها للتسلط الساساني المقيت واسـتعبادهم للعـرب، فهذا الأعشى الكبير الذي وجد بصمود شيبان ومن معها من العرب ورفضهم تسليم شبانهم رهائن لدى الفرس خير ما يعبر عمّا يجول في نفسه فقال[2]:

مـن مـبلغ كسرى إذا ما جاءه　　　عنـي مآلـك مخمـشات شُـرّدا
آلـيت لا نعطـيه مـن ابنائـنا　　　رهـناً فيفـسدهم كمن قد افسدوا
كـلا يمـين الله حتـى تنزلوا　　　مـن رأس شـاهقة الينا الاسودا
لنقاتلـنكم علـى مـا خَـيَّلتْ　　　ولـنجعلن لمـن بغـى وتمـردا
مـا بـين عانـة والفرات كأنما　　　حـشَ الغـواة بهـا حريقاً موقدا

ووصف الأعشى الكبير نية الفرس لاجتثاث العرب وانتقاصهم بقوله[3]:

أتانـا عـن بنـي الاحـرار　　　قـولُ لـم يكـن اممـا
ارادوا نحـت اثلتـنا　　　وكـنا نمـنع الحكمـا

وافتخر ابو كلبة التميمي بصنيع العرب في ذي قار وعبر عن الحس العربي الرافض للاحتلال بقوله[4]:

([1]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، 5/ 263.

([2]) الاعشى الكبير، ديوانه، ص 229- 231.

([3]) ابـو عبيدة نقائض جرير، 2/ 645؛ ينظر افتخار الاعشى الكبير بصنيعهم وتمني نفسه فداء لهم: الاصفهاني، الاغاني، 24/ 78.

([4]) ابو عبيدة، نقائض جرير، 2/ 646؛ الاصفهاني، الاغاني، 24/ 77.

لـولا فـوارس لاميلٌ ولا عـزل	مـن اللهـازم مـا قـضتم بذي قار
مـا زلـت مفترسـاً احـياء افتـية	تثيـر اعطافهـا مـنها بآثـار
إن الفـوارس مـن عجـل هم أنفوا	مـن ان يخلوا لكسرى عرصة الدار

ونمنى الأعشى لعظمة النصر في ذي قار أن يكون كل العرب من ابناء معد قد شاركوا في قتال الفرس ودحرهم لكيلا يفوتهم مثل هذا الشرف الكبير إذ قال:

لـو أن كـل معـدٍ كـان شاركنا	في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف[1]

ولأهمـية النصر في ذي قار يروى أن العذارى النصرانيات العربيات صُمنَ شـكراً لله تعالـى على نصره العرب على الفرس ويقال ان صوم العذارى نشأ من هناك[2].

ونظراً لتأصل حالة العداء والكره في نفوس العرب تجاه الفرس المحتلين فإن المـصادر التاريخـية العربية تجمع على أن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وصـف نصر العرب في ذي قار بأنه ((أول يوم انتصف به العرب من العجم وبي نـصروا))[3]، وقد اختلفت المصادر اختلافاً واضحاً في تحديد الزمن الحقيقي لهذه الوقعة إلا أن هناك من الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع بالتفصيل من

([1]) الأعشى الكبير، ديوانه، ص 311؛ الاصفهاني، الأغاني، 24/ 80.

([2]) البيرونـي، ابـو الـريحان محمد بن احمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، لايبزك، نسخة مسحوبة بالاوفسيت، ص 314؛ غنيمة، الحيرة، ص 129.

([3]) ينظر: ابو عبيدة، نقائض جرير، 2/ 640؛ ابن حبيب، المحبر، ص 360؛ اليعقوبي، تاريخ، 1/ 188؛ الطبـري، تـاريخ، 2/ 207؛ المـسعودي، مروج الذهب، 1/ 278؛ الاصفهاني، الأغاني، 24/ 76. وبنفس المعنى ينظر: ابن سعد، الطبقات، 7/77، لم اعثر على هذا الحديث في كتب الحديث الصحاح

جلعت تاريخ حدوثها في مطلع البعثة النبوية الشريفة، أي في حدود سنة 610م[1]. وسواء أكانت وقعة ذي قار قبل الهجرة النبوية أو بعدها فإن الذي نود الإشارة اليه أن بعض المصادر التاريخية قد ذكرت ان عدداً من رجالات بني شيبان كانوا قد عاهدوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ان يؤمنوا بالله تعالى وبرسالة نبيه (صلى الله عليه وسلم) إن كتب لهم النصر على العجم في لقاء سابق لهم معه (صلى الله عليه وسلم)[2]، بل أن البعض الآخر اشار إلى أن شعارهم في تلك الوقعة كان (يا محمد يا محمد يا منصور) وقبل أن يؤمنوا[3]، ولا ريب فإن هذه الروايات ومثلها على ما يبدو من اصطناع الرواة في فترة لاحقة اضفاءً لشيء من القدسية على انتصار العرب آنذاك. لاسيما وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)- إذا ما سلمنا بالتاريخ المذكور اعلاه- كان في تلك المرحلة يسعى إلى ايجاد من يسمع دعوته ويستجب لها وكذلك يعمل على ايجاد مكانٍ آمن لاتباعه من المسلمين الأوائل للتخلص من أذى مشركي قريش ولكي يتمكنوا من دعوة الناس إلى الإسلام بعدئذ، كما إن بني شيبان، بل بكر بن وائل لو كانت تتوقع حرباً مع الفرس بمستوى يوم ذي قار لسعت إلى تحسين علاقاتها مع القبائل العربية الأخرى المجاورة لها والمشاركة لها بنفس المصير ونبذت عداءاتها القبلية معها حتى يزول الخطر المشترك، بدل التوجه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والاستنصار به في مكة- ان صح التعبير- واذا كان قد حصل لقاء من هذا القبيل فإنه قد يكون بعد الهجرة النبوية وفي السنة التي جاءت بها الوفود إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤكد ذلك ما رواه السمعاني عن ابن عباس من ان وفداً من بني شيبان كانوا

([1]) العبيدي، بنو شيبان، ص 156- 157؛ الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص240.

([2]) الأصفهاني، الاغاني، 24/ 76؛ المسعودي، التنبيه، ص 224؛ Rodnison, Op. Cit, p. 273.

([3]) الأصمعي، نهاية الارب، ورقة 250.

قد التقوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبحضرة ابي بكر وعلي وكان بضمنهم المثنى بن حارثة الشيباني[1].

إن كل تلك المواقف القومية العربية الرافضة للاحتلال الاجنبي كان لها اكبر الأثـــر فـــي التمهـــيد للفتوحات الإسلامية لاسيما إذا علمنا ان غارات ابناء القبائل العربية على حدود السواد لم تنقطع إلى قبيل وصول طلائع الفتح مشارف العراق- كما سنرى لاحقاً-.

مساهمة القبائل العربية في الفتوح وموقف الخلافة منها

تعــد الدوافع القومية (الحمية والغيرة العربية) واحدة من التعليلات الرئيسية التـــي أدت إلى انطلاق الفتوحات الإسلامية وقد حظيت بنصيب وافر من الدراسات الحديـــثة الإسلامية والاستشراقية، فقد عدّها بعض المؤرخين المحدثين الدافع الأول وراء الانـــسياح العربـــي الإسلامي بسبب ((نضوج قومية العرب وارتفاع روحهم المعـــنوية بعـــد اســـترجاع وحدتهم التي هددتها حركة الردة))[2] ورأى آخرون ان المـــسلمين كانـــوا مدفوعـــين بعامل قومي وأن الفوز الأول كان للقومية العربية لا للإســـلام، وقـــد علل صاحب هذا الرأي ذلك بسبب تأخر السواد الأعظم من سكان ســـورية والعـــراق في الدخول إلى الإسلام إذ أنهم ظلوا على عقائدهم حتى القرن الثانـــي والثالث الهجري[3]، واذا كانت هذه الاراء قد ظهرت في حقبة شاعت فيها

([1]) السمعاني، ابو سعيد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، (بيروت 1988م)، 1/ 39.

([2]) ســالم، عبدالعزيز، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، ص 465، 462؛ سرور، الدولة العربية، ص 34؛ ماجــد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية، مط الرسالة، (مصر 1959م)، 166- 168.

([3]) حتي، تاريخ العرب المطول، 1/ 197.

الافكـــار القومية في البلاد العربية[1]- وعلينا التعامل معها بحذر بغية عدم تضخيم هذه الدوافع وجعلها تطغى على الهدف الأسمى للخلافة هو نشر الإسلام بين الناس- إلا أنهـــا بـــلا شك لا تخلو من الصحة فقد حققت القومية العربية أعظم انتصار لها بجمـــع كلمتها بفضل الإسلام وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) نبه إلى هذا الأمـــر منذ الأيام الأولى للدعوة، ففي لقائه مع سادة قريش بحضرة عمه ابي طالب قال (صلى الله عليه وسلم): ((ياعم إني أريدهم على كلمةٍ واحدة يقولونها تدين لهم العـــرب وتؤدي لهم العجم الجزية))[2] وبذا يكون المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قد أدرك النتائج الوحدوية المستقبلية على العرب في ظل الإسلام ونبه عليها، ومن بعد ذلك ابلاغ الإسلام من خلالهم إلى سائر الأمم الأخرى.

لـــذا فإننا نراه (صلى الله عليه وسلم) كان حريصاً أشد الحرص على دخول العـــرب في مختلف انحاء الأرض العربية في الإسلام[3]، وايضاً تأكيد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيما بعد على وجوب أن يكون عرب الجزيرة جميعاً مـــسلمين اســـتناداً لقـــوله (صلى الله عليه وسلم): ((اخرجوا المشركين من جزيرة العـــرب))[4] لكـــيما يعـــز بهم الدين ويصل من خلالهم وبهم إلى الأمم والشعوب الأخرى بوصفه رسالة إلى الإنسانية جمعاء.

أما في العصر الراشدي فإن ظروف قيام الدولة العربية الإسلامية وأستكمالاً لوضعها الطبيعي كانت تملي على الخلافة ان تستكمل وحدتها بجمع القبائل العربية

([1]) ينظـــر: كمـــال، احمد عادل، فتوح الشرق بعد القادسية، ط1، دار الفكر، (بيروت 1974م)، ص369.

([2]) الطبـــري، تاريخ، 2/ 325؛ ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط3، دار الرائد العربي، (بيروت 1987م)، 2/ 123- 124.

([3]) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 1/ 216- 127، 258 وما بعدها.

([4]) البخاري، الصحيح، دار الجيل، (بيروت بلا ت)، 4/ 121.

تحت السيادة الإسلامية[1]، علماً أن تلك القبائل لم تكن يوماً ما بعيدة عن أحداث قلب الجزيرة العربية وبالعكس كإسلام بعض العرب بالشام سرّاً منذ مدة مبكرة من عمر الإسلام[2]، أو كمحاولة الفرس زعزعة إسلام وتوحد القبائل العربية في مناطق شرق الجزيرة اثناء خلافة ابي بكر (رضي الله عنه)[3].

وادراكاً من الخلافة الراشدة لحالة التوثب القومي التي عمت أرض العرب في العراق والشام آنذاك لاسيما بعد انتصار العرب في ذي قار وتنامي الخلافات المذهبية بين العرب والروم البيزنطيين والمعبرة عن الحس العربي الصارخ بوجه المحتل وبروز بعض الاصوات الرافضة للاجنبي حتى في قلب الجزيرة العربية[4]،لهذا سعت إلى الإفادة من كل تلك الأمور خدمة لنشر الإسلام أولاً وتحقيقاً لنبوءة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في اجتماع كلمة العرب وتوحدهم إذا ما انظووا تحت راية الإسلام ثانياً، ويمكن ان نلمس ذلك في وصية الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) لخالد بن الوليد حين وجهه من اليمامة إلى العراق سنة 12هـ/ 623م والتي جاء فيها ((أقدم العراق فإن به رجالاً من المسلمين يقاتلون الاعاجم هذا الحي من ربيعة وهم أهل بأس وعدد فإذا أنت قدمت عليهم صلت بهم على عدوك من المشركين"[5] وكذلك اشارته إلى ضرورة اتمام وحدة العرب تحت راية

([1]) الشريف، دور الحجاز، ص 165- 166.

([2]) ابن سعد، الطبقات، 1/ 338- 339؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الادب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر بلا ت)، 18/ 198.

([3]) ينظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة.

([4]) ينظر موقف الاسود العنسي من الفرس (الانباء) في اليمن: ابن حبيب، ابو جعفر محمد، اسماء المغتالين من الاشراف والشعراء في الجاهلية والإسلام، نوادر المخطوطات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مط لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1954م)، المجموعة السادسة، ص 151.

([5]) الأزدي، فتوح الشام، ص 56.

الإسلام بعد القضاء على الردة كما يفهم من نص أول خطبة له لما عزم على إرسال المسلمين نحو الشام[1].

إن اعتماد القضية القومية (استنهاض الحمية العربية) كوسيلة- من قبل الخلافة- تتمكن من خلالها تيسير عمليات الفتح العربي الإسلامي للأراضي العربية الواقعة تحت السيطرة الأجنبية على ما يبدو يعود إلى الترابط والتلازم ما بين العروبة والإسلام أيام الفتوحات الإسلامية والتي استمرت إلى العصر الأموي[2]، واللتين لا يمكن فصلهما عن بعض أو تناول احداهما بمعزل عن الأخرى لأن ذلك قد يؤدي إلى تعارضهما واختلافهما، بل اعتبارهما حالة متكاملة وواحدة تدعم الأخرى وهو ما جعل بعض الباحثين يعتقد بأن سر النجاح الكبير للفتوحات الإسلامية يكمن في تعاون العروبة والإسلام وتوحدهما معاً[3]، ويعود إلى تفهم الخلافة لحالة الامتعاض والكره العربي للمحتل الأجنبي.

وتناولت المصادر مسألة توافق الحس القومي (الحمية العربية) بين الخلافة وابناء القبائل العربية مطلع الفتوح باهتمام ملحوظ، فقد ذكر الواقدي أنه ((كان في بلاد فارس رجل من أهل الإيمان يقال له المثنى بن حارثة وكان حوله رجال أصحاب قوة وكانوا يقاتلون في أطراف بلاد فارس))[4] ورغم عدم ذكره سند هذه الرواية- وهو أمر قد يضعفها من الناحية العلمية- إلا أنها تعكس حالة التواصل في

([1]) قال الصديق (رضي الله عنه): (فله الحمد كثيراً على ما اصطنع من جمع كلمتكم واصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان... فالعرب اليوم أمة واحدة بنو أب وأم وقد اردت ان استنفركم إلى الروم بالشام). الواقدي، فتوح الشام، ص 56، بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 132.

([2]) يذكر أن الكثير من أهل خراسان دخلوا الإسلام سنة 110هـ/ 728م مما أدى إلى إنكسار الخراج بإسلامهم فكتب الدهاقين إلى اشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان ((ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً؟))؛ الطبري، تاريخ، 7/ 55.

(3) Gabrieli, Op. Cit, p. 113.

([4]) فتوح الإسلام، ص3.

صــــراع العـــرب ضد المحتل الفارسي الذي قوي وتعزز بإسلام هذه الثلة من ابناء بكـــر بن وائل، وقد أكد هذه الرواية ابن اعثم (ت 314هـ) في معرض حديثه عن اســـتيطان قـــبائل ربيعة بسواد العراق وطبيعة علاقاتها مع الفرس بقوله: ((ثم ان الفـــرس جعلـــت تتعدى على العرب وتؤذيهم غاية الأذى لسبب الملك أنه فيهم فلم يـــزالوا كذلك حتى وقعت بينهم الشقاوة والشحناء فجعل المثنى بن حارثة الشيباني يغيـــر على اساورة.. بناحية الكوفة سوادها ويؤذيهم غاية الأذى وهو يومئذ متمسك بدين الإسلام))[1].

كان لعظمة الانتصارات الإسلامية المتحققة فيما بعد ولدور عرب العراق في الفتوح اكبر الأثر على سياق الروايات التاريخية من قبل الرواة الذين ربما اظهروا مـــيولاً قبلية واضحة جعلت البعض منهم يصور الفتوح الإسلامية وكأنها استمراراً للغـــزوات السابقة على الفرس وأن الخلافة لم تكن لتتجه قِبَلَ العراق لولا تنبيه هذه القَـــبائل، وهو الأمر الذي ربما دفع بعض المستشرقين إلى عدّ الفتوحات الإسلامية غزوات قبلية قصدها السلب والنهب[2] تواصلاً مع غارات العرب السابقة.

فـــالازدي[3] (ت 168هـ) والبلاذري[4] (ت 279هـ) يذكران رواية واحدة مـــصدرها الأول رجـــل من بكر بن وائل[5]- رغم الاختلاف الملحوظ في متنها- تشير إلى أن الخلافة الراشدة لم تكن لتوجه الجند نحو العراق لو لا تنبيه المثنى بن حارثـــة وبنـــي شـــيبان الـــذين وصلت اخبار انتصاراتهم على الفرس إلى المدينة المـــنورة، ورغـــم عـــدم اختلافـــنا مع ما ذكر من قتال المثنى وبني شيبان للفرس وعلاقاتهم العدائية معهم، إلا ان هذه الروايات على ما يبدو هي من اصطناع الرواة

([1]) الفتوح، 1/ 88- 89.

([2]) ينظر: لويس، العرب في التاريخ، ص72؛ Rodinson Op. Cit, p. 273-264. Gabrieli, Op. Cit, p. 107, 108,110.

([3]) فتوح الشام، ص 53.

([4]) فتوح البلدان ص 337.

([5]) الطبري، تاريخ، 344/4 ، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ورقة 34.

فـيما بعد املا في اضفاء شيء من التعظيم على شخصية المثنى لاسيما بعد الدور المـشهود لـه في فتوحات العراق أو رغبة في نسبة شرف فتح العراق ومن بعده المـشرق إلى قبيلة معينة، سيما وأن الراوية- كما اشرت- رجل من بكر بن وائل قبيلة المثنى، ومما يؤكد أن هذه الروايات مصطنعة هو ان المثنى وقومه لم يكونوا غـرباء عـن الخلـيفة ابي بكر (رضي الله عنه) إذ سبق أن التقى برجال من بني شـيبان ومـنهم المثنى بحضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومنذ مدة ليست بالبعـيدة علـى مـا روى ذلك ابن عباس (ت 68هـ) [1] ومما يؤكد ذلك ما رواه الـواقدي مـن أن الخليفة عمر بن الخطاب خاطب المثنى لما التقوا فيما بعد قائلاً: ((لقد كنت اسمع اخبارك وكنت اشتهي أن أراك))[2] كما وأن المثنى وبني شيبان لم يكونـوا هـم وحـدهم في مواجهة الفرس فقد كان قطبة بن قتادة السدوسي وقومه يغيـرون على الفرس بالسواد من ناحية البصرة[3] وكذلك مذعور بن عدي العجلي وقومه[4].

يمكن القول أن انطلاق الفتوح نحو جبهة العراق هو قرار الخلافة وحدها وقد جرى ضمن خطة محكمة ومعدة لهذا الشأن، واذا كانت غارات العرب على حدود الـسواد قـد تزامنت مع استئناف الفتوحات فإن ذلك يجب ألا يجعلنا ننساق وراء اهـواء الرواة وميولهم، يؤكد ما تقدم ما رواه سيف بن عمر من أن المثنى كان من جملة القبائل التي تصدت للمرتدين في البحرين[5] وأن ردة البحرين كانت بعد ردة

([1]) السمعاني، الانساب، 1/ 37- 41.

([2]) فتوح الإسلام، ص4.

([3]) ابـن اعـثم، الفتوح، 1/ 89- 90 ذكر البلاذري انه سويد بنا قتادة السدوس، فتوح البلدان، ص337. ينظر: العسكري، الاوائل، ص191؛ العلي، التنظيمات الاجتماعية، ص 34- 36.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 337.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 310.

اليمامة- كما هو معلوم-[1] وأن خروج خالد بن الوليد وجنده إلى العراق كان بعد قضائه على ردة اليمامة مباشرة[2]، ومما يعزز القول بأن انطلاق الفتوح هو قرار الخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) وأنه جرى وفق خطة معدة من قبله وموجهة إلى جنده الذاهبين إلى هناك، ثلاث روايات عن الشعبي[3] والمغيرة بن عتيبة[4] وصالح بن كيسان[5] وهم ثقاة اثنان منهما كوفيان[6].

وفضلاً عن هذا كله فإن ما بدى من مظاهر التحدي الساساني للدولة العربية الإسلامية خلال مؤازرة الفرس للمرتدين في الأقسام الشرقية من جزيرة العرب وتأجيجهم حالة الردة هناك كل ذلك دعا الخليفة أبا بكر (رضي الله عنه) رغم اهتمام الدولة العربية الإسلامية بجبهة الشام السابق للعراق تأريخياً، إلى انفاذ الجنود نحو العراق[7] مما يؤكد كل ذلك ما ذهبنا اليه.

أن موقف المثنى ومذعور بن عدي وقطبة بن قتادة ومن معهم من قومهم يمثل دون شك توحد العرب ضد المحتل إضافة إلى اعتبار المسلمين جميعاً في قلب الجزيرة أو على التخوم الفارسية شيءً واحداً وأن جهودهم هذه تعد فرصة سانحة للدولة العربية الإسلامية لأجل الحاق الضرر بالفرس واضعاف دولتهم التي لم

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 302.

([2]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص 56؛ الطبري، تاريخ، 3/ 343- 344، 346.

([3]) الطبري، تاريخ ، 3/ 343، 346.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 347.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 343.

([6]) الشعبي، عامر بن شراحيل رواية من التابعين من رجال الحديث الثقات استقضاه عمر بن عبد العزيز وكان فقيهاً شاعراً. ينظر الزركلي، الاعلام، 3/ 251؛ المغيرة بن عتيبه: كان فقيهاً عمل قاضياً لأهل الكوفة. الطبري، تاريخ، 3/ 348؛ صالح بن كيسان: مؤدب ابناء عمر بن عبد العزيز كان من فقهاء المدينة الجامعين بين الحديث والفقه وهو احد الثقات في رواية الحديث، الزركلي، المصدر السابق، 3/ 195.

([7]) ينظر الفصل الرابع من هذه الرسالة.

تخف مشاعر البغض للإسلام منذ ايام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما بعدها[1].

توجه المسلمون لتحرير العراق في السنة الثانية عشرة للهجرة ويظهر ان تلاحم القسم الاكبر من عربه مع المسلمين من ابناء عمومتهم- طيلة ايام الفتوحات- لأجل الخلاص من الأجنبي وتطهير الأرض العربية من الشرك من جهة وما قد يكنه بعض الرواة من أهواء لصالح قبائلهم من جهةٍ أخرى سبباً في إيراد بعض الروايات التي يشير مضمونها إلى ما ذكرنا ولكنها لا تخلو من تلك الميول، فقد وردت رواية اشارت إلى تحرير خالد بن الوليد لمنطقة البصرة وتعاون سويد بن قتادة الذهلي- أو قطبة في رواية اخرى- من بكر بن وائل وجماعة من قومه مع المسلمين وإنه ابلغ خالد قائلاً: ((إن أهل الأبلة قد جمعوا لي ولا أحسبهم امتنعوا مني إلا لمكانك))[2] وأن هذا النص يثبت ما قلنا لأن فيه محاولة للربط بين قتال الذهليين للفرس ومسير المسلمين إلى العراق، وروي ايضاً أن خالد لقي في مقدمة العراق كل ترحيب من قبل معظم أهله رغم اختلافهم في الدين فقد رحب به الحر بن بحيرا وهو نصراني حال مخرجه من البصرة إلى النباج بقوله ((قدمت خير مقدم، يعظم الله لك المغنم ويظهرك على العجم))[3].

إن مناقشة موضوعية لمتن كلتي الروايتين ومطابقتهما بالحقائق التاريخية يؤكد انهما من اختلاق الرواة ولكنها في الوقت عينه تعطي مؤشراً على ذلك التلاحم العربي الأسلامي، فأما الأولى فإن الطبري قد أنكر رواية عن سيف بن عمر[4] تتحدث عن نفس تلك القصة التي رواها البلاذري وقال: "هذه القصة خلاف

([1]) ينظر الفصل الرابع من هذه الرسالة.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 377- 338؛ ينظر الطبري، تاريخ، 347- 350؛ قدامة ابن جعفر، الخراج، ص 354.

([3]) الأزدي، فتوح الشام، ص 59.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 347- 350.

ما يعرفه اهل السير وخلاف ما جاءت به الاثار الصحاح، وإنما كان فتح الابلة ايام عمـر رحمـه الله وعلـى يد عتبة بن غزوان سنة اربع عشرة للهجرة))[1]، وأما الـرواية الثانـية فإنها تبدو من اختلاق الرواة أيضاً استناداً لما رواه الطبري وبقية المـصادر التاريخـية، أن البصرة تحررت اراضيها ومصرت في خلافة الفاروق (رضي الله عنه) [2].

عموماً فليس القصد مما تقدم إنكار المواقف القومية والجهادية لعرب العراق تجـاه ابناء عمومتهم من المسلمين، ولكن عرض الأحداث التاريخية عرضاً منطقياً متسلسلاً بعيداً عن الميول وتجنباً للمغالطات التي طرأت على هذه الروايات من قبل بعـض الرواة، ربما بسبب ازدحام الاحداث وتداخلها أو الهوى القبلي الرامي إلى نسبة الفضل والشرف في فتح وتحرير الارض وايصال الإسلام إلى الأمم الأخرى في المشرق إلى فئة معينة على حساب الحقائق التاريخية.

ابدت الحاميات الفارسية وبعض القبائل العربية عند وصول المسلمين العراق مقاومـة تـتفاوت في قوتها بين منطقة واخرى[3] والظاهر ان تلك القبائل لم تفهم النوايا الحقيقية للمسلمين بادئ الامر، أو انها ربما عدت قدومهم نوعاً من الحروب القبلية السابقة بين قبائل العرب، لاسيما وأن المثنى وقومه من بني شيبان كانوا إلى جانـب المسلمين بعد وصولهم العراق، ألا أن تلك المقاومة لم تحل دون وصولهم الحيـرة التي أبدى سكانها من جهتهم نوعاً من المقاومة دفعت القائد خالد بن الوليد علـى مـا يظهـر إلـى استنهاض الحمية العربية لديهم لأجل ضمان وقوفهم معه والاقلاع عن مقاومة المسلمين وأظهر حرصه على دخولهم الإسلام إذ ندبهم قائلاً: ((ويحكـم ما أنتم عرب؟ فما تنقمون من العرب أو عجم؟ فما تنقمون من الانصاف

([1]) تاريخ، 3/ 350.

([2]) الطبـري، تاريخ، 3/ 590 وما بعدها؛ العسكري، الأوائل، ص 191؛ ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة البصرة.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 345، 353، 355.

والعـــدل؟ فقال له عدي: بل عرب عاربة واخرى متعربة فقال: لو كنتم كما تقولون لـــم تحادونا وتكرهوا أمرنا فقال له عدي: ليدلك على ما نقول انه ليس لنا لسان إلا بالعـــربية))[1]، وقد آتت دعوات خالد بن الوليد القومية هذه أُكلها حين قبلوا الصلح معـــه على أن يكونوا عيوناً للعرب المسلمين وعوناً لهم على الفرس كما يذكر ذلك ابن اسحاق وابن الكلبي والواقدي وابو محنف[2].

إن مـــصالحة عرب الحيرة للمسلمين وما سبقه من صلح لهم مع عرب أُليس الـــذين رضـــوا أن يكونـــوا عيوناً للمسلمين على الفرس وادلاء وعوناً[3] واشتراك بعض العرب في نقل اخبار الفتح الإسلامي بين جبهات العراق والمدينة المنورة[4]، كلهـــا مؤشرات على الادراك التدريجي لعرب العراق للابعاد القومية التحررية من مسير المسلمين وتعاونهم معهم، وتأكد ذلك عندما أخذوا يبادرون بمساعدة إخوانهم المـــسلمين طـــوعاً كما فعل أهل بانقيا[5] الذين عقدوا الجسر لابي عبيد وجنده سنة 13هـــ/ 634م عند لقائهم الفرس في وقعة الجسر[6]، وارشاد احد ابناء العرب في

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 361. لما قبلوا الجزية خاطبهم خالد قائلاً: ((تباً لكم ويحكم إن الكفر فلاة مظلـــة فأحمـــق العـــرب مـــن سلكها فلقيه دليلان: احدهما عربي فتركه واستدل الاعجمي))، الطبري، تاريخ، 3/ 362.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 339- 340.

([3]) الـــبلاذري، فـــتوح البلدان، ص 339؛ ينظر كذلك: ابو يوسف، الخراج، ص 28؛ ابن آدم، الخراج، ص 35؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 14.

([4]) كمـــا هـــو الحال مع احد ابناء قبيلة عجل العربية الذي نال اعجاب الخليفة ابي بكر وتكريمه لدقـــته وامانته في نقل اخبار انتصار المسلمين في وقعة اليس 12هـــ، ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 357- 358.

([5]) بانقـــيا: ناحـــية مـــن نواحـــي الكوفة ورد ذكرها في الفتوح. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 331.

([6]) الـــبلاذري، فـــتوح البلدان، ص 351؛ الطبري، تاريخ، 3/ 456؛ ينظر: كذلك ابو يوسف، الخراج، ص 28؛ أبن آدم، الخراج، ص 35؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 1/ 14.

الحيــرة جـنـد المسلمين على اسواق الانبار وبغداد لاجل ضرب الفرس في اسباب قــوتهم[1] ومشاركة عرب الحيرة- مرة اخرى- المسلمين كأدلاء اثناء مسيرهم إلى عين التمر[2].

ومــع ذلك لم تخف بعض القبائل نزعتها العدائية للعرب المسلمين، كما فعل عقــة بن ابي عقة ومن اجتمع اليه في عين التمر من النمر واياد وتغلب[3]، والذي كان مدفوعاً بروح عصبية مقيته ربما أججها وجود بني شيبان ومن معهم من بكر بن وائل إلى جانب المسلمين اعدائهم في الجاهلية ومن مدة ليست بالبعيدة[4] إضافة إلـــى سياســة الفرس القائمة على ضرب العرب فيما بينهم، لأجل اضعافهم وكسر شوكتهم، التي اعلنها قائد الحامية الفارسية في عين التمر لجنده[5].

إلأ أن الفــرس ومــن معهم من اولئك العرب قد هزموا أمام المسلمين وأخذ المسلمون يتعقبون الفرس ومن تحالف معهم إلى مناطق أخرى مادين بذلك فتوحهم إلـــى تخـــوم الـــشام العــراق والجزيرة ليصطدموا بالفرس والروم إلى جانب من أعترضهم من بعض العرب[6].

أولـــى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند قيادته الأمة الإسلامية 13هـــ/ 634م اهتماماً كبيراً بالعرب وحرص حرصاً شديداً على كرامتهم جميعاً، وشـــاهد ذلـــك أن أول مـــا عمل به رد سبايا الردة العربية وقال: ((إني كرهت أن

---

(1) ينظر الفصل الثاني الدوافع الاقتصادية من هذه الرسالة.

(2) ابو يوسف، الخراج، ص 145.

(3) الطبري، تاريخ، 3/ 376؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 81.

(4) عــن دور بنو شيبان في حرب البسوس ينظر: (جاد المولى، المرجع السابق، ص 142 وما بعدها) وعن دورهم في ذي قار. ينظر: الصفحات السابقة من هذا الفصل، كذلك جاد المولى، المرجع نفسه، ص 6 وما بعدها.

(5) ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 376.

(6) الـــبلاذري، فــتوح الــبلدان، ص 152- 153؛ الطبــري، تاريخ، 3/ 379- 384؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/426- 428؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 82- 83.

يـــصير السبي سُنَةً على العرب))[1] ورد فيما بعد سبايا مناذر واعتبرها كقرية من قـــرى السواد[2] وللاسباب أعلاه امر بتحرير المسترقين من العرب وكان على بيت مـــال المـــسلمين دفـــع المبالغ اللازمة لتحريرهم[3] وايقن (رضي الله عنه) بالدور القـــيادي والمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق العرب في ايصال الإسلام إلى الأمم الاخرى لهذا وحرصاً منه أيضاً على تماسك ابناء الأمة جميعاً لكيلا تشق وحدتهم، ولـــتعاظم الاخطـــار الخارجـــية علـــى الإسلام مع إتساع الفتوح، سمح للمرتدين بالاشـــتراك فـــي الفـــتوحات الـــذي أقبلوا ((سراعاً من كل أوب فرمى بهم الشام والعـــراق))[4] بعد أن منعوا من المشاركة ايام الصديق (رضي الله عنه)[5]. وأبدوا بدورهم مواقف جهادية وقومية مشهودة أثناء الفتوح[6].

واوردت المـــصادر العديـــد من الاشارات التي تعكس اعتزاز الخليفة عمر (رضـــي الله عنه) بالعرب والعربية، فقد ذكر الطبري أنه كان يوصي عماله على الأمـــصار بالاهـــتمام بالعـــرب بـــشكل ملحوظ إلى جانب بقية المسلمين ((إني لم

([1]) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 129.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 433؛ ينظر كذلك: ابو عبيد، الاموال، ص 146، 152- 153، 197.

([3]) أبو عبيد،الاموال، ص 146- 147.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 448.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 447.

([6]) يـــؤكد ذلـــك موقف طليحة بن خويلد الأسدي الذي أوغل في جموع الفرس يوم نهاوند يجس أخـــبارهم حتى تأخر فلما عاد قال بعض المسلمين: ((ظننناك رغبت عن الإسلام وصرت على ديـــن الاعاجم)) فاجابهم بكلمات عكست غيرته على دينه وقوميته وعروبته بقوله: "والله لو لم يكـــن لـــي حـــسب ولا نسب ولا دين اعمد عليه ولا أنا من ابناء العرب ما كنت بالذي اختار هـــؤلاء الأعـــاجم علـــى العرب فكيف وقد هداني الله إلى الإسلام)). الواقدي، فتوح الإسلام، ص94؛ ينظـــر ايضاً: الطبري، تاريخ، 4/ 128. عن جهاده في فتح حلوان وخطبه الجهادية الحماسية ينظر: الواقدي، فتوح الإسلام، ص 59.

استعملكم على امة محمد (صلى الله عليه وسلم) على اشعارهم ولا على ابشارهم إنما استعملتكم عليهم لتقيموا الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ... ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها))[1]، وأبدى اهتماماً ملموساً بالأعراب سكان البوادي إيماناً منه بدورهم في رفد جبهات الفتح بالمقاتلين للذود عن الدين ((والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام))[2] وروى المدائني أنه (رضي الله عنه) أوصى قائلاً: ((تعلموا العربية فإنها تزيد المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مقطوعة قد وصلت بمعرفة نسبها))[3]، وكان لهذه التوجهات القومية أثر واضح في سير الفتوحات الإسلامية.

إن تحقيق المسلمين لعدد من الانتصارات على الفرس- كما يتبين- كان سبباً مهماً في إحداث تغير واضح في نظرة بعض ابناء القبائل العربية تجاه العرب المسلمين، معبرين عن توحدهم معهم ضد الفرس المحتلين، فهذا ابو زبيد الطائي- المنذر بن حرملة- الذي ((كان نصرانياً قدم الحيرة لبعض امره))[4] قاتل ((حمية للمسلمين))[5] يوم الجسر 12 هـ/ 633م، وكذا الحال بالنسبة لأنس بن هلال النمري الذي عبر بدوره عن تلك المشاعر القومية بوقفته إلى جانب المسلمين رغم نصرانيته في وقعة أليس 12هـ/ 633م إذ ((قدم ممداً للمثنى في اناس من النمر نصارى وجلاب جلبوا خيلاً))[6] وابن مردى الفهري التغلبي- عبد الله بن كليب بن خليد- الذي أنتخى ((في أناس من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً وقالوا

---

(1) الطبري، تاريخ، 4/ 204.

(2) البخاري، صحيح البخاري، 5/ 21؛ ابو عبيد، الاموال، ص 246، ط3.

(3) البلاذري، انساب، الشيخان، ص 199.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 352؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 89.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص 352.

(6) الطبري، تاريخ، 3/ 464؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 422؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 89.

حـــين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا))[1] إن هذه المواقف العربية- بلا شـــك- قــد أتحــدت مع صيحات المثنى- الذي يمثل بدوره الخلافة باعتباره قائد جيوشـــها حينذاك- الذي عمد إلى أنس بن هلال وابن مردى مستنهضاً إياهم بقوله ((يا أنس انك امرئ عربي وإن لم تكن على ديننا فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي وقال لابن مردى الفهري مثل ذلك فأجابه))[2] وقد أدى تعاضدهم جميعاً إلى هزيمة الفرس في تلك الوقعة.

اســتوعب المثنـــى ابعـــاد وآثار ذلك التغير الملموس لدى ابناء القبائل وما ســيؤدي اليه اتحادهم في ظل الإسلام مع ابناء جلدتهم المسلمين من هزيمة الفرس وتحريـــر الأرض من الشرك حين خطب الجميع محركاً فيهم الحمية للدين والأمة بعـــد هذا النصر قائلاً: ((قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام والله لمائة مـــن العجم في الجاهلية كانوا أشد عليّ من الف من العرب ولمائة اليوم من العرب أشـــد عليّ من الف من العجم، ان الله أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم فلا يروعنكم زهاء ترونه ولا سواد ولا قسى فُجٌّ ولا نبال طوال فإنهم إذا اعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت))[3].

وأتضح أثر اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالعرب القائم على حشد طاقات الأمة جميعاً في تحرير الأرض العربية وجعلها داراً للإسلام بعد أن كانـــت داراً للشرك، مع تعاظم الخطر الفارسي على المسلمين في العراق وعبر عـــن ذلك نص كتابه الذي بعثه إلى جنده هناك لما علم باجتماع الفرس لقتالهم قبيل القادســـية والذي جاء فيه: ((أما بعد، فاخرجوا من بين ظهري الاعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدودهم وحدود أرضكم ولا تدعوا في ربيعة أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه، فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه، احملوا العرب

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 464.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 466؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 443.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 467- 468.

علـــى الجـــد إذا جدّ العجم، فلتلقوا جدهم بجدكم))[1] وتوجيهه لسعد ابن ابي وقاص عند انفاذه إلى هناك بضرورة الاستعانة بمن مرّ به من العرب في طريقه من أهل النجدة والرأي والقوة[2].

وقـــد حققـــت دولـــة الإسلام بفضل عدالة قضيتها وسياسة الخليفة عمر بن الخطـــاب (رضي الله عنه) الحكيمة النصر في القادسية والتي عدّها المسلمون قيادة ومجاهـــدين معركتهم الكبرى ضد الفرس المحتلين ويوم العروبة كما يفهم من قول الفـــاروق (رضـــي الله عنه) يومها ((والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب))[3] وقول جرير بن عبد الله البجلي:

تلكـــم بجـــيلة قومي إن سألت بها ... قادوا الجياد وفضوا جمع مهران

وادركوا الوتر من كسرى ومشعره ... يـــوم العروبة وتر الحي شيان[4]

وابيات عبيد الله بن عمرو البجلي:

سل أهل ذي الكفر مهراناً وأسرته ... يـــوم البجـــيلة إذ خلـــوا عن القاع

واســـــلموا مهـــــران بـــــبلقعة ... يـــوم العروبة مطروحاً بجعجاع[5]

وكان لنصر القادسية الأثر الاكبر في تغير موقف العرب في العراق لصالح المسلمين، بعد أن كانت تلك القبائل لا تخلو نظرتها من الريبة والشك قبل هذا اليوم

([1]) الطبري، تاريخ، 3/ 478.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 485.

([3]) الطبـــري، تاريخ، 3/ 487؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 488 واصراره (رضي الله عـــنه) علـــى تحرير الأرض العربية جمعاء كما اوضح ذلك كتابه لسعد بن ابي وقاص اثناء المعـــركة ".. واعلموا ان لها ما بعدها فإن منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها ان شاء الله". الطبري، تاريخ، 3/ 492.

([4]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 59؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 274.

([5]) الواقدي، فتوح الإسلام، ص 65؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 278.

كما يفهم من رواية الطبري[1]، ولهذا نرى ابناء قبائل العرب في تكريت من تغلب وإياد والنمر تقف موقفاً مشرفاً- تدفعهم الحمية والغيرة العربية- مع المسلمين اثناء فـتح المدينة سنة 16هـ/ 637م معبرين عن تلاحم ابناء الامة جميعاً ضد المحتل الطامـــع أيـــاً كانت هويته، إذ صارت العيون من تغلب وإياد والنمر تأتي المسلمين وتـنقل أخـبار اعـدائهم لهـم وتظهر لهم مودة ابناء تلك القبائل في داخل المدينة وتـسألهم الـسلم لهم فامتحنهم المسلمون بعرض الإسلام عليهم ورجعوا إلى قومهم فطابقـوهم على الإسلام، ولما كبر المسلمون وجاءوا الروم من أمامهم كبرت تلك القـبائل مـن ورائهـم فظن الأعداء أنهم قد أحيط بهم فأضطرب امرهم واهتزت صفوفهم وحلت بهم الهزيمة[2].

ومن المصادر ما أشار إلى أن (ماروثا) بطريق تكريت المنوفستي (اليعقوبي) كـان قـد فـتح حصن المدينة للمسلمين وحال بذلك دون هروب الحامية الرومية ووقـوعها بقبـضة المسلمين[3]، واذا كان هذا التصرف من ماروثا نابعاً من حقده وعدائـه للبيـزنطيين بـسبب الخلافات المذهبية معهم[4] فإنه في الوقت نفسه يؤكد رغـبة العرب الجادة في الخلاص من الأجنبي وهو ما أكدته الأحداث اللاحقة، إذ وقفـت تلـك القبائل (تغلب، إياد، النمر) مع المسلمين وساعدتهم في فتح الموصل وتحريـرها بعد فتح تكريت مباشرة[5]، وهي ذات الأسباب التي جعلت تغلب ومن معهـا مـن عرب الجزيرة الفراتية ((مسلمهم وكافرهم)) يقفون مع الوليد ابن عقبة

---

(1) تاريخ، 3/ 3/ 582.

(2) للتفاصـيل ينظر: الطبري، تاريخ، 4/ 36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 72؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 107. Posner, Op. Cit,

(3) Posner, Ibid, p. 320.

(4) اشـار (posner) إلى أن المذهب اليعقوبي المنوفستي كان قد انتشر إلى الجنوب والشرق من جبل سنجار حتى شمال تكريت التي تتصل بهذه المناطق عن طريق الحضر

Ibid, pp. 323- 328

(5) الطبري، تاريخ، 4/ 36- 37.

اثـــناء فتحه اقليم الجزيرة في السنة عينها[1] كما ودفعت تلك الأسباب بني العم بن مالــك للوقــوف مـــع المسلمين خلال فتح مناطق الأهواز ومناذر ونهر تيري سنة 17هـ/ 638م[2].

ومما يعزز ما ذكرناه هو موقف زعماء قبائل العرب بالسواد الذين خاطبوا الخلـيفة عمر (رضي الله عنه) حين قدموا عليه بما ينم عن الشعور بالغيرة القومية والرغبة في الخلاص من المحتل بقولهم: ((يا أمير المؤمنين إنا قوم من أهل السواد وكان أهل فارس قد ظهروا علينا واضروا بنا ففعلوا وفعلوا حتى ذكروا النساء فلما ســمعنا بكــم فرحنا بكم واعجبنا ذلك فلم نرد كفكم عن شيء حتى اخرجتموهم عنّا فبلغــنا إنكم تريدون ان تسترقونا))[3] فلم يقبل الخليفة (رضي الله عنه) باسترقاقهم وفرض عليهم الجزية إن لم يسلموا[4].

إن هذا الأجراء نابع من حرصه الشديد (رضي الله عنه) على كرامة العرب كمـــا ذكر سابقاً وقناعته بضرورة توحدهم للانطلاق بهم ومن خلالهم لنشر الإسلام فـــي الأمـــم الأخـــرى يثبت ذلك محاورته مع الهرمزان الذي أعطى تفسيراً غيبياً لخـــسارة الفرس أمام المسلمين لم يأخذ به الخليفة عمر (رضي الله عنه) بل اعتبر سبب تلك الهزيمة هو توحد العرب واجتماع كلمتهم في ظل الإسلام[5].

---

(1) الطبري، تاريخ، 4/ 54؛ النويري، نهاية الأرب، 19/ 175؛ ينظر كذلك عن بعض المواقف القومية لعرب الجزيرة تجاه المسلمين؛ الواقدي، فتوح الشام، 2/ 107، 165.

(2) الطبـــري، تـــاريخ، 4/ 72- 74؛ ابـــن الاثير، الكامل في التاريخ، 2/ 542 وما بعدها؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص107.

(3) ابـــن آدم، الخـــراج، ص 33- 34؛ ابو عبيد، الأموال، ص 152؛ ابن رجب الحنبلي، ابي الفـــرج عبد الرحمن بن احمد، الاستخراج لاحكام الخراج، صححه وعلق عليه السيد عبد الله الصديق، ط1، مط الإسلامية بالأزهر، (مصر 1934م)، ص 10.

(4) ابـــن آدم، الخـــراج، ص ص 33- 34؛ ابو عبيد، الأموال، ص 152؛ ابن رجب الحنبلي، الاستخراج، ص 10.

(5) الطبري، تاريخ، 4/ 87- 88؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 537.

كانت الروح القومية العربية القائمة على تحرير الارض وضمها إلى حضيرة الإســـلام- اضافة إلى بقية دوافع الفتوحات الاخرى- سبباً لا ينكر في التوجه نحو الــشام، كما يفهم من أول خطبة للخليفة ابي بكر عند ارسال المقاتلة المسلمين إلى هــناك، ومن إصرار جند الإسلام على تحرير أرض الشام بأجمعها كما أعلن ذلك معــاذ بن جبل- لسان حال المسلمين وقتذاك- لرسول الروم الذي عرض عليه أخذ ســواد البلقاء على أن يعودوا من حيث أتوا[1]، ورغبة بعض الصحابة في مشاركة جميع أبناء القبائل العربية من مضر وربيعة في فتح وتحرير الشام[2].

لم يكن الأمر هناك ليختلف كثيراً عمّا كان عليه في العراق والتخوم الشرقية، فقد أوردت المصادر ما يشير إلى إسلام بعض العرب بالشام وقبولهم دعوة رسول الله (صـــلى الله عليه وسلم) منذ زمن مبكر كفروة بن عمرو الجذامي عامل الروم علـــى معان وما حولها الذي أعلن إسلامه واهدى النبي (صلى الله عليه وسلم) بغلة بيــضاء، ممـــا أثـــار إسلامه بالتالي حفيضة الروم عليه فقتلوه[3]، ومحمد بن بكير الغساني واثنين من قومه في السنة العاشرة للهجرة[4].

اخـــتلف العـــرب بالشام في مواقفهم تجاه جند الإسلام بن مرحبٍ ومعترض ومحايد كما هو الأمر في العراق وقد صور الأزدي على لسان أحد الروم هناك هذه الحال بقوله: ((وكان من كان من العرب بالشام ممن كان مشركاً على طاعة الروم علـــى ثلاثة أصناف: فأما صنف فكانوا على دين العرب وكانوا معهم، وأما صنف فكانـــوا نـــصارى وليس لهم في النصرانية تلك النية فقالوا نكره ان نقاتل اهل ديننا ونكـــره ان ننـــصر العجم على قومنا وأما صنف فكانوا نصارى وكانت له نية في

([1]) ابن اعثم، الفتوح، 1/ 183- 184.

([2]) ينظر راي عبدالرحمن بن عوف بهذا الشأن: الأزدي، فتوح الشام، ص3.

([3]) ابن سعد، الطبقات، 1/ 281؛ ابن هشام السيرة النبوية، 4/ 61.

([4]) ابن سعد، الطبقات، 1/ 264؛ النويري، نهاية الارب، 18/ 98.

النـــصرانية وكانـــوا معنا "أي مع الروم")) [1]، وأكد ذلك الحال الديار بكري مرة اخـــرى أثـــناء حديثه عن موقف أهل الشام من المسلمين بقوله: ((وكان اهل مدائن الشام قد أرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب فاطمعهم اكثرهم في النصر ومـــنهم مـــن حمى العرب فكان ظهور العرب احب اليه وذلك من لم يكن في دينه راســـخاً منهم))[2]، بل أن موقف بعض قبائل الشام العربية من المسلمين كان اعمق مـــن التعاطف وتمني الانتصار، إذ روى الطبري[3] وابن عساكر رواية مفادها ان الروم لما علموا باجتماع المسلمين مع خالد بن سعيد بن العاصم ضربوا على عرب الضاحية البعوث وان بهراء وكلب وسليح ولخم وجذام وغسان قد نفرت مع الروم مـــن دون زيـــزاء[4] بثلاث ثم سار إليهم خالد وجنده فلما دنا منهم تفرقوا واعروا منزلهم فنزله ودخل عمامة من كان تجمع له في الإسلام.

إن هذه الرواية وإن عبرت في جانب منها عن موقف أبناء تلك القبائل القلق تجـــاه المسلمين، إلا أنها تشابه كثيراً الروايات التي تحدثت عن موقف عرب الشام مـــن المـــسلمين اثناء غزوة مؤتة 8 هـــ/ 629م[5] مما يبعث على الشك في كونها رواية مكررة تعيد نفس المواقف السابقة ولا تعطي وصفاً جديداً لموقفهم اضافة إلى هـــذا فليس من المعقول ان ينتهي هذا الحشد الهائل- إذا ما قيس بعدد من خرج مع خالـــد بن سعيد- بهذه السهولة وينضموا إلى المسلمين بهذه السرعة، إلا أن يكون القسم الأكبر منهم قد أسلم مسبقاً وأخفى إسلامه إلى أن جاءت الفرصة سانحة بمقدم

([1]) فتوح الشام، ص 169.

([2]) تاريخ الخميس، 2/ 227.

([3]) تاريخ، الرسل والملوك، 3/ 388- 389؛ تهذيب تاريخ دمشق الكبير، 1/ 132.

([4]) زيـــزاء: مـــن قرى البلقاء كبيرة يطؤها الحجاج ويقام بها لهم سوق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 163.

([5]) ينظر: الواقدي، المغازي، 2/ 760- 761.

طلائــع الفــتح إلــى الــشام[1]، وأن هذا الموقف يأتي تفنيداً لما ذهب اليه بعض المستــشرقين الــذين عللوا انطلاق الفتوح نحو الشام بحصول اتفاقٍ ما بين عرب الــشام والحجــاز لأجل الإغارة على الشام وأن هذا الأتفاق يأتي انتقاماً من الروم لقطعهــم المساعدات المالية الممنوحة من هرقل العرب هناك[2] معتمدين فيما ذهبوا اغلــيه على رواية الأسقف الارمني سيبوس Sebeos الذي كان يتحامل على العرب على ما يذكر ذلك الاستاذ عبد المنعم ماجد[3].

علــى الرغم مما مضى أظهر العرب بالشام ميولاً وحمية لا تنكر تجاه ابناء عمومتهم من المسلمين مع تحقيق الاخيرين للمزيد من الانتصارات، ففي وقعة فحل من أرض الأردن ومع تكالب الروم على المسلمين وقفت- بعد موقفها القلق سابقاً- لخــم وجذام وغسان وعاملة والقين وقبائل من قضاعة في صف المسلمين معبرين عــن تــوحدهم معهم لطرد المحتل الرومي[4] والعزيمة على الانضواء تحت سيادة الدولة العربية الإسلامية ((واخذ أهل البلد من النصارى يراسلون المسلمين فيقدمون

([1]) البطايــنه، محمد ضيف الله، العلاقة بين حركة الفتح الإسلامي ونصارى العرب في الجزيرة العربية والشام والعراق، المؤرخ العربي، العدد 22، لسنة 1982، ص 79.

([2]) لــويس، العــرب في التاريخ، ص 41؛ حتي، تاريخ سورية، 2/ 5-6؛ ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 48.

([3]) التاريخ السياسي، 1/ 176.

([4]) اشــار حتــي- في تاريخ سورية- إلى هذه الحقيقة بقوله: ((لم يعرف عن السوريين منذ فتح الاسكندر أنهم فقدوا طابعهم القومي أو أضاعوا لغتهم الأهلية ودينهم السامي أو سلكوا مخلصين المــنهج اليوناني الروماني في الحياة، فالحضارة الهيلينية لم تكن يوماً اكثر من طلاء خارجي ولــم تؤثــر في غير النخبة من أهل المدن، أما سواد السكان فقد كانوا ولابد يعتبرون الحكام غــرباء وهــذه المجافاة ما بين الحاكمين والمحكومين قد استفحلت ولا شك بداعي سوء الحكم وفداحــة الــضرائب وغالــب الظــن ان السوريين من ابناء القرن السابع قد اعتبروا العرب المــسلمين أقــرب الــيهم عنصراً ولغة وربما ديناً من اسيادهم البيزنطيين الممقوتين)) تاريخ سورية، 2/ 14.

رجـــلا ويؤخـــرون اخرى ويقولون يامعشر المسلمين انتم احب الينا من الروم وإن كانــوا علـــى دينـــنا أنتم أوفى لنا وارأف بنا واكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكـــنهم غلـــبونا علـــى أمرنا ومنازلنا))(1) ووقفت تلك القبائل ومعها طي ونبهان وكهـــلان وخولان مع خالد بن الوليد وجنده في الإغارة على رساتيق الشام بعد فتح حمص(2).

لا تـــبدو أية غرابة أو مبالغة فيما رواه الأزدي هنا إذا ما قورنت مع ما جاء في تاريخ ما رميخائيل الكبير بطريق انطاكية اليعقوبي الذي الفه في النصف الثاني مـــن القـــرن الثانـــي عـــشر المـــيلادي من ممارسات تعسفية قام بها البيزنطيون الخلقيدونيون مع اتباع المذاهب الاخرى من نصارى العرب بالشام(3) والتي جعلت الاخيـــرين ينظـــرون إلـــى العرب المسلمين وكأنهم رحمة من عند الله تعالى، قال مارميخائـــيل: ((وأن الله.. إذ رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا واديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بابناء اسماعيل لكـــي يكون لنا الخلاص من ايدي الروم بواسطتهم، اما الكنائس التي كنا قد فقدناها باغتصاب الخلقيدونيين اياها فبقيت بيدهم لان العرب لدى دخولهم المدينة ابقوا لكل الطوائـــف مـــا بحوزتها من الكنائس وقد فقدنا كنيسة الرها وكنيسة حران، غير أن فائدتنا لم تكن يسيره حيث أننا تحررنا من خبث الروم ومن شرهم وبطشهم وحقدهم المرير علينا وتمتعنا بالطمأنينة))(4).

واذا كانت هذه الرواية تعطي وجهة نظر يعقوبية- يجب تناولنا بحذر- فإنها بـــلا شـــك تمثل حال العرب بالشام لاسيما وأن المذهب اليعقوبي كان يعد المذهب

---

(1) الأزدي، فتوح الشام، ص 111.

(2) الواقدي، فتوح الشام، ا/ 99.

(3) نقلاً عن: الملاح، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص 371.

(4) الملاح، الوسيط في السيرة، ص 371.

الرسمي لهم آنذاك[1]، ولهذا فلا عجب في ان يحمل الشعور القومي العربي الرافض للمحـتل، العرب هناك على أن يكونوا عيوناً للمسلمين يساعدوهم على قتال عدوهم مـن البيزنطيين ويدلوهم على عوراتهم ولهم مقابل ذلك اعفاء من الجزية ورضخ مما غنم المسلمون[2].

كما هو الحال على جبهة العراق فإن معركة اليرموك سنة 15 هـ/ 636م- علـى الارجـح- التي حقق فيها المسلمون أكبر انتصار لهم في الشام والتي عدّت معركة العروبة والإسلام المصيرية مع الروم- كما تظهر ذلك صيحات ابو سفيان بـن حرب الذي كان يقف على الكراديس قائلاً: ((الله الله أنكم ذادة العرب وأنصار الإسـلام وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك))[3].. كانت حادثة بليغة الأثر في جعل موقـف القبائل العربية هناك يكون أكثر وضوحاً تجاه المسلمين والتي ربما دفعت الـبعض مـنها مـصلحتها الآنية وعدم فهمها للنوايا الحقيقية للعرب المسلمين من زحفهـم نحـو الـشام، للوقوف مع الروم ضدهم كما هو الحال مع جبلة بن الأيهم الغـساني ومـن تـبعه مـن قومه[4] وربما النتيجة غير المحسومة نهائياً لصراع المسلمين مع الروم في بداية الأمر ايضاً.

كـان لإجـراءات المـسلمين تجاه السكان قبيل المعركة- والنابعة من تعاليم الإسلام الحنيف والتي لا يخفى فيها الحرص على تآلف العرب لجمعهم تحت سيادة الإسـلام-[5] أثرها الأكبر في وقوفهم إلى جانب المسلمين إذ ((صاروا أشداء على

([1]) ينظر: Rodinson, Op. Cit, p.274.

([2]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص87؛ الواقدي، فتوح الشام، 1/ 88؛ ابن اعثم، الفتوح، 43/1؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 233.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 397؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/7.

([4]) أشار ابن سيد الناس بإيجاز إلى مدى تأثر أمراء الغساسنة وارتباطهم المالي والسياسي بالروم آنـذاك بقـوله ((إنهـم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر)) ولا شك أن هذين الأمرين سينتفيان بسيادة دولة الإسلام على الشام، عيون الأثر، 2/ 256؛ البطاينة، العلامة، ص 82.

([5]) ابو يوسف، الخراج، ص 139.

عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على اعدائهم))[1] حتى تحقق النصر لهم على الروم، والـذي أدى بالتالي إلى وضوح الأمور أكثر لدى عرب الشام بعد أن كان البعض مـنهم متردداً في موقفه[2] والى تتابع المدن والارياف الشامية في إعلان خضوعها للسيادة العـربية الإسلامية كأهل حماة الذين أبلغوا أبا عبيدة بقولهم: ((أيها الأمير نـريد أن نكون في صلحكم وذمامكم فأنتم أحب إلينا))[3] وكذا الأمر بالنسبة لأهل قنـسرين الذين أرسلوا إلى خالد بن الوليد ((أنهم عرب وانهم إنما حشروا ولم يكن مـن رأيهـم حـربه فقبل منهم وتركهم))[4] وأهل الرها من أعمال الجزيرة الذين صـالحوا المسلمين على ان يرشدوا الضال ويصلحوا الجسور والطرق وينصحوا المـسلمين[5] ومثلهم المصريون فيما بعد الذين كانوا نعم العون لجند الإسلام حيث أصـلحوا الطـرق والجسور وأقاموا الاسواق[6] وأعانوهم في فتح ابواب مدنهم[7] وصـمدوا علـى مـا عاهدوا المسلمين عليه عند انتقاض الروم بالاسكندرية سنة 25هـ/ 646م إلا بعض القريات الصغيرة[8].

لم يخف الخليفة عمر (رضي الله عنه) كما عهد عنه حميته العربية بالاعتماد علـى القاطنـين منهم في الاراضي المحررة لأجل تسهيل عمليات الفتح وحرصه

([1]) ابو يوسف، الخراج، ص 139.

([2]) ينظر: رواية ابن اسحاق (ت 152هـ). الطبري، تاريخ، 3/ 570- 571.

([3]) الواقدي، فتوح الشام، 1/ 100- 105.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 601؛ ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 197.

([5]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 238- 240.

([6]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 86- 106.

([7]) ابـن عـبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص118- 119 تنسب رواية إلى رجل عربي من أهـل الاسكندرية يدعى (ابن بسامه) الفضل في تحريرها، حيث أقدم على فتح بابها الذي يقوم بحراسته للمسلمين اثناء حصارها.

([8]) ابـن عـبد الحكـم، فـتوح مصر والمغرب، ص 122- 123، 235- 236؛ فتوح مصر واخبارها، ص 175- 177.

الشديد على جمعهم تحت سيادة الإسلام تالفهم له وذلك بتوجيهه القائد ابي عبيدة بعد فتح حمص (15هـ/ 636م) بضرورة دعوة ((اهل القوة والجلد من عرب الشام)) لإعانتهم في معارك الفتح اللاحقة[1] وحرصه البالغ على استعادة من خرج ربما بسبب ملابسات احداث الفتح العسكرية من قبائل إياد في الجزيرة الفراتية إلى بلاد الروم وإدخالهم في الإسلام أو تحت رايته[2] وموافقته على جعل الصدقة مضاعفةً على نصارى تغلب بدلاً عن الجزية أملاً في تألفهم وكسبهم خدمة للإسلام ومصلحته[3].

من كل ما تقدم يمكن القول أن العرب في نهايات القرن السادس ومطلع السابع الميلادي كانت لديهم حال من الصحوة القومية والغيرة العربية الرافضة للوجود الاجنبي على اراضيهم، والتي عبروا عنها بالغزو والإغارة تارة أو بالخلافات المذهبية والصراعات الفكرية لمن لم يستطع استخدام القوة ضد المحتل لسطوته وقوته بالقياس لهم ولعظمة انتصاراته على اعدائه- كما هو الحال في الشام- تارة أخرى، وأن الدولة العربية الإسلامية في تلك الأثناء كانت عازمة على مواصلة سياسة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في التفح وتحقيق أهداف الإسلام الكبرى في الانتشار وتحرير الأرض والتي تزامنت مع نشاطات البناء تلك القبائل الهادفة إلى طرد المحتل- كما هو حال القبائل العراقية- إذ عملت الخلافة على استثمار وتوظيف كل تلك الظروف خدمة لأهدافها الأولى من خلالها تشجيعها لهم وتخويلها بعضهم بالإغارة ومواجهة المحتلين بالقوة لاسيما وان منهم من كان على الإسلام، كما وأنها لم تخف من حرصها على العرب على اختلاف مواطن سكناهم الذي لا يتعارض بدوره مع مبادئ الإسلام ورغبتها في حفظ كرامتهم وتألفهم لكيما

([1]) الطبري، تاريخ، 601/3.

([2]) الطبري، تاريخ، 54/4؛ البكري، معجم ما استعجم، 1/ 75- 76.

([3]) ينظر: ابو يوسف، الخراج، ص 120- 121؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 249- 250؛ الطبري، تاريخ،4/ 55- 56.

يعتنقوه كمن سبقهم من اخوانهم في قلب الجزيرة وقد عبرت عن كل ذلك وباصدق تعبيــر خطب الخلفاء ووصاياهم وكتبهم ونداءات القادة المسلمين وصيحات وخطب المقاتلة أثناء معارك التحرير التي تم تناول شواهد منها بالدراسة.

الفصل الرابع

التحديات الخارجية

الفصل الرابع

التحديات الخارجية

التحديات الخارجية في العهد النبوي

أملت الصفة العالمية للرسالة الإسلامية والأوامر الإلهية القاضية بإبلاغها إلى الأمم والشعوب، على الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يعمل ما بوسعه في تنفيذ تلك الأوامر من خلال الدعوة السلمية أو باستخدام القوة إذا ما اعترض مسيرة تلك الدعوة عارض، التي أدت بالتالي إلى الاصطدام بالإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، وذلك بسبب الاختلاف الكبير بين مبادئ الإسلام القائمة على التوحيد ونبذ الأنداد وديانات تلك الأمم القائمة على الشرك وعبادة ما سوى الله عز وجل.

وقد بدأت مظاهر ذلك الاصطدام في السنوات الأخيرة من عهد النبوة بالظهور في صور شتى، ففي السنة السادسة من الهجرة أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم)- بعد الاستقرار النسبي الذي حصل في علاقاته مع مشركي قريش بعد هدنة الحديبية- بإرسال الكتب إلى الملوك والأمراء في أرض العرب وخارجها يدعوهم بدعاية الإسلام والى التوحيد[1]، وقد بدت له (صلى الله عليه وسلم) وللمسلمين من حوله ملامح التحديات والمصاعب التي ستعترضهم إذا ما سعوا لإمضاء دعوتهم، فجاءت إجابة كسرى بن هرمزد ملك الفرس بأن مزق كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المرسل إليه مستهيناً به، وداعياً (باذان) عامله على اليمن بأن يبعث من عنده برجال يأتوه بهذا الرجل الذي بالحجاز[2] وهذه الإجراءات شواهد واضحة

([1]) حول نصوص هذه الكتب ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص 23- 24؛ ابن سعد، الطبقات، 1/ 258 وما بعدها؛ ابن حبيب، المحبر، ص 75- 77؛ القلقشندي، صبح الاعشا، 6/ 267 وما بعدها.

([2]) الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 254؛ ابن سعد، الطبقات، 1/ 260، ابن حبيب، المحبر، ص77؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 66- 67؛ الطبري، تاريخ، 2/ 654- 655.

تؤكد ما ذهبنا إليه، مما جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو الله تعالى بان يمزق ملكــه وملك فارس كل ممزق[1]، وهذه بالتأكيد أشارة أولى إلى ما يكنه الساسانيون من رفض وعداء لكل عقيدة تخالف ديانتهم ومنها الإسلام.

ولــم يكــن البيــزنطيون وعمالهم على أرض العرب أفضل من كسرى في إجابتهم لدعوة الإسلام رغم ورود الإشارات التي تفيد بأن هرقل قد قبل الإسلام أو أبــدى تعاطفــاً تجاهه[2]، إلا أن الحقائق التاريخية ومنها موقفه تجاه المسلمين في دومــة[3] وما بعد ذلك تقف حائلاً دون قبولها، إلى جانب موقف عماله من نصارى العــرب الذي لم يكن ليختلف كثيراً عن موقفه هو، فقد أبدى الحارث بن أبي شمر الغــساني عامــل هــرقل على دمشق امتعاضاً وازدراءاً من نص كتاب رسول الله (صــلى الله عليه وسلم) وأعلن معاداته[4]، وربما هذا الموقف المعارض وسواه هو الــذي جعــل النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو الله تعالى قائلاً: ((اللهم اذهب ملك غــسان))[5]، كمــا وان موقف ملك الروم من فروة بن عمرو الجذامي عامله على معــان الــذي سبق ان أعلن إسلامه وأرسل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) هدية يؤكد فيها إيمانه واستجابته له (صلى الله عليه وسلم)، إذ حاول هرقل فتنته واجباره علــى تــرك الإسلام ومن ثم قتله عندما رفض ذلك سنة 6 هــ/ 627م- 628م[6] يأتي تحدياً مضافاً لما سبقه من تحديات.

([1])الأصــمعي، نهاية الأرب، ورقة 254؛ ابن سعد، الطبقات، 1/ 260، ابن حبيب، المحبر، ص 77؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 66- 67؛ الطبري، تاريخ، 2/ 654- 655.

([2]) ينظــر: الطبــري، تاريخ، 2/ 649- 650؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 67؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 140- 143.

([3]) ابن سعد، الطبقات، 2/ 62؛ الطبري، تاريخ، 2/ 652؛ ابن خلدون، تاريخ، 224/2.

([4]) ابن سعد، الطبقات، 1/ 261.

([5]) الجاحظ، البيان والتبين، 28/2.

([6]) ابن هشام، السيرة النبوية، 261/4- 262؛ ابن سعد، الطبقات، 1/ 281.

وإن قـتل شـرحبيل بن عمرو الغساني عامل قيصر على مؤتة الحارث بن عمـرو الأزدي رسـول النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى ملك بصرى سنة 8هـ/ 629م الـذي أغضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودفعه إلى توجيه الجند إلى هناك[1]، يعد مؤشر تحدٍ يضاف إلى ما سبق.

وكـل تلـك الاعتداءات من جانب الروم وعمالهم ومن الفرس أوجبت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين من بعده إذا ما عزموا على الانطلاق برسـالتهم إلى الأمم الأخرى أن يضعوا في حساباتهم مواجهة تلك المخاطر بجدية لكي ما يجتازوها وينطلقوا صوب تحقيق أهدافهم الكبرى ويعدوا القوة اللازمة لرد الاعتداءات ونصرة الدين وحماية معتنقيه لقوله تعالى: ((وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين))[2] وأمره عز وجل ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُـونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ))[3] ومنعاً للفساد في الأرض باعتراض رسالة الله عز وعلا[4].

ومـن كـل ما تقدم يمكن أن نخلص إلى القول بأن توجه المسلمين منذ أيام رسـول الله (صـلى الله علـيه وسـلم) لحرب الروم وفتح الشام لم يكن تعدياً من المـسلمين وابـتداءً ولا لإجـبارهم على اعتناق الإسلام قسراً، بل لمنع اعتداءاتهم بالدرجة الأولى وحدها، وانصع دليل على ذلك هي الحشود التي حشدوها في مؤتة والبالغة مائة الف على ما ترويه المصادر الإسلامية بالمقارنة مع عدد قوة المسلمين

([1]) ابـن الزبير، عروة، مغازي رسول الله، جمعه وحققه وقدم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية لدول الخليج العربي، 1981م، ص 204؛ الواقدي، المغازي، 2/ 755- 756.

([2]) البقرة آية 190.

([3]) البقرة آية 193.

([4]) البقرة آية 251؛ الحج آية 40.

التي لم تكن للتجاوز ثلاثة الآف مقاتل[1] والتي انتهت بخسارة المسلمين وانسحابهم، كمـــا كانت وقعة تبوك (9هـ/ 626م) هي الأخرى قد فتحت باب المواجهة الفعلية مـــع الروم علاوة على غزوتي دومة الجندل 5هـ/ 626م ومؤتة 8 هـ/ 629م قـــبل ذلـــك، إذ بلغ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((أن هرقل قد رزق أصحابه واجلـــب معهم لخم وجذام وعامله وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء))[2] علاوة على ذلك محاولـــتهم زعزعة الجبهة الداخلية في المدينة بأثارة الشائعات مستغلين تنقل التجار بينها وبين الشام، وقد فسر الواقدي ذلك العمل الرومي بقوله: ((ولم يكن ذلك شيء قيل لهم فقالوه ولم يكن عدو أخوف عند المسلمين منهم))[3].

وعلـــى الرغم من توقف المسلمين عند حدود الأراضي الخاضعة للروم في تلـــك الغـــزوة إلا أنهم نجحوا في ابلاغ الروم ومن تحت رايتهم أن المسلمين لديهم القوة على رد اعتداءاتهم المتكررة، كما أنها فتحت عهد الفتوحات الكبرى "فقد عبر الإسلام عن حاجته إلى التوسع تلك الحاجة التي سيتميز بها تطوره فيما بعد"[4].

وعلـــى الـــرغم من وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وارتداد العرب وما أحـــاط بالخلافة الراشدة من ظروف حرجة آنئذ، إلا أن الخليفة أبا بكر أصر على إنفـــاذ بعث اسامة إلى الشام[5] عبر بجلاء عن أدراك الخلافة وعموم من ثبت على إســـلامه، أن العدو الأول هو الدولة البيزنطية، لاسيما أن انتصارها على الفرس لا يـــزال صـــداه يسمع في أنحاء بلاد العرب وقد تحدثهم انفسهم لغزو المسلمين في

---

(1) ابـــن الزبيـــر، مغازي رسول الله، ص 205؛ ابن سعد، الطبقات، 2/ 128- 129؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 94.

(2) الواقدي، المغازي، 3/ 989- 990؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 110.

(3) الـــواقد، المغـــازي، 3/ 989- 990؛ بـــدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 110؛ المقريزي، امتاع، 1/ 445- 446.

(4) سورديل، دومينيك، الإسلام، ترجمة: د. خليل الجر، مط البولسيه، (جونه 1977م)، ص 51.

(5) الطبري، تاريخ، 3/ 225؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 123.

الحجاز[1]، ولذا كان على الدولة العربية الإسلامية أمام هذه الضروف أن تمد فتوحها باتجاه الشام لإعلام الروم بمقدار قوتها ودحراً للقبائل المرتدة واتماماً للوحدة الدينية بين المدن العربية وقلب الجزيرة[2].

كما جاءت مشاركة الفرس الساسانيين في تأجيج الردة بتشجيعهم المرتدين وامدادهم بالقوة دافعاً للمسلمين لتوجيه انظارهم نحو العراق وبلاد فارس استشعاراً بمكامن الخطر الفارسي على الإسلام، فقد ذكر الكلاعي (ت 634هـ) أنه ((لما أرتدت العرب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال صاحب المدائن: من يكفيني أمر العرب فقد مات صاحبهم وهم الآن يختلفون بينهم إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعون على أفضلهم فإنهم إن فعلوا صلح أمرهم وبقي ملكهم واخرجوا العجم من أرضهم))[3] وقد أرسل أحد أبناء النعمان بن المنذر ومعه تسعمائة رجل من بكر بن وائل كان العلاء الحضرمي وجنده في مواجهتهم ، وقد قاتلهم حتى كثر في أهل الردة القتلى ((وبعث مخارق الحطم بن شريح أحد بني قيس بن ثعلبة إلى مرزبان الخط يستمده فأمده بالاساورة))[4] والزط والسيابجة[5]، وعليه فإن هذا الموقف العدائي الفارسي- إلى جانب ما بدر من كسرى قبل ذلك- تجاه المسلمين قد يكون من الأسباب الرئيسية وراء إرسال خالد بن الوليد وجنده من قبل الخلافة نحو العراق وقبل أن يتم القضاء نهائياً على الردة إدراكاً من الخليفة الصديق لحجم الخطر الفارسي على الإسلام، بالرغم من اهتمام المسلمين السابق بجبهة الشام منذ

---

(1) الشريف، دور الحجاز، ص 149- 150.

(2) الشامي، الخلفاء الراشدون، ص 39.

(3) تاريخ، الردة، اقتبسه من الاكتفاء الكلاعي البلنسي وهذبه: خورشيد احمد فاروق، مط أميرة وشركائها، مدارس دلهي الجديدة، (الهند 1970م)، ص 135؛ ينظر أيضاً الطبري، تاريخ، 303/3؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 1/ 264- 265.

(4) الكلاعي، تاريخ الردة، ص 138.

(5) الطبري، تاريخ، 3/ 304.

ايـــام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك كانت الفتوحات على جبهة العراق أسبق تاريخياً في انطلاقها من جبهة الشام على عهد ابي بكر (رضي الله عنه).

التحديات على جبهة العراق والمشرق

واجه جند الإسلام بقيادة خالد بن الوليد اثناء تحريرهم أرض العراق الفرس فـــي العديــد من الوقعات كالمذار[1]، الولجه[2] واليس[3] وغيرها من المعارك التي عـــدّت بطبــيعة الحال ضرباً من التحدي الساساني القائم على الحيلولة دون أبلاغ رسالة الإسلام وتكوين دولة له، ويبدو أن هذه الوقعات التي أمتدت حتى نهاية السنة الثانـــية عشرة للهجرة كانت من الصعوبة بحيث جعلت خالد بن الوليد يقول: ((لقد قاتلـــت يوم مؤتة فأنقطع في يدي تسعة أسياف، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فـــارس ومـــا لقيت من أهل فارس قوماً كأهل أُلّيس))[4] واصفاً بذلك حجم التحدي الفارسي وقتئذ، إلا أن عظمة التحديات الفارسية كانت تتزايد وتتجلى يوماً بعد آخر كلمـــا حقق المسلمون نصراً جديداً لاسيما بعد رحيل القائد خالد بن الوليد إلى الشام بأمر الخلافة.

فـــبعد تشاغل الفرس في مشاكلهم الداخلية ومع تزايد حماس المسلمين للجهاد والفـــتح أنطلـــق القائـــد المثنى الذي خلف خالداً في قيادة الجند إلى المدينة المنورة لاستشارة الخليفة الصديق في دفع الفتوح إلى أمام، وفي أمر من رغب بالجهاد ممن حـــسنت نيته من المرتدين لمواجهة الخطر الفارسي الذي لم يفتأ يهدد المسلمين مع اســـتقرار أمـــور الفـــرس الداخلية[5]، وقد جاءت وصية الصديق (رضي الله عنه)

([1]) الطبـــري، تـــاريخ، 3/351-353؛ ابـــن خلدون، ج2، ق2، ص79؛ الشامي، دور الحجاز، ص94.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 353- 354؛ ابن خلدون، ج2، 2، ص 79- 80.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 355 وما بعدها.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 413- 414.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 413- 414.

لخليفته عمر بن الخطاب لتعبر عن مدى اهتمام الخلافة في امضاء الفتوح وعن شدة الخطر الذي يواجه المسلمين في مسعاهم ذلك إذ قال ((اسمع يا عمر ما أقول لك ثم أعمل به إني لأرجو أن أموت من يومي هذا فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخر إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن امر دينكم ووصية ربكم))[1]، وعبرت المصادر عن شدة كره المسلمين في الحجاز لوجه فارس الناجمة عن عظمة الخطر الفارسي على الإسلام وما كانوا قد سمعوه من أخبار وقعات الفرس مع الأمم الأخرى قبل ذلك- ومنها عرب السواد كما أشرت إلى ذلك مسبقاً- بالقول: ((كان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم واثقلها عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم))[2] وعلى الرغم مما تحويه هذه الرواية من مبالغة واضحة قد تكون من وضع الرواة الشعوبيون لتعظيم شأن الأكاسرة، لاسيما وأن الفرس قد هزموا من قبل الروم منذ زمن غير بعيد وهزموا أمام العرب في ذي قار وأمام المسلمين في العديد من الوقعات في مطلع فتوحاتهم في العراق، إلا أنها تعكس حالة الهيبة والخشية التي قد تكون إنتابت البعض من المسلمين ممن ابتعد بعض الشيء في منزله عن ساحة المنازلة وأخبارها وهذا الأمر توضحه بجلاء خطبة المثنى لتشجيع المسلمين للتوجه إلى هناك[3]، وكذلك الأمر بالنسبة للخليفة عمر (رضي الله عنه)

([1]) الطبري، المصدر نفسه.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 444؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص55؛ ابن حبيش، الغزوات، ورقة 43؛ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص 90- 91.

([3]) قال المثنى ((أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فأنا قد تبجحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله وما بعدها)). ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 445؛ ابن حبيش، الغزوات، ورقة 43.

الذي حث الناس على الجهاد والمشاركة في الحملة إدراكا منه لمكامن وابعاد الخطر الفارسي على الإسلام[1].

وتجلت شدة التحديات الفارسية بعد خسارة المسلمين في وقعة الجسر واستشهاد أبي عبيد الثقفي سنة 13هـ/ 634م[2] وتحشد الفرس للقضاء على الإسلام والمسلمين في القادسية بعد إجتماعهم على يزدجرد وانتقاض أهل السواد على المسلمين بدفع منه[3] قبيل ذلك إذ ((جمع يزدجرد أطرافه واستجاش أقطار أرضه وولى عليهم رستم بن هرمز.... وسار بهم نحو القادسية))[4] ومصداق ذلك كتاب الخليفة عمر (رضي الله عنه) الموجه إلى المثنى وجنده الذي جاء فيه: ((أما بعد فأخرجوا من بين ظهري الأعاجم وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتبلتموه فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه))[5].

وللوقوف بوجه تحدي الفرس ورداً على ما جمعوه من قوة وجّه الخليفة عمر (رضي الله عنه) عماله على الكور والقبائل بأن ((لا تدعا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا اجتبلتموه ثم وجهتموه اليّ والعَجَل))[6] ويأتي اصرار الخليفة عمر (رضي الله عنه) على الخروج بنفسه لقتال جموع الفرس في القادسية وعدوله عن ذلك الأمر بعد مشورة عبد الرحمن بن عوف وبعض المسلمين التي جاء فيها

([1]) ينظر: الواقدي، فتوح الإسلام، ص 5.

([2]) الطبري، تاريخ، 3/ 454- 459؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 5/ 169؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 35.

([3]) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 133؛ الطبري، تاريخ، 3/ 448؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 35؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص91؛ نص كتاب سعد بن ابي وقاص إلى الخليفة عمر بهذا الشأن، صفوت، رسائل العرب، 1/ 307.

([4]) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 119.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 478.

([6]) الطبري، تاريخ، 3/ 478- 479.

((وأقــم وابعــث جــنداً فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد فانه ان يهزم جيــشك لــيس كهــزيمتك وإنــك ان تقتل أو تهزم في أنف الامر خشيت الا يكبر المــسلمون وألا يــشهدوا أن لا إلـــه إلا الله أبداً))(1) شاهداً آخر على عظم الخطر الــساساني علـــى الإسلام إلى جانب ما كان من عظمة الحشود الفارسية قياساً لقوة المسلمين(2) ورفض الملك الفارسي يزدجرد دعوة المسلمين وازدرائه وتهديده إياهم بقــوله: ((أرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه إني مرسل اليكم رستم حتى يدفنكم ويدفنه فـــي خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد ثم اورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور))(3).

وقــد كانـــت معركة القادسية من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون ضد الفـــرس، إذ عكست ابعاد الخطر الفارسي على دولة الإسلام، بما جمعوه من حشود وتفانيهم في القتال خلال أيامها الأربعة المتواصلة(4).

وفـــتح نـــصر المسلمين في هذه الوقعة الباب واسعاً أمامهم ليندفعوا إلى أمام مجاهـــدين ومحررين للأرض العربية من براثن الشرك ودافعين خطوط المواجهة مـــع عـــدوهم أبعـــد ما يمكن استجابة لأمر الخليفة عمر (رضي الله عنه) لهم بهذا الشأن(5).

---

(1) ينظـــر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 356؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 133؛ الطبري، 3/ 481- 482؛ ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، ص 91.

(2) ينظـــر: ابـــو يوســـف، المـــصدر السابق، ص 29؛ الواقدي، فتوح الإسلام، ص 42- 43؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 357؛ الطبري، تاريخ، 3/ 505، 535.

(3) الطبـــري، تاريخ، 3/ 500- 501؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 200؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 47.

(4) عبـــر عاصم بن عمرو في خطبته يوم ارماث عن مدى الخطر الفارسي على الإسلام بقوله: ((فـــإن خـــرتم أو فشلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ لمن يبق هذا الجمع منك باقية مخافة ان تعودوا عليهم بعائد هلاك))، الطبري، تايرخ، 3/ 532.

(5) الطبري، تاريخ، 3/ 492؛ حميد الله، الوثائق، ص 307.

وبالرغم من هزيمة الفرس في القادسية وفتح المسلمين للمدائن عاصمتهم، إلا أن التحدي الفارسي ظل قائماً مما استوجب الرد عليه، ففي سنة 16هـ/ 637م بعد أن انتهـى الفـرس إلـى جلولاء ((وافترقت الطرق بأهل اذربيجان والباب وبأهل الجـبال فـارس تذامـروا وقالوا إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نريد وإن كانت الأخرى كـنا قد قضينا الذي علينا وابلينا عذراً فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران الـرازي ونفـذ يزدجـرد إلـى حلـوان فنـزل بها ورماهم بالرجال وخلف فيهم الأمـوال))(1)، واذا كـان تهـذه الرواية تقدم وصفاً لما عزم عليه الفرس فإنها في الوقت نفسه تشير إلى عمق التحديات التي واجهت العرب المسلمين من أمم مختلفة أنضوت تحت قيادة الفرس.

وفـي الوقت ذاته واجه المسلمون في تكريت والموصل تحدّياً روميّاً متزامناً مع حشود الفرس في جلولاء(2)، وبذلك يكون المسلمون في مواجهة تحديين فارسي ورومي متزامنين في آن واحد وان عليهم أن يعقدوا العزم للقضاء على ما تبقى من خطـر أعدائهم؛ لأن كلا الطرفين المتحاربين يعد المعركة معركة حاسمة من أجل الـبقاء وانتـصاراً للمبادئ، لذلك تم تنفيذ توجيهات الخلافة بهذا الشأن(3) وكسرت شوكة الأعداء في حدود سنة 16هـ/ 637م.

---

(1) الطبـري، تـاريخ، 4/ 24- 25؛ ابن اعثم، الفتوح، 1/ 271؛ ينظر ايضاً البلاذري، فتوح البلدان، ص 368؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 69.

(2) الطبـري، تـاريخ، 4/ 24- 25، 355- 36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 71؛ الأشرف الغساني، العسجد، ورقة 45؛ Posner, Op. Cit,

(3) جـاء في كتاب الخليفة عمر إلى سعد بن ابي وقاص يوم جلولاء: ((إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الانطاق فقدم القعقاع بن عمرو حتى يكون بين السواد والجبل على حد سوادكم))، الطبري، تاريخ، 4/ 28.

ولم يخف الخليفة عمر (رضي الله عنه) مشاعر القلق والحرص الشديد على سلامة المسلمين وعدم ايغالهم بعيداً في جبهات واراض يجهلونها، رغم حرصه على ابلاغ الرسالة الإسلامية إلى الأمم الأخرى، وإن هناك بلا شك من ادراكه لحراجة موقفهم في تلك المرحلة لاسيما إنهم قد أصبحوا مع مضي الفتوح في مواجهة أكثر من عدو في آن واحد، وما يحتاج إليه ذلك الحال من المزيد من العدد والدة، ويأتي ذلك في إطار ما عرف عنه من حكمة وتروي في اتخاذ القرار لاسيما في مثل هذه الامور، لذلك جاءت اجابته على طلب المسلمين بتتبع فلول الفرس المندحرة في حلوان سنة 16هـ/ 637م تتسجم مع هذا التوجه[1].

وعلى الرغم مما تحقق من انتصارات وفتوح على جبهة الفرس إلا انهم ما برحوا يتحينون الفرص للإنقضاض على الإسلام واهله، ففي هذا الاطار كان الرد على المخاطر الفارسية من الأسباب الرئيسية وراء فتح مناطق رامهرمز وتستر والأحواز والسوس[2]، فقد ذكر سيف بن عمر بسنده ان يزدجرد ملك الفرس لم يزل يثير اهل فارس اسفاً على ما خرج منهم ويذكرهم الاحقاد ويكتب اليهم: ((ان قد رضيتم يا أهل فارس ان قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأحواز ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم فتحركوا وتكاتبوا اهل فارس واهل الأحواز وتعاقدوا وتواثقوا على النصرة))[3]، مما أضطر المسلمين إلى مناجزتهم في معارك ضارية اتموا فتح تلك الاقاليم بعد ان قدموا تضحيات عظيمة جراء المقاومة الفارسية الشديدة[4].

---

(1) ينظر: الطبري، تاريخ، 4/ 28، 79؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ق2، ص 102.

(2) ينظر: الواقدي، فتوح الإسلام، ص 71 وما بعدها؛ الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 205، الدينوري، الاخبار الطوال، ص 130- 131؛ الطبري، تاريخ، 4/ 83؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 9 وما بعدها.

(3) الطبري، تاريخ، 4/ 83.

(4) الطبري، تاريخ، 4/ 83- 89.

ومـــع تواصل لتحديات الفارسية واندفاع المسلمين لقطع شافتها، ايقن بعض قـــادة المـــسلمين بـــأن ضروروات حماية حدود الإسلام والدفاع عنه توجب عليهم الانـــسياح إلـــى أمام في أرض الأعاجم دفعاً لخطرهم اللاحق- بالرغم من سياسة الخلـــيفة عمر آنفة الذكر-[1] وقد افصح الاحنف بن قيس عن ذلك الأمر عند مقدمه إلـــى المدينة المنورة مصطحباً الهرمزان ملك الأحواز اسيراً إذ ندب الخليفة عمر (رضي الله عنه) قائلاً: ((يا أمير المؤمنين أخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمـــرتنا بالاقتصار على ما في أيدينا، إن ملك الفرس حيّ بين أظهرهم، وانهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج احدهما إلى صـــاحبه وقـــد رأيـــت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وأن ملكهم هو الذي يبعـــثهم ولا يـــزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس نخرجه من مملكته وعز أمته فهنالك ينقطع رجاء اهل فارس ويضربون جأشاً)) أي يسكنون[2].

وإذا تأملـــنا هـــذا الـــنص نجد أن معارك الفتح الإسلامي مع الفرس في تلك المـــرحلة لـــم يكـــن باعثها إلا رد التحدي الفارسي القائم والعازم على صد دعوة الإســـلام والقـــضاء علـــيها، وإن خطر الفرس ما زال قائماً طالما ان قيادتهم باقية وتحاول استعادة ملكهم واحياء دولتهم وامجادهم بالقضاء على المسلمين.

وبعـــد ســـماع الخليفة عمر (رضي الله عنه) رأي الأحنف- وهو المعروف بـــالحلم والنباهة- وافق على خطة المسلمين القاضية بتتبع وتعقب الجيش الفارسي فـــي عمـــق اراضـــي المشرق واتخاذ مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع حسبما تطلبه ظرف المسلمين في تلك المرحلة، وما اجتماع الفرس ومن تحت حكمهم في نهاوند ســـنة 21هـــ/641م إلا شاهداً على صحة ما ذهب إليه الأحنف كما يوضح دون

([1]) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 88.

([2]) الطبـــري، تـــاريخ، 4/ 88؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 88/7؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 249/5.

ريب عظم التحديات المجوسية للإسلام، إذ اجتمعت امم المجوس من اغلب المدن الساسانية بعد أن استجاشهم يزدجرد[1] ((فتعاقدوا وتواثقوا على الصبر في الحرب يظفروا أو يموتوا))[2] وقد وصف خليفة بن خياط تجمع الفرس في نهاوند بأنه لم يزحف لقتال المسلمين زحف مثله قط[3] وقال المقدسي ((واجتمعت الأعاجم والاساورة وعظماء الفرس... وجمعوا من الجموع ما لا يبلغه الاحصاء والعدد))[4]، وقالوا باجتماعهم هذا على ما روى الطبري: ((إن محمد الذي جاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا ثم ملكهم ابو بكر بعده فلم يغرض غرض فارس إلا في غارة تعرّض لهم، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأحواز واوطأها ثم لم يرض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم، وهو آتيكم إن لم تأتوه فقد أخرب بيت مملكتكم واقتحم بلاد ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتقلعوا هذه المصرين ثم تشغلوه في بلاده وقراره فتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً))[5].

وعكست هذه الرواية بصدق عظمة التحدي وجسامة الخطر الفارسي على المسلمين، من خلال الحشود الضخمة للفرس[6] التي استجلبت معها حتى الفيلة

([1]) ينظر: الدينوري، الأخبار الطوال، ص 133- 134؛ الواقدي، فتوح الإسلام، ص 90؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 14، الطبري، تاريخ، 4/ 120؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 31- 32.

([2]) الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 260.

([3]) تاريخ، خليفة بن خياط، 1/ 143. (تحقيق سهيل زكار، دمشق 1967م).

([4]) المقدسي، البدء والتاريخ، 5/ 180- 181.

([5]) الطبري، تاريخ، 4/ 124؛ ابن أعثم، الفتوح، 2/ 32 ينظر ايضاً: المقدسي، البدء والتاريخ، 5/ 181.

([6]) ينظر تقديرات المؤرخين المسلمين: الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 260؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 424؛ الطبري، تاريخ، 4/ 123؛ ابن أعثم، الفتوح، 2/ 31.

لأرهاب خيول المسلمين[1] أملاً في القضاء عليهم قضاءً مبرماً، وعكست صدق ما ذكـره الرواة المسلمون من أنهم تعاهدوا وتعاقدوا على غزو البصرة والكوفة ((ثم يشغلوا عمر في بلاده))[2] وهي مسألة بينها الخليفة عمر (رضي الله عنه) للمسلمين حالما أتاه كتاب عمار بن ياسر عامله على الكوفة بهذا الشأن[3].

كمـا يبدو أن النعمان بن مقرن قائد جند المسلمين في تلك الوقعة كان يدرك هـو الآخر مقدار الخطر الفارسي هذا ، لذا حث المقاتلة المسلمين واستنفرهم قائلاً ((إن الفـرس قـد اخطـروا لكم اخطاراً وأخطرتم لهم أخطاراً فإن أنتم هزمتموهم تـرجعون إلـى نعمة وسرور وإن هزموكم فلا بصرة ولا كوفة ولا مدينة وأعلموا بـأنكم قد اصبحتم باباً بين الإسلام والشرك وإن كسر هذا الباب دخل على الإسلام منه بلاء))[4].

وإزاء كـل ذلك فإن إنتصارات المسلمين في هذه الوقعة سنة 21هـ/ 641م كـان حقـاً ((فتح الفتوح))[5] كما أسمته المصادر التاريخية لأنه على رأي البعض منها لـم ((يقـم للفـرس بعـد هذه الوقعة قائم))[6] ولم ((يكن للأعاجم بعد ذلك جماعة))[7] وتلاشت بها أكبر مظاهر التحدي الساساني للوجود الإسلامي، ومهدت الطريق واسعاً أمام انتشار الإسلام شرقاً، حيث أخذت المدن الساسانية تتهاوى معلنة

([1]) ابن أعثم، الفتوح، 2/ 31- 32.

([2]) ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 106- 107.

([3]) ينظر: الأصمعي، نهاية الأرب، ورقة 260.

([4]) ابـن أعـثم، الفـتوح، 47/2؛ ينظر كذلك الواقدي، فتوح الإسلام، ص 95- 96؛ خليفه ابن خياط، تاريخ، 1/ 121.

([5]) الـبلاذري، فـتوح الـبلدان، ص 428؛ الطبـري، تاريخ، 4/ 125؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 7/3.

([6]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 314.

([7]) الطبـري، تـاريخ، 4/ 116 ينظـر ايضاً: المقدسي، البدء والتاريخ، 5/ 182؛ ابن الاثير، الكامل، 7/3.

خـضوعها للـسيادة الإسـلامية واحدة تلو الاخرى مع تواصل المد الإسلامي إلى أمـام[1]، ولـم يعترض المسلمين عارض كبير في مسيرهم إلا ما كان من انتفاض أهل همدان بعد صلحهم الأول الذي عقده معهم نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو[2] وتكاتـب الـديلم وأهل الري واهل اذربيجان فيما بينهم ضدهم إلا أنهم هزموا أمام المسلمين وتم فتح تلك النواحي وضمها إلى دار الإسلام سنة 22هـ/ 642م[3].

وكانـت مـتابعة الملـك الساساني يزدجرد من قبل الجند المسلمين وسعيهم للقـضاء علـيه تمثل استئصال مصادر الخطر الفارسي؛ لأنه استمر يشكل مصدر تهديـد قـائم بوجه تقدمهم من خلال تأليبه سكان المناطق التي يمر بها في طريقه كمـدن خراسان واستنجاده بملوك الأمم المجاورة كخاقان ملك الترك وغوزك ملك الصغد[4]، ولذلك تقدم المسلمون إلى مرو الروذ[5] والشاهجان[6] وبلخ [7][8] وغيرها مـن المناطق وأخضعوها لسيادة الإسلام، وقد أورد الواقدي (ت 207هـ) في هذا الـسياق نص محاورة جرت بين يزدجرد واحد ملوك المدن الفارسية جاء فيه: ((يا شـهرك إنـي أرى هؤلاء العرب ما يطلبون احداً غيري وذلك إني كلما دخلت بلد رحلوا في أثري وقد رأيت من الرأي أن أرجع عن جميع أرض فارس وأسير إلى

([1]) الطبري، تاريخ، 4/ 133- 134.

([2]) الطبري، تاريخ، 4/ 138، 147.

([3]) الطبري، تاريخ، 4/ 148- 149؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 121.

([4]) الطبري، تاريخ، 4/ 168- 169.

([5]) مـرو الـروذ: مديـنة قـريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام على نهر عظيم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 112.

([6]) الشاهجان: مدينة من أشهر مدن خراسان وهي مرو العظمى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 112- 113.

([7]) بلـخ: مديـنة مشهورة بخراسان واجل مدنها واكثرها خيراً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 479.

([8]) الطبري، تاريخ، 4/ 170- 171؛ ينظر ايضاً: ابن سعد، الطبقات، 5/ 46.

كرمان ولكن أنظر كيف تقاتل عن دينك وتناضل عن حريمك ودار ملكك))[1]، وأن صحت هذه الرواية فإنها بلا شك تؤكد ما ذهبنا اليه، وحقاً لم تنقطع مثل تلك المخاطر والتحديات- المذكورة- حتى تم قتله على يد أحد مواطنيه في قرية من قرى مرو في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيما بعد بحدود سنة 31هـ/ 651م[2]، وبذلك قطع رجاء الفرس وأنتهى اعظم عامل تحدي قد يعترض المسلمين في سيرهم باتجاه المشرق، جاعلاً الفرصة مواتية لأمتداد الإسلام إلى أمام، وشاهد ذلك ما قاله أحد المقاتلة لعبد الله بن عامر بن كريز عامل الخليفة عثمان على المشرق بعد ذلك: ((إن عدوك منك هارب وهو لك هائب والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه))[3]، سوى ما كان من بعض حالات الانتقاض بعد الصلح أو التصدي للمسلمين هنا وهناك قبل ذلك[4] وبعده[5]، وقد روى قدامة بن جعفر (ت 310هـ) ما يؤيد ذلك إذ أن مرزبان مرو ماهويه قدم على الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) لما استخلف وهو في الكوفة ((فكتب له إلى الدهاقين والاساورة والدهشلارية أن يؤدوا الجزية، ثم انتقضت خراسان فلم تزل منتقضة حتى قتل رضوان الله عليه))[6] ولم يزل اهل تلك الأقاليم في كفرهم وانتقاضهم على المسلمين إلى جانب بقية اعداء الإسلام المحيطين به كلما واتتهم الفرصة وحتى في العهد الأموي[7].

---

(1) الواقدي، فتوح الإسلام، ص114.

(2) الدينوري، الاخبار الطوال، ص 139؛ الطبري، تاريخ، 4/ 171، 293 وما بعدها؛ بليايف، العرب والإسلام، ص 180.

(3) الطبري، تاريخ، 4/ 301.

(4) ينظر: الواقدي، فتوح الإسلام، ص 115 وما بعدها؛ الطبري، تاريخ، 4/ 265، 271.

(5) الطبري، تاريخ، 4/ 311، 314، 317.

(6) الخراج، ص 404.

(7) الخراج، ص 405 وما بعدها.

وبعد ان قضى المسلمون على الامبراطورية الساسانية قضاءً مبرما، وجدوا أنفسهم أمام تحديات شعوب المشرق التي توجهوا برسالتهم اليها كالترك والديلم والخزر والصغد على أختلاف مناطق انتشارهم، وذلك- بلا ريب- يعود سببه إلى أن ادخال هذه الشعوب في الإسلام أو تحت سيادته كموالي أو اهل ذمة كان يفرض على المسلمين أن يقوضوا ما وجدوا من آثار الوثنية وترسبات الديانات والثقافات التي كان لها تأثيرها الخطير على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وصهرها في الاطار الإسلامي الجديد بكل تأثيراته ونظمه التي تدير دولة الإسلام، إن من شأن ذلك بديهياً أن واجه المسلمون معارضة على أكثر من جبهة خاصة من ذوي السلطة الذين طالما حرضوا مواطنيهم على الانتقاض والخروج على الدولة العربية الإسلامية.

ففي هذا السياق يبدو أن أهل اقليم فارس واذربيجان وطبرستان وغيرها من الأقاليم التي فتحت أيام الراشدين[1] قد استغلوا الظروف المضطربة التي حدثت عقب مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) سنة 35هـ/ 656م، التي نجم عنها توقف الفتوحات وتحلل الادارة المركزية للدولة، مما حدا ذلك ببعض أقاليم المشرق ان تعلن أنتقاضها وعصيانها مما اضطر عبد الله بن عامر الذي صارت ولايته تشمل مع البصرة خراسان وسجستان في تلك السنة- أن يعمل جهده في الرد على هذا المظهر من التحدي الرافض للسيادة الإسلامية باستعادتها وتثبيت الوجود الإسلامي بعد ان تزعزع هناك[2].

وقد أدرك الوالي زياد بن أبيه الابعاد المستقبلية والمخاطر الناجمة عن حالة الانتقاض المتواصلة لمناطق خراسان وما يبعها على الوجود الإسلامي هناك وفي المشرق عموماً، كما أيقن بعدم فاعلية الحملات العسكرية المتفرقة على تلك الانحاء لاعادتها إلى حضيرة الإسلام وضرورة القيام بعمل عسكري منظم وواسع النطاق

([1]) ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 436- 443.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 557- 558.

لانهاء التحديات، لهذا قرر اتخاذ مدينة مرو قاعدة عسكرية تنطلق منها الحملات إلى بقية الأقاليم نشراً للإسلام وردعاً لاعدائه وذلك بنقله خمسين الف مقاتل مع عيالاتهم من الكوفة والبصرة لتنفيذ ذلك الأمر سنة 41هـ/ 671م[1]، وبالفعل استطاع الربيع بن زياد الحارثي ان يقود اولئك الجند سنة 51هـ/ 671م وأعاد افتتاح بلخ التي انتقضت بعد صلحها السابق مع الأحنف بن قيس وقاتل الاتراك حتى فتح قهستان عنوة[2].

وهكذا دفعت تلك التحديات المستمرة عبيد الله بن زياد بن ابيه الذي خلف والده على ولاية العراق والمشرق ان يوجه المقاتلة الذين جلبوا إلى مرو قبل ذلك لقتال الصغد في بيكند وبخارى، تلك التحديات التي تأكدت بمراسلة ملكة الصغد هناك (خاتون) الترك الذي امدوها بقوة معبرة عن رفضها للسيادة الإسلامية مما أضطر المسلمين إلى قتال اولئك الصغد واجبار ملكتهم على الإذعان للجزية، واتموا فتح بيكند ورامثين سنة 54هـ/ 674م[3].

فضلاً عن المقاومة العسكرية المعلنة من قبل أعداء الإسلام فإنهم قد استغلوا الطبيعة الجغرافية الصعبة على المسلمين في فصل الشتاء في معاودة الكفر والانتقاض[4]، علاوة على المسافات البعيدة جداً بين مقر الخلافة بالشام وتلك الأقاليم التي من شانها ان تؤخر الإمداد وتقطع الصلة بين المسلمين وقواعدهم الأساسية في أرض العرب، مما دفع كل ذلك الوالي سلم ابن زياد سنة 61هـ/

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص 577؛ الطبري، تاريخ، 5/ 286؛ طه، عبد الواحد ذنون، الجهد العسكري العربي الإسلامي في جبهة المشرق في العصر الأموي، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد 9 لسنة 1983، ص 237؛ ينظر ايضاً: العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص142؛ كاشف سيده، الوليد بن عبد الملك، ص 116- 117.

(2) الطبري، تاريخ، 5/ 286.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 577- 578؛ الطبري، تاريخ، 5/ 297- 298.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 578- 579؛ الطبري، تاريخ، 5/ 305- 306.

681م إلى مقارعة اهل سمرقند وقتالهم في فصل الشتاء واجبارهم على دفع الجزية والخضوع لسيادة الإسلام[1].

وعلـــى الـــرغم ممـــا ساد الدولة العربية الإسلامية مدة خلافة معاوية (41- 60هـ/ 661- 679م) من استقرار في شؤونها، وإعادة لهيبتها واسترجاع للأقاليم المنتقــضة على سيادة الإسلام، إلا أن هذا الأمر لم يستمر إذ عاودت أقاليم المشرق إلـــى التمرد على الخلافة بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية 64هـ/ 683م، لاسيما الأقالــيم البعــيدة نحــو بلاد ما وراء النهر (نهر جيجون) واهل نيسابور[2] واهل كابل[3].

وبعـــد أن أستتب الأمر للخليفة عبد الملك بن مروان (65- 86هـ/ 685- 705م) كـــان في مقدمة مهامه تثبيت السيادة الإسلامية على البلدان المنتقضة ومد الفــتوح إلى أمام ابعاداً للمخاطر المحدقة بدولة الإسلام، لاسيما في جبهة المشرق التـــي أســـندت ولايتها إلى الحجاج مع ولايته على العراق سنة 78هـ/ 714م[4]، الـــذي ســـخر بـــدوره موارد وطاقات الدولة لاستئناف الفتوح والقضاء على بؤر العـــصيان والتمرد، فارسل عبيد الله ابن ابي بكرة إلى سجستان الذي استعد بدوره لغزو رتبيل ملكها حيث ((كان مصالحاً وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا وربمـــا أمتنع فلم يفعل))[5] إذ امتنع عن اعطاء عبيد الله الجزية مما جعل الحجاج يصدر أوامره بغزوه واستباحة ملكه[6].

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 581- 582؛ الطبري، تاريخ، 4/ 473.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 583؛ حول انتقاض أمم الشرك ينظر: اخبار مجموعة، ص13.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 559- 560.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف، 11/ 311.

([5]) الطبري، تاريخ، 6/ 322.

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، 11/ 311 وما بعدها.

واذا كان رتبيل قد امتنع عن دفع الجزية معبرا عن رفضه الخضوع للسيادة الإسلامية فإن في خداع رعيته من الترك المقاتلة المسلمين- الذين اوغلوا بعيداً في أرضـــهم- وتــضييقهم عليهم في شعاب الجبال وابادة القسم الأكبر منهم[1]، شواهد أخرى على عمق التحدي الموجب لإعادة الفتح وفرض السيادة الإسلامية هناك وهو أمر أظهره نص كتاب الحجاج إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا الشأن[2].

وهكــذا جاء ايفاد جيش عبد الرحمن بن الأشعث سنة 80هـ/ 699م ليعكس مدى أهتمام الخلافة ورغبتها في اقتلاع جذور التحدي القائمة هناك[3]، والذي مكن بــدوره مــن طرد رتبيل أمامه وتخليه عن الكثير من المناطق التي اعاد السيطرة علــيها مسبقاً وأعاد- عبد الرحمن- السيادة الإسلامية إليها[4]، إلا ان عدم القضاء نهائياً على رتبيل واضطراب الأمور بعد توقف عبد الرحمن وجنده وما أعقب ذلك من فتن، جعلت القوى المعادية للإسلام هناك تعاود نشاطها من جديد.

أمــا علــى جبهة أقليم السند الذي امتد الفتح الإسلامي إلى مشارفه منذ أيام الراشــدين ومطلع العصر الأموي- خلافة معاوية-[5]، فقد اتسم هو الآخر بظاهرة الانــتقاض المعبرة بلا شك عن رفض الحكومات المحلية وما يتبعها سيادة الإسلام على تلك الأقاليم[6]، التي تأكدت للمسلمين مرة أخرى في مدة الأضطرابات أيام عبد الملــك بن مروان، إذ فقد الأمن في تلك النواحي النائية واصبح اللصوص وقطاع

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 11/ 311- 318؛ الطبري، تاريخ، 6/ 322.

(2) الطبري، تاريخ، 6/ 323- 324.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، 11/ 318- 323؛ الطبري، تاريخ، 6/ 326- 328.

(4) الطبري، تاريخ، 6/ 328- 329.

(5) الغامدي، الفتح الإسلامي، ص 32؛ السامرائي، عبد الرزاق احمد، إقليم السند، ص 75-86.

(6) السامرائي، عبد الرزاق احمد، إقليم السند، ص 85.

الطــرق يعبــثون بالــسفن التجارية الإسلامية بحماية ملك الديبل الذي اظهر تحديا للمسلمين واستخفافاً بهم[1].

كل ذلك أوجب على الخلافة حال استقرار اوضاعها الداخلية ان تقضي على مظاهر التحدي ولكي لا يفتن المسلمون هناك، وكان لقصة النسوة المسلمات اللائي تعرضن لمهاجمة اللصوص قرب الديبل واستغاثت إحداهن بالحجاج[2]، اكبر الأثر فــي دفعه إلى ارسال الحملات الأولى إلى هناك[3] التي تلتها حملة محمد بن القاسم الثقفــي ســنة 89هـــ/ 707م أملاً في نشر الإسلام في تلك النواحي وانهاء حالة الــتحدي المتواصــلة[4]، التــي على ما يبدو ان من اهم اسبابها خشية ملوك المدن الــسندية- بالــرغم من مبادئ الإسلام المتسامحة تجاه من يبقى على دينه وتسامح عمــال الخلافــة ايــضاً- وشــكهم في الحفاظ على مراكزهم السابقة تحت السيادة الإســلامية، التي من شأنها أن تذيب العقائد المحلية السائدة هناك والتي تعد عاملاً أساس في فرض سيادتهم على مواطنيهم[5].

فبالــرغم مــن أنتــصار المــسلمين- مثلاً- في معركة الديبل سنة 93هـــ/ 711م[6]، إلا أن دابــر الــتحدي لم ينقطع هناك، فقد جاءت معركة الراور[7] التي

([1]) طــه، عــبد الــواحد ذنون، العراق تحت ادارة الحجاج بن يوسف الثقفي، ص 219؛ العمد، الحجاج، ص 359.

([2]) ينظــر: البلاذري، فتوح البلدان، ص 611- 612؛ الغامدي، الفتح الإسلامي، ص 30- 31؛ طه، عبد الواحد، العراق تحت ادارة الحجاج، ص 219- 220.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 612.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 612؛ اليعقوبي، تاريخ، 3/ 34- 35.

([5]) الــبلاذري، فــتوح البلدان، ص 617؛ السامرائي، عبد الرزاق، إقليم السند، ص 156 وما بعدها؛ الغامدي، الفتح الإسلامي، ص 50.

([6]) خلــيفة بــين خياط، تاريخ، 1/ 304؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 87؛ السيوطي، تاريخ، ص224.

([7]) الــروار: مدينة كبيرة بالسند من فتوح محمد بن قاسم الثقفي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 19.

عدت كالقادسية من حيث القوة العازمة على صد المسلمين[1] والتي قتل فيها الملك داهــر[2] سنة 94هــ/ 712م الذي تهاوت المدن السندية بعد مقتله معلنة خضوعها للسيادة الإسلامية[3]، شاهداً يؤكد ما ذهبنا إليه.

وبــذا تحقــق للدولـــة العربية الإسلامية من تلك الحملة قضائها على مراكز التحدي القائمة هناك وحماية الدين وضمان انتشاره، وقد عبر الحجاج عن ذلك حين وصـــلته ابناء الفتح وغنائمه بقوله: ((شفينا غيضنا وأدركنا ثأرنا وربحنا ستين الف الف ورأس داهر))[4].

ولكـــن بالرغم من ذلك كله لم تزل تلك الاقاليم مترددة في خضوعها للسيادة الإسلامية حتى بعد دعوة الخليفة عمر بن عبد العزيز الملوك والامراء إلى الإسلام ومنهم ملوك السند[5] وتواصلوا في عنادهم وكفرهم معبرين عن رفضهم الخضوع للسيادة الإسلامية إلى السنوات الاخيرة من العهد الأموي[6].

---

(1) الغامــدي، الفــتح الإسلامي، ص 40؛ عن تفاصيل المعركة ينظر: السامرائي، عبد الرزاق، إقليم السند، ص 116- 117.

(2) يعــد الملك داهر واحداً من أكابر ملوك العالم القديم الذين قهرهم المسلمون وجاءت صورهم مرســومة فـــي لوحة فنية على احد جدران قصر عمره في بادية الأردن والمنسوب بناؤه إلى الخلــيفة الولــيد بــن عبد الملك، وقد أشهرت تلك اللوحة لدى علماء الآثار بــ (صورة اعداء الإسلام). ينظر:

Creswell, K.A, Ashort account of Early muslim Architecture, pelican Books 1985, p. 91-92.

(3) خلــيفة بــن خــياط، تاريخ، 1/ 304؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 615؛ الطبري، تاريخ، 6/ 483.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 618.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص 620 وما بعدها.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص 620.

وفــي بــلاد مــا وراء نهر جيحون[1] فإن التحديات الصادرة من سكان تلك الأقالــيم علــى مــا يبدو كانت دافعاً رئيسياً وراء توجه المسلمين بفتوحهم إلى تلك الــبقاع، وقد أكد ذلك قتيبة بن مسلم الباهلي في خطبته الموجهة إلى جنده لما عزم علــى فــتح (آخرون) و (شومان) [2] إذ قال: ((إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويــذب بكم عن الحرمات))[3]، والى جانب ما تحمله هذه الكلمات من معان جهادية عمــيقة فإنهــا في الوقت نفسه تشير في مضمونها إلى أن غاية المسلمين هي درء المخاطــر الــصادرة مــن اعداء الإسلام هناك، التي تأكدت في معركة بيكند سنة (87هــ/ 705م) هذه الوقعة العنيفة التي تجمع فيها الصغد ومن حول المدينة لصد المــسلمين واعتراضهم، بعد أن استجاشهم اهل بيكند والتي اسفرت عن فتح المدينة وانتــصار المــسلمين[4]، ثم اعيد فتحها مجدداً بعد أن ثارت على المسلمين ونقض اهلها الصلح الذي عقدوه معهم[5].

ولم يكن اهل بيكند وحدهم مصدر التحدي للإسلام في المشرق، بل تواصلت الاقــوام الأخــرى هــناك من صغد وترك واهل فرغانه يشكلون تهديداً لاستقرار الإسلام وأمن الأقاليم الشرقية خلال عهد الوليد بن عبد الملك[6].

وإلــى جانب المقاومة العسكرية والتصدي المباشر للمسلمين، يبدو أن سكان اقالــيم مــا وراء النهــر قــد استغلوا الطبيعة الجغرافية لبلدانهم- شأنهم شأن أهل

([1]) نهر جيحون: وادي في خراسانّ وسط مدينة يقال لها جيهان فنسبه الناس اليها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/196- 197.

([2]) آخــرون: لم اعثر على تعريف بها. شومان: بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون وهو من ثغور الإسلام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 373- 374.

([3]) الطبري، تاريخ، 6/ 242؛ ابن أعثم، الفتوح، 7/ 217.

([4]) الطبري، تاريخ، 6/ 430- 431.

([5]) الطبري، تاريخ، 6/ 430- 431.

([6]) ينظر: الطبري، تاريخ، 6/ 436- 437؛ ابن أعثم، الفتوح، 7/ 223؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 4/ 533.

أرمينية- في معاودة الانتفاض بعد الصلح والموجب لإعادة الفتح، إلى جانب ما قد ينتاب دولة الإسلام من وهن وفتور نسبي في فتوحها لسبب أو آخر، ففي هذا السياق يحدثنا النرشخي عن جهود قتيبة بن مسلم في رد التحديات وتثبيت السيادة الإسلامية على بخارى بقوله: ((وكان قتيبة قد حملهم على الإسلام ثلاث مرات ثم عادوا فارتدوا وكفروا وقد حارب قتيبة هذه المرة الرابعة واستولى على المدينة واظهر الإسلام بعد عناء كبير وغرسه في قلوبهم وشدد عليهم بكافة الطرق، وكانوا يقبلون الإسلام في الظاهر ويعبدون الأصنام في الباطن))[1]، ويعكس هذا النص بلا شك مدى التحدي العقائدي القائم على تعلقهم بعبادة الاصنام وتمسكهم بها، وكرههم الشديد لمبدأ التوحيد الذي حمله اليهم الإسلام، وإسلامهم في الظاهر تعوذاً من الجزية، إلا انه بالرغم من ذلك لم يكن على الولاة ان يفرضوا عليهم بالقسر لقوله تعالى ((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ))[2]، وبذا تكون اجراءات قتيبة تلك تهدف إلى فرض وتثبيت السيادة العربية الإسلامية وتهدف إلى كسب اولئك السكان الوثنيين مع الأيام إلى الإسلام.

ويأت اجتماع ملوك ما وراء النهر مجدداً بعد ان استنفرهم أهل سمرقند التي نقضت صلحها الأول مع المسلمين- كما اوضحت ذلك خطبة قتيبة-، ليعبر عن مدى التحدي العقائدي والسياسي الرافض للوجود الإسلامي هناك، ولذا كان على المسلمين فتح كل من الشاش وفرغانة بعد ان فتحوا سمرقند ثانية[3].

---

(1) تاريخ بخارى، ص 73؛ عن مظاهر التحدي الموجبة فتح بخارى والمرافقة له ينظر: الطبري، تاريخ، 6/ 349، 442- 441؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 535، 542.

(2) سورة البقرة، آية 256.

(3) الطبري، تاريخ، 6/ 472- 476؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 572؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 3/ 326.

بالرغم من وصول الإسلام إلى كاشغر[1] على مشارف الصين على يد قتيبة بن مسلم وجنده، إلا ان سكان المشرق وملوكهم المحليين باتوا يستغلون كل فرصةٍ من شأنها إنهاء الوجود العربي الإسلامي على اراضيهم، وقد اشار إلى هذه الحقيقة نـصر بـن سـيار الكناني (ت 131هـ) عامل الخليفة هشام بن عبد الملك على خراسـان لمـا عمّت الفوضى هناك بسبب الصراعات القبلية بين المسلمين أواخر العصر الأموي، بقوله[2]:

مـا بـالكم تلقحون الحرب بينكم	كأن أهل الحجا عن مغلكم غيب
وتتـركون عـدّوا قـد أظلكـم	ممـن تأشـب لا دين ولا حسب
قـوماً يديـنون ديناً ما سمعتُ به	عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمـن يكن سائلي عن اصل دينهم	فـإن ديـنهم ان تقـتل العرب

ولا شـك فإن مظاهر التحدي الصادرة ممن بقي على دينه من أمم المشرق والمـوجهة ضد المسلمين هي التي دعت نصر بن سيار إلى حث العرب المسلمين هـناك علـى نبذ عدائاتهم القبلية والتصدي لاعداء الإسلام، تلك التحديات العقائدية والسياسية التي استمرت إلى ما بعد العهد الأموي وفي أيام العباسيين[3].

([1]) كاشـغر: وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر اليها من سمرقند وهي وسط بلاد الترك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 430.

([2]) نـصر بـن سيار الكناني، ديوانه، جمعه وحققه: عبد الله الخطيب، ط1، مط شفيق، (بغداد 1972م)، ص 28- 29؛ النص، الصعبية القبلية، ص 362- 363.

([3]) قـال البلاذري: ((وغلب (سنفاذ) على الري وعاد إلى المجوسية فلم يأته مجوسي يدّعي على مـسلم شـيئاً ألا يقضي له به، وأخذ صبياً فذبحه وشواه واطعم اباه لحمه، وكان يقتل العرب بالخـشب، وكـتب إلـى ملك الديلم انه قد أنقضى ملك العرب، فخفّ اليه في ديالمته واجتمع المـسلمون فقاتلوهم فقتل في المسلمون بشر كثير.. فوجه المنصور جمهور بن مرار العجلي لمحاربـة سنفاذ فلما صار اليه حضّ اصحابه على الصبر فقال: أنكم تريدون قتال قوم يريدون محق دينكم)). أنساب الاشراف، ق3، العباس بن عبد المطلب وولده، ص 246.

التحديات على جبهة الشام والمناطق الشمالية

لم يكن خافياً على المسلمين في مطلع العصر الراشدي حجم الخطر البيزنطي وما يستوجب الرد عليه من أعداد العدة وجمع الجموع بحكم ما أظهره البيزنطيون من تحشد واستعداد لصد المد الإسلامي، فكان على الخلافة الإسلامية ان تكون بمستوى التحدي وهذا ما أوضحته مشورة عبد الرحمن بن عوف للخليفة ابي بكر (رضي الله عنه) لما عزم على ارسال الجيوش إلى الشام[1]، وتهيب المسلمين وتوجسهم من التوجه إلى هناك في بداية الأمر كما أشار إلى ذلك الأزدي[2] واليعقوبي[3].

وقد أكدت أحداث الفتح عموماً ما بدى من مؤشرات التحدي البيزنطي للإسلام والهادفة للقضاء عليه والحيلولة دون مضيه إلى الأمم الأخرى، منذ الأيام الأولى حين اعترضوا طلائع المسلمين بقيادة خالد بن سعيد بن العاص واضطروه إلى مدافعتهم والرد عليهم عملاً بوصية ابي بكر (رضي الله عنه) له بان ((لا يقاتل إلا من قاتله))[4]، ووقعة البيزنطيين مع يزيد بن ابي سفيان ومن معه عند أطراف تبوك التي انتهت بهزيمة البيزنطيين[5]، علماً ان الخليفة الصديق كان قد أحس بعظم الخطر الرومي على المسلمين حين أوصى يزيد قائلاً: ((فاذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً عن الحملة فإني لا آمن عليك الجولة))[6] وهو ما حدث فعلاً، وكذلك رد الفعل

([1]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص 3-5.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 3-5.

([3]) تاريخ، اليعقوبي، 2/ 123.

([4]) الطبري، تاريخ، 3/ 388؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 137.

([5]) الواقدي، فتوح الشام، 1/ 10- 13؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 150- 151؛ الطبري، تاريخ، 3/ 406.

([6]) ابن قتيبة، عيون الاخبار، 1/ 108.

البيزنطـــي لما علموا بتوجه المسلمين لتحرير الشام والمتجسد بخطب هرقل القائمة على تحريض جنده على مواجهة المسلمين ومنعهم من تحقيق اهدافهم[1].

ويعـــد أجـــتماع الروم في اجنادين (13هـــ/ 634م) [2] لقتال المسلمين تأكيداً علـــى عزم الروم على ردهم من حيث أتوا، استجابة لأوامر هرقل بذلك، الذي أعد لقـــتال المسلمين ((الجنود وعين لهم العساكر وأراد أشغال بعضهم عن بعض لكثرة جـــنده))[3] واجتمع زهاء مائة الف من الروم ((سرب هرقل اكثرهم وتجمع باقوهم مـــن النواحـــي))[4] وقد أفصحت مراسلات القادة المسلمين مع الخلافة حينذاك عن أبعـــاد وعظم التحديات البيزنطية[5]، ففي كتاب خالد ابن الوليد إلى الخليفة ابي بكر وصـــفاً لعمـــق الـــتحدي العقائـــدي بين الإسلام والنصرانية التي تذود عن حماها الامبراطورية البيزنطية: ((ايها الصديق إنا لقينا المشركين بموضع من ارض الشام يقال له اجنادين وقد جمعوا لنا جموعهم ورفعوا صلبانهم ونشروا اناجيلهم وتقاسموا بإيمانهم أنهم لا يفرون ولا يرجعون ولا ينصرفون حتى يقتلونا ويبيدونا))[6].

ولم تكن هزيمة الروم في أجنادين لتقطع دابر الخطر البيزنطي على الإسلام، يؤكد ذلك ما حل بهم من هزيمة أخرى في فحل 13هـــ/ 634م في خلافة الفاروق عمـــر (رضـــي الله عنه) بعد أن كان هرقل (610- 641م) قد استنفر الروم واهل

([1]) ينظر: الواقدي، فتوح الشام، ص 16- 17؛ الازدي، فتوح الشام، ص 29؛ ابن أعثم، الفتوح، 1/ 100؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 227.

([2]) عن أهمية هذه الوقعة واثرها في فتح الشام ينظر: طه، صلاح الدين، معركة اجنادين واثرها في فتوح الشام، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30 لسنة 1986م، ص 273- 279.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 392؛ ابن أعثم، الفتوح، 1/ 100؛ عن اسباب الخلط في رواية الطبري ما بين احداث اجنادين واليرموك، ينظر: حداد، جورج مرعي، فتح العرب للشام بحث تاريخي انتقادي تحليلي، المنشورات الجامعة، (بيروت 1984م)، ص 45.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 156؛ كذلك الأزدي، فتوح الشام، ص 29- 30، 84.

([5]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص 13، 87؛ الطبري، تاريخ، 3/ 417.

([6]) ابن أعثم، الفتوح، 1/ 148.

الجزيرة وبعث عليهم رجلاً من قادته لقتال المسلمين وردهم[1]، بعد ان اصرّوا على رفـض دعـوة المسلمين لهم إلى الإسلام واظهروا عزمهم على صدهم كما أوضح ذلـك جـواب ترجمانهم لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) رسول المسلمين اليهم[2]، وكـذلك نـص كتاب عمرو بن العاص الى ابي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) بهذا لشأن[3].

وتـتأكد عـزيمة المسلمين ورغبتهم في دفع المخاطر البيزنطية عن الدعوة الإسلامية كل يوم مع اندفاعهم في فتوحهم إلى أمام، كدافعٍ رئيس من دوافع فتحهم الشام إلى جانب دوافع الفتح الاخرى، وهو امر يمكن ملاحظته في مقولة القائد ابي عبيدة للمسلمين بعد نصرهم في فحل التي مفادها: ((فإن قدرنا أن نزيل ملكهم عن مكانـه الذي هو فيه والله نفاه لم يبق في الشام قرية ولا مدينة إلا سالمت وصالحت وأعطت الجزية ودخلت في الطاعة))[4].

يكشف هذا النص بلا شك أن مكامن الخطر البيزنطي على الإسلام في الشام ونواحـيها يعتمد على بقاء هرقل بين ظهرانيهم، فهم يشعرون بان وجوده يعطيهم الامـل في البقاء في تلك الربوع، ويستمدوا من ذلك القوة على المقاومة والصمود امـام زحف الجيوش الإسلامية وهو امر يمكن لمسه من خلال رسالته لأهل دمشق الـذين طـال عليهم حصار المسلمين وابدوا رغبتهم بالاستسلام[5]، واستجلابه أمم النصرانية في اليرموك سنة 15هـ/ 636م لقتال المسلمين املاً في اجتثاث الوجود الإسـلامي، وأمام عظمة الحشود البيزنطية أن ينسحبوا عن الأماكن التي حرروها

---

(1) الـبلاذري، فتوح البلدان، ص 158؛ الطبري، تاريخ، 3/ 434- 435؛ ابن جعفر، الخراج، ص 289.

(2) ابن أعثم، الفتوح، 1/ 180؛ ينظر ايضاً الأزدي، فتوح الشام، ص 117- 118.

(3) الأزدي، فتوح الشام، ص 107.

(4) الأزدي، فتوح الشام، ص 144.

(5) الأزدي، فتوح الشام؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/153.

قـبل ذلـك خشية قطع الامداد بينهم وبين مقر الخلافة في المدينة المنورة[1]، إذ أن هرقل بعد كل هزائمه السابقة أمامهم ارسل ((إلى رومية والقسطنطينية والى كل من كان من جنوده وعلى دينه من اهل الجزيرة وأرمينية وكتب إلى عماله أن يحشروا الـيه كل من كان أدرك الحلم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلى الشيخ الفاني فاقبلوا إليه وجاء منهم ما لا تحمله الارض))[2].

وكـان القـادة المسلمون يشعرون بعظم تلك التحديات، من خلال ما حصلوا علـيه مـن معلـومات عن عزم الروم على القضاء على قوات المسلمين بصورة ناجـزة، فجـاءت مراسلات القائد ابي عبيدة لتصور للخليفة عمر (رضي الله عنه) خطـورة المـرحلة[3]. ومن يبحث في تفاصيل صفحات القتال في اليرموك، يدرك جـيداً أن كلا الطرفين كان مصراً على قهر الطرف الآخر ومحو وجوده من تلك المنطقة نهائياً، فكانت اليرموك تعد معركة تحدٍ فاصلة في التاريخ[4]، إذ أن انتصار المـسلمين فيها يمثل الانحدار النهائي للروم وابعاد خطرهم المباشر على الإسلام، وهو الذي فتح الباب على مصراعيه امام المسلمين ليتموا فتح باقي مدن الشام التي اخـذت تتهاوى تباعاً، وهو أمر تطلبته مبررات حماية حدود الإسلام لاسيما بعد ما ودع هـرقل الشام بعبارة تنم عن عزيمة الروم على مواصلة الصراع مع المسلمين حتـى يستعيدوا ما حرروه، إذ قال: ((عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره وهو عائد))[5].

([1]) الأزدي، فـتوح الشام، ص 155؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 187؛ بدران، تهذيب تاريخ دمشق، 1/ 162.

([2]) الأزدي، فتوح الشام، ص 152؛ ابن أعثم، الفتوح، 1/ 220.

([3]) ينظر: الأزدي، فتوح الشام، ص 180؛ ابن أعثم، الفتوح، 1/ 230- 231؛ صفوت، جمهرة خطب العرب، 1/ 181- 182.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 184؛ الطبري، تاريخ، 3/ 571.

([5]) الطبري، تاريخ، 3/ 603.

إزاء ذلك كان على جند الإسلام ان يندفعوا على اكثر من جهة لحماية فتوحهم بالشام واستكمالاً لذلك الفتح، ودفعاً للخطر البيزنطي ولكي لا يعاودوا هجومهم، اندفع المقاتلة المسلمون لتحرير السواحل الشامية كما أفصح عن ذلك كتاب الخليفة عمر (رضي الله عنه) ليزيد بن أبي سفيان الذي جاء فيه: ((ثم سر إلى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فإنه لا ينبغي افتتاح ما أفتتحتم من ارض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم وانه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته متبعاً ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام))[1].

وبذلك يكون الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد أدرك الأهمية السوقية والتعبوية للمدن الساحلية الشامية ومنها قيسارية، وما يمثله فتحها من قطع رجاء الأمبراطور البيزنطي في استعادة السيطرة الرومية على الشام، ولم تزل تلك المدن محط اطماع البيزنطيين حتى بعد إتمام فتح الشام ونواحيه في العصر الراشدي، حيث استغل الروم مدة الاضطراب في خلافة عبد الملك بن مروان اثناء فتنة ابن الزبير وعاودوا الإغارة على السواحل الشامية وخربوا عسقلان وقيسارية واجلوا سكانهما وهدموا المساجد[2]، مما استوجب الرد على مثل تلك الاعتداءات الرومية على حدود دولة الإسلام كما سنرى.

وضع الفتح الإسلامي لبلاد الشام وإقليم الجزيرة وأرمينية ومصر وبلاد المغرب العربي المسلمين وجهاً لوجه أمام البيزنطيين العدو الرئيس لهم، والمحتل السابق لتلك النواحي الذي طالما عمل جاهداً لإعادة احتلالها ودفع المسلمين عنها، ونتيجة لما بدر من مظاهر الخطر البيزنطي- كما حدث مع معاوية أيام صفين-[3]،

([1]) الأزدي، فتوح الشام، ص 276.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 194- 195.

([3]) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 5/ 93- 94؛ البلاذري، انساب، 2/ 323؛ فتوح البلدان، ص 318؛ ابن كثير البداية والنهاية، 8/ 119؛ حميد الله، الوثائق، ص 395.

وتدخل الامبراطور الرومي هرقل المباشر سنة (34- 35هـ/ 654م) في ارمينية للوقوف بوجه الفتح الإسلامي لها بعد فشل محاولاته السابقة لحمل حاكم قليقية لأجل التصدي للمسلمين[1]، وما كان من تصدي الأسطول الرومي لسفن المسلمين في ذات الصواري 34هـ/ 654م[2]، كل تلك الأحداث اضافة إلى ما كان منهم أيام فتوح الشام ومصر جعلت الخليفة معاوية يدرك تماماً أن بقاء دولة الإسلام وتثبيت وجوده في الأراضي المحررة يمل على المسلمين القضاء على مصدر الخطر الرومي باسقاط القسطنطينية وانهاء دولة الروم الشرقية.

لذا شرع بتوجيه الحملات العسكرية إليها سنة 49 وقيل 50هـ/ 670 بعد أن أعد الأسطول اللازم لذلك واختبر طرقها بالصوافي والشواتي[3]، وقد كانت للمسلمين وقعات برية وبحرية قدموا فيها تضحيات غالية جراء صمود الروم وحصانة دفاعاتها حتى بدأ الحصار الفعلي لها سنة 54هـ/ 673م بوصول الحملة البرية البحرية التي عززت باسطول آخر بقيادة جنادة بن أمية من جريرة أرواد[4][5] وعلى الرغم من إصرار المسلمين على فتح تلك المدينة المنيعة بحصارهم لها مدة طويلة وقتالهم الروم في معارك ضارية؛ إلا انهم اضطروا إلى الانسحاب أمام حصانة المدينة وموقعها الدفاعي والظروف المناخية الصعبة مع

---

(1) العبد الغني، أرمينية، ص 74.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 190؛ فتوح مصر والمغرب، ص 256؛ الطبري، تاريخ، 4/ 290-292؛ مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 286-288.

(3) مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 289- 290؛ العدوي وسالم، تاريخ، البحرية، ص 31- 32.

(4) قدامة ابن جعفر، الخراج، ص 351؛ ابن أعثم، الفتوح، 2/ 145.

(5) ارواد: جزيرة في البحر قرب القسطنطينية فتحها المسلمون سنة 54هـ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 162.

حلول الشتاء، وأمام النار الأغريقية[1]، ذلك السلاح المحرق الذي لم يألفه المسلمون من قبل ولطول مدة الحصار التي بلغت ستة أعوام (54- 60هـ/ 673- 679م)، وعقدوا هدنة مدتها ثلاثون عاماً مع اعدائهم الروم[2].

وبهـذه الحملــة أثبت المسلمون عزمهم على رد التحديات الرومية واستخدام الهجــوم كأحــسن وسيلة للدفاع، حماية لدينهم وديارهم واثبتوا للروم مقدرتهم على مهاجمــتهم في عقر دارهم كلما استوجب الامر ذلك، وهو ما حدث فعلاً في خلافة سليمان بن عبد الملك (96- 99هـ/ 715- 717م) إذ أن الحصار الأول لم يضع حداً للمخاطر الرومية على الإسلام مستغلين كل حالة فتور ووهن قد تنتاب الخلافة وهــو مـــا حدث أيام فتنة ابن الزبير (69- 73هـ/ 688- 693م)، إذ استغلوا هم وســواهم من اعداء الإسلام[3] تلك الفرصة لضرب الإسلام واستعادة بعض المواقع المحررة ولاسيما المدن الساحلية، بل أن المصادر الإسلامية أشارت إلى أن الخليفة عــبد الملك اضطر لاتقاء خطر الروم على الشام ان يصالح ملكهم جستنيان الثاني

([1]) الــنار الأغــريقية: هــي مــزيج معقد من تراكيب متعددة أهمها الجير الحي والنفط والقار والكبريت وعندما تشعل مكوناتها وتطلق بواسطة القذافات الأنبوبية اليدوية (الزراقات) وتلمس الماء لا تنطفئ بل يشتد اشتعالها.

ينظر: الجبوري، محمود عباد، اسلحة الصحار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1986م، ص 79- 80، 166- 167.

([2]) مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 290- 292؛ العدوي وسالم، تاريخ البحرية، ص 32.

([3]) روى ابــن قتيــبه عن المدائني أنه، "لما أشتغل عبدالملك بمحاربة مصعب بن الزبير اجتمع وجوه الروم إلى ملكهم فقالوا: قد أتتك الفرصة من العرب بتشاغلهم بعضهم ببعض فالرأي أن تغزوهم في بلادهم"، عيون الأخبار، 2/ 116؛ ينظر ايضاً: أخبار مجموعة، ص 13؛ دكسن، الخلافة الاموية، ص 200- 201.

(685- 695م) علـــى أن يـــؤدي المسلمون اليه في كل جمعة الف دينار[1] بعد ان تعـــاون معهـــم الجـــراجمة سكان جبل اللكام واصبحوا يهددون الثغور والسواحل الإســـلامية بالـــشام[2] بالإغارة عليها ((واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف واللاحـــق ومن قدروا عليه ممن في اواخر العسكر))[3] والذين واصلوا تعاونهم مع الروم إلى سنة 89ه/ 707م أيام الوليد بن عبدالملك[4].

فاضطر المسلمون إلى معاودة الهجوم على القسطنطينية سنة 98هـــ/ 717م فـــي خلافـــة سليمان بن عبدِ الملك الذي أصر على فتحها هذه المرة- إنهاءً لعامل الـــتحدي المـــستمر- حين ((أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتّى يدخل الجيش الذي وجهـــه إلـــى الـــروم القـــسطنطينية))[5] أثناء نزوله دابق[6] وبعد ان كان قد وجه الحمـــلات العـــسكرية لاستعادة ما احتله الروم من مناطق على جبهة القسطنطينية، وبعـــد أن علم بتحرك الروم بأرضها لمهاجمة حدود المسلمين[7]، وقد سبق للخليفة الولـــيد- وقـــبل وفاته- أن ارسل سنة 88هـــ/ 707م حملة إلى هناك بقيادة الأمير

([1]) الـــبلاذري، فـــتوح الـــبلدان، ص 218؛ الطبـــري، تاريخ، 6/ 150؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 306؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 1/ 37.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 218.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 220- 221.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 220-221.

([5]) الطبـــري، تـــاريخ، 6/ 531؛ روى الذهبـــي ان سليمان بن عبد الملك لما همّ بالإقامة ببيت المقـــدس ســـنة 98هــــ "جاءه الخبر أن الروم خرجت على سواحل حمص فسبت جماعة فيها امـــرأة لهـــا ذكر فغضب وقال: ما هو الا هذا نغزوهم ويغزونا والله لأغزونهم غزوة افتح بها القسطنطينية أو أموت دون ذلك" تاريخ الإسلام، 3/ 331.

([6]) دابـــق: قـــرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان.مادة: دابق

([7]) ينظر: ابن أعثم، الفتوح، 7/ 167- 170، 184 وما بعدها.

مسلمة بن عبد الملك فتحت طوانة[1] ولتأمين الطريق إلى قسطنطينية[2]، كما فتح المسلمون مناطق أخرى على تلك الجبهة[3].

دون الدخول في تفاصيل الحصار[4] الذي قاده مسلمة بن عبدالملك، وأنتهى سنة 99هـ/ 718م بعد أن تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز، يمكن القول أن فرض الحصار على عاصمة الروم لأكثر من مرة ولفترات طويلة يعد مؤشراً حقيقياً على عظم التحديات واستمراره، ويدل على أن الروم لا يمكن ان ينسوا أو يتجاهلوا أهمية المناطق التي حررها المسلمون من أيديهم، إذ لم يتبقى لهم أي موطئ قدم في آسيا الصغرى والأجزاء الشرقية من حوض البحر المتوسط، فعيونهم ترنوا دائماً نحو تلك المناطق الهامة.

علاوة على كل ما تقدم، فإن المسلمين كان عليهم مواجهة التهديدات البيزنطية القادمة من إقليم الجزيرة الفراتية وتأمين فتوحهم بالشام، لاسيما بعد أن تبين لهم ما يشكله سكان تلك النواحي من خطر عليهم بوصفهم المعين الذي يرفد الروم بالمقاتلة في صراعهم مع المسلمين كما اتضح ذلك في معركة اليرموك، وتحرك أهل الجزيرة واستشارتهم هرقل وقواته ومشاركتهم إياهم اثناء حصارهم لحمص سنة 17هـ/ 638م على ما يروي الطبري[5] لأجل احتلالها مجدداً، وتحرك الروم بزعامة (الانطاق) وتجمعهم لمهاجمة المسلمين في تكريت والموصل قبل ذلك سنة (16هـ/ 637م)[6] وما يمثله ذلك من خطر عليهم في الشام

([1]) طوانة، بلد بثغور المصيصة. ياقوت الحموي، معجم البلدان.

([2]) الطبري، تاريخ، 6/ 434؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 531.

([3]) ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 547.

([4]) حول تفاصيل الحصار ينظر: العيون والحدائق، 3/ 24- 33؛ مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص292- 297؛ الجبوري، اسلحة الحصار، ص 106- 107.

([5]) تاريخ الرسل والملوك، 4/ 50- 53.

([6]) الطبري، تاريخ، 4/ 24، 35- 36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 71؛ الأشرف الغساني، العسجد، ورقة 45؛ Posner, Op. Cit, p.p] 317- 324.

والعراق، إزاء كل ذلك توجه جند الفتح نحو اقليم الجزيرة واتموا فتحه بعد مقاومة طفيفة هنا وهناك ما بين السنوات (17- 19هـ/ 638- 640م) على ما روت المصادر[1].

وللأسباب آنفة الذكر ورداً على ما أسهم به أهل ارمينية من دعم مادي وبشري للفرس والروم معاً ضد المسلمين توجهوا لفتحها بعد إتمام فتح الجزيرة، فقد ذكر أنه في ((معركة القادسية شاركت فرقة من الأرمن مع الجيش الفارسي ضد المسلمين بقيادة موشيل ماميكونيان كما كانت هناك فرقة أخرى من الأرمن بقيادة جريجور السيوني وقد قتل كلا القائدين))[2]، واشترك أهل أرمينية مع الروم في اليرموك (15هـ/ 636م)، في فرقة قوامها اثنا عشر الف مقاتل[3]، واسهم أهل الباب من أعمال ارمينية مع الفرس خلال تجمعهم لصد المسلمين في نهاوند (21هـ/ 642م)[4]، فضلاً عن كل ذلك كانت ضرورات درء الخطر الساساني القائم حينذاك توجب على المسلمين فتح هذا الإقليم سواء من ناحية العراق ام من ناحية الشام، للترابط الوثيق بين صمود أهل أرمينية بوجه المسلمين ومطاولة الفرس وتحديهم لهم، كما افصح عن ذلك الطبري بقوله: ((وكان فرجاً عظيماً- يقصد أرمينية- به جند عظيم إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ثم يضعون الحرب أو يبعثونها))[5].

لم يكن فتح أرمينية بالأمر الهين لما ابداه سكانها من مقاومة عنيفة عكست عزمهم على رد الإسلام والمسلمين، ففي هذا السياق وعلى سبيل المثال روي أن

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 236- 244؛ الطبري، تاريخ، 4/ 50- 56.

([2]) ينظر: العبد الغني، أرمينية، ص 47.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 570؛ ينظر ايضاً: الأزدي، فتوح الشام، ص 151.

([4]) الطبري، تاريخ، 4/ 120.

([5]) الطبري، تاريخ، 4/ 157.

بطـــريق (ارميناقس)[1] لما علم بإقامة المسلمين بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري في قاليقلا[2] بعد فتحها، جمع للمسلمين جمعاً عظيماً ((وانضمت اليه امداد اللان وأفخار وســمندر من الخزر))[3]، مما اضطر المسلمين من جند الشام والعراق إلى التعاون ســوية بغية مواجهة هذا الخطر ودفع الفتح إلى أمام وقد هزموا وانتهت تلك الوقعة بانتصار المسلمين سنة (24هـ/ 644م) [4].

علاوة على المقاومة العسكرية فإن الطبيعة الجبلية لهذا الأقليم قد أسهمت في تعزيز تحدي أهل ارمينية للإسلام، من خلال حالات الانتقاض المتكررة بعد الصلح مــتخذين مــنها مــلاذاً آمناً يمكنهم من مواصلة خروجهم وعصيانهم على السيادة الإســلامية لأطول مدة ممكنة، فضلاً عن ما كانوا يتلقونه من المساعدات الرومية التـــي أســـهمت فـــي دعم صمودهم بوجه المسلمين، وبما يحول دون قيامهم بعمل عسكري منظم على طول جبهة أرمينية[5]، التي تعد شاهداً آخر على مقدار ما يكنه الروم من عداء للدولة العربية الإسلامية.

وأن اســتمرار المعارك بين المسلمين واهل ارمينية خير شاهد على تواصل حالة التحدي، ومن أمثلة تلك المعارك وقعة حبيب بن مسلمة الفهري في ذات اللجم مع أهل الديبل[6]، واستشهاد سلمان بن ربيعة الباهلي ومن معه فيما بعد خلف نهر

([1]) آرميــناقس: هي بلاد ملطية وسيواس وقونية وما والاها من البلاد إلى الخليج القسطنطينية؛ ينظــر: إبــن الاثيــر، الكامل، 3/ 84؛ خطاب، محمود شيت، سلمان بن ربيعة الباهلي فاتح ارمينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 23 لسنة 1973م، ص 240- 254.

([2]) قاليقلا: منطقة بارمينية العظمى من نواحي خلاط، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 299.

([3]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 278.

([4]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 278؛ الطبري، تاريخ، 4/ 247- 249.

([5]) ينظر: العبد الغني، أرمينية، ص 68.

([6]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 282.

بلنجر على يد خاقان بعد انتقاض أهل مدينة باب الأبواب[1]، وانتقاض أهل ارمينية خلال فتنة ابن الزبير ايام عبد الملك بن مروان[2].

وإتسم فتح أرمينية وما يتبعها بتعدد مراكز التحدي للدولة العربية الإسلامية، لكثـــرة الـــشعوب واخـــتلاف أعراقها، إذ استمرت تلك الشعوب في تحديها للإدارة الإســـلامية، تـــدفعهم الى ذلك دوافع مختلفة- على ما يبدو- منها تحريض الروم، وطبـــيعة الأرض الوعـــرة، وبعـــد المسافة وصعوبة الاتصالات والامدادات، لذلك تواصلت الحروب سجالاً بين سكان أرمينية والمسلمين[3]، ففي سنة 112هــ/ 730 م جمعـــت الخزر جموعاً كثيرة وسارت ناحية اللان[4] فاضطر الجراح بن عبد الله الحكمي- الذي كان قد دخل بلادهم غازياً وهزمهم قبل ذلك- وجنده الى مقارعتهم فـــي مـــرج أردبـــيل، إلا ان المعركة انتهت باستشهاده واسر من بقي من حيّاً من المـــسلمين وعيالاتهم[5]، مما أملى ذلك على الدولة العربية الإسلامية أن ترد على تلـــك الـــتحديات بارسال سعيد بن عمرو الحرشي ومن اجتمع اليه من الاجناد رداً على التحدي وحمايةً لحدود الإسلام واستنقاذاً لمن اسر من المسلمين[6].

([1]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 286- 287؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 293.

([2]) البلاذري، فتوح البلدان، ص 298، أشار د. صلاح الدين امين طه الى ان تلك الحادثة كانت ســـنة 70هــ/ 689م، ينظر: استيطان القبائل العربية في أرمينية، رسالة الخليج العربي، العدد 20 لسنة 1986م، ص 203.

([3]) ينظر: الأزدي، تاريخ الموصل، ص 27.

([4]) الـــلان: بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 8/5.

([5]) الطبري، تاريخ، 7/ 70؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص 30- 32؛ ابن أعثم، الفتوح، 8/43- 46؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 5/ 158- 159.

([6]) الـــبلاذري، فـــتوح الـــبلدان، ص 290؛ الطبري، تاريخ، 70/7؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص30- 32؛ ابن أعثم، الفتوح، 8/ 43- 46.

إزاء كـــل تلك التحديات وما أعقبها[1]، أضطر الخلافة الأموية حماية لحدود الإســـلام وتثبيـــتاً للإســـلام في تلك النواحي- كما فعلوا في خراسان قبل ذلك- ان تسكن اربعة وعشرين ألف مقاتل من أهل الشام في مدينة الباب[2]، كونها تمثل منفذ الخزر الرئيسي للدخول الى أرمينية لذا وجب عليهم أتخاذ مثل ذلك الإجراء[3].

وقـــد اســـتمرت حالــــة التحدي في تلك النواحي طوال خلافة هشام بن عبد الملك[4] وما بعدها بل الى أيام العباسيين[5].

التحديات على جبهة مصر والمناطق الغربية

مـــثلما تطلـــب حماية الفتح الإسلامي في الشام من المسلمين الإندفاع خلف الـــدروب باتجـــاه القسطنطينية ونحو أقليم الجزيرة وارمينية وما يتبعها، كان عليهم ايـــضاً ان يـــتجهوا بفـــتوحهم نحـــو مـــصر التي كانت جزءاً مهماً من ممتلكات الامبـــراطورية البيـــزنطية وقتذاك وليس من المنطقي ان يتوغلوا بعيداً في فتوحهم لـــتلكم الجـــبهات ويتركوا القوات الرومية خلفهم في مصر تشكل عامل تحدٍ خطير يهدد قواعدهم الأساسية في الشام وربما يهدد ايضاً مقر الخلافة في المدينة المنورة بحكـــم قرب المسافة بين البلدين ولامتلاكهم اسطولاً بحرياً كبيراً ومؤثراً خلافاً لما كان عليه حال المسلمين[6].

لذا وجب على الجند الإسلامي ان يفتحوا مصر قطعاً للصلة بينها وبين بقايا الجيوب الرومية بالشام وليحولوا دون وصول اية معونات او تعزيزات لهم بما يهدد

---

(1) قال الأزدي، عن احداث سنة 112هـ ((فيها بلغت الخزر الموصل حتى قربوا منها)) تاريخ الموصل، ص 32.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص 291.

(3) طه، صلاح الدين، استيطان القبائل العربية، ص 203.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص 291- 295؛ الأزدي، تاريخ الموصل، ص 32، 37- 40.

(5) البلاذري، المصدر نفسه، ص 294- 295.

(6) ينظر: مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 277- 278.

سلامة الوجود الإسلامي في الشام، وقد استشعر القائد عمرو بن العاص (رضي الله عنه)- على ما يبدو- كل تلك الأمور، ولهذا طلب من الخليفة عمر (رضي الله عنه) السماح له بفتحها في لقائه معه بالجابية بعد فتح بيت المقدس سنة 17هـ/ 638م قائلاً: ((يا أمير المؤمنين أئذن لي أن اسير الى مصر.. إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم))[1]، وإن هذا الإلحاح من عمرو بن العاص ناجمّ دون شك عن إدراكه لما ستشكله القوات الرومية في مصر من خطر على المسلمين لاسيما بعد هروب أرطبون- او كما يسميه بتلر اريطون-[2] حاكم بيت المقدس الى مصر أثر هزيمته بفلسطين[3] وما سيقوم به من تأليبهم ودفعهم لحرب المسلمين أملاً في استعادة ما فقده، كما يعكس طلب عمرو بن العاص فهمه للترابط المصيري بين مصر والشام في مختلف النواحي عبر التاريخ[4].

وعلى جبهة مصر كانت – ملة الكفر واحدة في تعاملها مع الإسلام ونظرتها إليه- إذ أشارت المصادر التاريخية إلى ما ينم عن عزم الروم ومن تحالف معهم هناك من اقباط مصر بزعامة المقوقس (قيرس) على رد المسلمين وتحديهم، من خلال استحضاراتهم الدفاعية من ترميم الحصون وحفر الخنادق[5] وتجهيز البعوث لصدهم[6]، بعد أن علموا بفتحهم الشام ومسيرهم اليهم، ويمكن تقدير مستوى التحدي من خلال دراسة محتوى رسالة المقوقس إلى القائد عمرو بن العاص وجنده التي كان ملؤها الإزدراء والاستخفاف بهم وتهديدهم بجموع الروم الزاحفة لردهم

([1]) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 55- 56؛ فتوح مصر والمغرب، ص80 – 81؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 137؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 5.

([2]) بتلر، فتح العرب ومصر، ص 160.

([3]) الطبري، تاريخ، 3/ 608.

([4]) حول ذلك الترابط ينظر: العبادي وسالم، المرجع السابق، ص 26- 28.

([5]) بتلر، فتح العرب ومصر، ص 154، 160- 175.

([6]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 58؛ فتوح مصر والمغرب، ص 84؛ السيوطي، حسن، 1/ 64.

والقـضاء علـيهم، فضلا عن رفضه دعوة المسلمين له إلى الإسلام او الجزية مما دفعهم الى مقارعته واجباره ومن معه على فتح حصن نابليون والإذعان للجزية[1].

وتأكـدت تحـديات الروم ورفضهم الفتح الإسلامي لمصر الذي من شأنه أن قضى على آمالهم في استعادة ما فقدوه مرة أخرى، من خلال استنكار الامبراطور هـرقل اذعـان المقـوقس لشروط الصلح مع المسلمين[2]، وقيامه بتجهيز الجيوش وبعـثها- بعد ذلك- واغلاق الاسكندرية بوجه المسلمين وايذانهم بالحرب[3]، حيث كانـت رسـله ((تختلف الى الأسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ان ذلك انقطاع الروم وهلاكهم))[4].

وبهـذا النص تتبين الأهمية البالغة لمصر عموماً والاسكندرية بشكل خاص بالنـسبة للـروم ولذا فلا غرابة- وكتعبير عن التحدي الرومي للإسلام- ان يكاتب أهل الاسكندرية من الروم ملكهم قسطنطين بن هرقل (641- 668م) ويؤلبوه على حـرب المـسلمين وينتقـضوا عليهم بعد فتحها، بعد أن بعث لهم ثلاثمائة مركب مـشحونة بالمقاتلـة والسلاح مع أحد قادته مما اضطر المسلمين الى اعادة فتحها مجدداً سنة 25 هـ/ 645م[5].

لـم ينه الفتح الإسلامي لمصر تحديات الروم المتواصلة ومطامعهم بممتلكات دولة الإسلام الفتيه، بل أن ضرورات الذود عنها وحماية سواحلها في مصر والشام مـن الهجمـات البحرية الرومية وحصراً للمجابهة معهم بالاطراف الشمالية للجزء

([1]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 68- 71.

([2]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 72؛ فتوح مصر والمغرب، ص 106.

([3]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 72.

([4]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 76.

([5]) خليفة بن خياط، تاريخ، 1/ 133؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 75؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص310؛ الطبري، تاريخ، 4/ 250؛ الكندي، ولاة مصر، ص 35.

الشرقي من البحر المتوسط وباتجاه القسطنطينية من خلال سيطرة المسلمين على الجزء الغربي أي شمال أفريقية[1].

كل تلك الاسباب- علاوة على الهدف الأسمى الجهاد في سبيل الله تعالى- كانت وراء اندفاع جند الفتح الإسلامي إلى أفريقية في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) رغم رفض الخليفة عمر غزوها قبل ذلك[2]، لحرصه الشديد على سلامة الجند وما عرف عنه من تروي وحكمة في اتخاذ مثل تلك القرارات وادراكه لما ستؤدي اليه مجابهتهم لأكثر من عدو في آن واحد التي تأكدت له من خلال تعاون الروم والبربر على صد القائد عمرو بن العاص وجنده عند فتحه لطرابلس سنة 22هـ/ 642م[3].

وأظهرت روايات الفتح الإسلامي لأفريقية على طول مدته في العهدين الراشدي والأموي مصداق ما ذهبنا اليه وأوضحت عمق التحديات الرومية البربرية لدولة الإسلام منذ الأيام الأولى للفتح، فقد روي أن عبد الله بن سعد بن ابي سرح أضطر في حملته على أفريقية سنة 27هـ/ 647م الى قتال جرجير الحاكم البيزنطي في سبيطلة[4] ومن معه من الروم هناك- بعد ان ناصب المسلمين العداء واظهر عزمه على مقارعتهم- ودحره في معركة عنيفة[5].

([1]) ينظر: السعيدي، عمر، الواجهة العسكرية للحضارة الإسلامية: فتح أفريقية جذوره السياسية وابعاده الاستراتيجية، مجلة دراسات تاريخية، العدد الخامس لسنة 1981، دمشق، ص 53.

([2]) ابن عبدالحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 172- 173.

([3]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 171- 172؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 112.

([4]) سبيطله: مدينة من مدن أفريقية يزعمون أنها مدينة جريجير الملك الرومي بينها وبين القيروان سبعون ميلاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 187.

([5]) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 183؛ طه، الفتح والاستقرار، ص 114؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصرة، ط3، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1960م)، ص 16؛ مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، ص 522.

ولكـــن بالرغم من ذلك فإن انشغال المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان (رضي الله عـــنه) [1] قـــد حفز الروم على معاودة احتلال ما حرره المسلمون من قبل في حملاتهـــم الأولى، وأن هذا الفعل بدوره أملى على الخلافة الأموية أن ترسل حملة عـــسكرية جديـــدة بقـــيادة معاوية بن حديج، الذي قاتل الروم في سوسه[2] وحصن جلولاء[3] وقضى على تحدياتهم هناك بين سنتي (45- 50هـ/ 665- 670م) [4]، إلا ان ذلك كله لم ينه الخطر الرومي البربري على الإسلام هناك وهي حقيقة اكدها عقـــبة بن نافع في ولايته الأولى على افريقية (50- 55هـــ/ 670- 675م) عندما شـــرع بتمـــصير القيروان سنة 50 هــ/ 670م بقوله: ((إن أفريقية اذا دخلها إمام أجابـــوه إلى الإسلام واذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله على الكفر فـــأرى لكـــم يـــا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهـــر))[5] مـــشيراً بذلك الى ضرورة العمل على تثبيت الوجود الإسلامي هناك، بايجـــاد قاعدة لأنطلاق المزيد من الفتوح التي من شأنها تحقيق ذلك الأمر، كما أن تأسيسه للقيروان بعيداً عن الساحل ضماناً لسلامتها من مخاطر الأساطيل الرومية وغيـــر بعيد في الداخل خشية هجوم البربر[6]، كلها تؤكد ما سبق ذكره، فضلاً عن

([1]) عنان، دولة الإسلام، ص 18- 19.

([2]) سوســـة: بلد بالمغرب وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/ 281.

([3]) جلولاء: مدينة مشهورة بأفريقية بينها وبين القيروان اربعة وعشرين فرسخاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 156.

([4]) خليفة بن خياط، تاريخ، 1/ 193؛ ابن عذارى المراكشي، ابو عبد الله محمد، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، نشر وتحقيق: ج. س كولان. إ. ليفي بروفنسال، مط بريل، (ليدن 1948م)، 1/ 17- 18.

([5]) ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، 1/ 19.

([6]) المالكـــي، ريـــاض الـــنفوس، ص 6-7؛ ابـــن عـــذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، 1/ 19- 20.

مــا قام به من اجراءات تاديبية ضد زعماء بعض المدن الافريقية المنتقضين على الإسلام[1].

ويبدو أن تثبيت الوجود والسيادة الإسلامية في افريقية الذي من شأنه أن يهدد السيطرة الرومية عليها، قد حفز الروم الى ان يعبروا مرة اخرى عن عدائهم الكبير للإسلام، مما حدا ذلك بالقائد أبي المهاجر دينار الذي تولى إمارة افريقية بعد إمارة عقبة الأولى سنة 55هـ/ 675م ان يتصدى لقبيلة أوربه البربرية حليفة البيزنطيين بــزعامة كــسيله قــرب تلمسان[2] ويهزمها هي ومن تحالف معها من البربر[3]، وتــصدى عقــبة بــن نافع في ولايته الثانية (55- 62هـ/ 675- 681م) للبربر والبيــزنطيين الــذين اعترضــوا مــسير الفتح الإسلامي في بلاد المغرب الأوسط والأقــصى فــي عــدة معارك وطدت نتائجها السيادة الإسلامية هناك[4]، حتى قيل ((ذهب عز الروم من الزاب وذلوا))[5]، ولكن كل ذلك لم يضع حداً للخطر البربري الرومــي ومــصداق ذلــك استشهاد عقبة بن نافع على يد البربر والروم عند قلعة تهــودا[6] سنة 62هـ/ 681م[7] واحتلالهم القيروان مرة أخرى سنة 65هـ/ 684م

([1]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 194- 195.

([2]) تلمــسان: مدينــتان بالمغرب متجاورتان بينهما رمية حجر احداهما قديمة والأخرى حديثة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 44.

([3]) ينظــر: المالكــي، ريــاض النفوس، 1/ 21؛ ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، 1/ 28- 29؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 125.

([4]) ينظر: الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 40- 41؛ ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ص 23- 29؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 105.

([5]) المالكي، رياض النفوس، 1/ 23.

([6]) تهودا: اسم قبيلة بربرية بناحية افريقية لهم ارض تعرف بهم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 64.

([7]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 198- 200؛ فتوح أفريقية والأندلس، حققه وقدم لــه: عــبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، (بيروت 1964م)، ص 58- 59؛ مجهول، اخبار مجموعة، ص 14؛ أبن الأثير، الكامل، 4/ 107- 108.

بعــد انــسحاب المــسلمين منها الى مصر بزعامة زهير بن قيس البلوي الذي لقي المــصير نفسه سنة 71هـــ/ 690م على يد مقاتلي الأسطول البيزنطي الذين نزلوا على الساحل الافريقي(1).

إزاء تلك الحرب السجال بين المسلمين واعدائهم البربر والروم التي عكست بوضوح إصرار الأخيرين على التماسك بمعاقلهم الحربية على الجبهة الغربية لدولة الإســلام أمــلاً في الحيلولة دون نشر الإسلام وسيادته هناك، والسعي لاستعادة ما فقدوا من ممتلكاتهم السابقة على يد المسلمين، إزاء كل ذلك كان على الدولة العربية الإسلامية أن توجه الجند لإتمام فتح تلك النواحي وانهاء حالة التحدي القائمة هناك بعد فراغها من مشاكلها الداخلية، وهو ما حدث على يد حسان بن النعمان الغساني فــي خلافة عبد الملك بن مروان الذي أرسل الى هناك سنة 73هــ/ 693م(2)، وما أعقــب ذلك من فتوح على يد موسى بن نصير في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي قضى على آخر مظاهر التحدي البيزنطي في بلاد المغرب العربي(3).

بعــد أن وصــل المسلمون سواحل البحر المحيط في أقصى إتساع لهم على الجــبهة الغربية لم يكن منتظراً منهم إلا ان يندفعوا- في إطار سياسة نشر الإسلام وحمايته- باتجاه الأندلس- الجزيرة الايبيرية-، لاسيما وأنها لا يفصلها عن المغرب العربــي سوى مجاز ضيق يمكن رؤيته الساحل الثاني من خلاله، كما أن إتجاههم نحــو الصحراء الأفريقية جنوباً، بلا شك يحمل صعوبات كبيرة ناجمة عن الطبيعة

---

(1) ابــن عبدالحكم، فتوح أفريقية والأندلس، ص 76- 77؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 321؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 52- 53؛ ابن الأثير، الكامل، 4/ 109- 110.

(2) ينظــر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 200- 201؛ المالكي، رياض النفوس، 1/31- 38؛ الرقيق القيروان، تاريخ افريقية، ص 55 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل، 4/369 - 373.

(3) ابــن عــبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، ص 204؛ اخبار مجموعة، ص 14- 15؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 69- 71؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/ 539.

القاسية لها التي من شانها تحد حركة الجند الزاحفين بعيالاتهم وعدتهم الحربية، كل هذا يضاف الى المعرفة الواسعة للمسلمين من البربر - الذين شكلوا الغالبية من جند الفتح- بأحوال الأندلس وطبيعتها الجغرافية[1]، وقد تكون فكرة العبور تأتي ضمن تحوطات المقاتلة المسلمين واجراءاتهم في أحكام السيطرة على جانبي حوض البحر المتوسط اتقاءً لخطر الروم المتكرر عليهم، لاسيما وأنهم كانوا قد عزموا على مد نفوذهم الى تلك المناطق- على ما تروي المصادر- منذ أيام الخليفة عثمان بن عفان سنة 27هـ/ 647م[2]، وفي ولاية موسى بن نصير ايضاً حين أرسل ولده عبد الله فافتتح جزيرتي ميورقة ومنورقة في تلك النواحي[3]، وما يعزز ذلك أكثر حملة المسلمين على جزيرة سردانية[4] سنة 92هـ/ 711م كما أشار الى ذلك ابن الأثير[5].

أما الغوط الغربيون سكان الأندلس فأبدوا مقاومة واضحة للمسلمين منذ الأيام الأولى للفتح شأنهم شان بقية الأمم التي توجهوا لنشر الإسلام فيها[6]، وهو أمر

([1]) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 161؛ كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص 133، 136.

([2]) الطبري، تاريخ، 4/ 255- 256؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 152؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 2/ 80.

([3]) ابن الأثير، الكامل، 4/ 539؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطين: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت 1/77؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 279.

([4]) سردانية: جزيرة على طرف من البحر الشامي وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه. الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خر الأقطار، ط2، حققه: د. احسان عباس، مكتبة لبنان 1984م، ص 314.

([5]) الكامل في التاريخ، 4/ 567.

([6]) ابن عبد الحكم، فتوخ مصر والمغرب، ص 278- 279؛ فتوح أفريقية والأندلس، ص 74- 78؛ طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 165؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص 52.

مالــوف بالــسنبة لجند الإسلام ذلك لانهم كان عليهم ان يواجهوا انظمة اجتماعية ومدنــية راسخة تقوم على أصول وثنية او نصرانية وأن عليهم اخضاعهم للإسلام، سواء بنشره بين تلك الشعوب او باخضاعها من الوجهة المدنية والاجتماعية لنفوذه وسلطانه[1].

وبمــا أن النــصرانية قد وجدت طريقها بين سكان الأندلس منذ القرن الرابع الميلادي[2] لذا فإن مناصبتهم المسلمين العداء وعزمهم على صد دعوتهم، يعد أمراً طبيعــياً، لــذلك ظهــرت أعظــم مؤشرات التحدي الغوطي النصراني من خلال اجــتماعهم بقــيادة لذريق- ملك الغوط- لرد المسلمين في وقعة (وادي لكة) التي اســتمرت ثمانية أيام (28 رمضان- 5 شوال 92 هــ/ 19- 26 تموز 711م) [3]، وانــتهت بنصر المسلمين وقضائهم على اكبر مكامن التحدي الغوطي آنذاك[4]، إذ غــدت تلك الوقعة بوابة الفتح لبقية مدن الأندلس كما يفهم من قول ابن الأثير: ((ثم أنهــزم أهل الأندلس ولم يلق المسلمون بعدها حرباً مثلها))[5]، إذ تواصلت فتوحهم بــسرعة إلــى أمــام[6]، بالرغم من أنها لم تخل من مظاهر المقاومة والتحدي[7]،

([1]) عــنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط4، مط لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة 1962 م)، ص 51- 52.

([2]) عنان، دولة الإسلام، ص 29.

([3]) طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار، ص 168.

([4]) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص 278- 279؛ فتوح افريقية والأندلس، ص 74- 78؛ مجهــول، اخــبار مجمــوعة، ص 7- 18؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 256- 257؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 562/4.

([5]) الكامل في التاريخ،، 4/ 563.

([6]) حــول فتح الأندلس بالتفصيل ينظر: طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 169 وما بعدها.

([7]) لــم يكــن عــبور موسى بن نصير وما معه من امدادات إلى الاندلس إلا شاهداً على مقدار التحدي والمقامة المتزامنة مع اتساع جبهات الفتح هناك، ينظر: خطاب، محمود شيت، قادة فتح المغرب العربي، ط1، دار الفتح للطباعة، (لبنان 1966م)، 1/252- 254.

كعـصيان أهـل استجة[1] في حصون مدينتهم حتى فتحت بعد تضحيات كبيرة من المـسلمين[2] وانـتقاض أهل اشبيلية[3] وقتلهم الحامية الإسلامية فيها سنة 94هـ/ 713م، ممـا أوجـب إعـادة فتحها مرة أخرى[4]، ولكن بالرغم من ذلك كله عزم المسلمون على نشر الإسلام في الأندلس والقضاء على عوامل الخطر المتوقعة، كما أوضـح ذلـك حوار طارق بن زياد مع موسى بن نصير عند وصول الأخير إلى الأنـدلس[5]، وقـد تحقق ذلك فعلاً إذ وصل المسلمون أقصى الشمال وتعقبوا فلول الغوط الذين احتموا بجبال كنتبرية[6].

ويظهـر أن ما تحقق للمسلمين من انتصارات كبيرة بالاندلس مطلع فتوحاهم جعلـت موسـى بـن نصير يفكر جدّياً في أخضاع اوربا الغربية للسادة الإسلامية والانتقال من خلالها لفتح القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية في الشرق، التي استعصى على المسلمين فتحها من قبل- لاسباب تم الإشارة إليها آنفاً-، ورغم انكـار بعـض الدراسـات الحديثة لمثل هذه الفكرة[7]، إلا ان المصادر الأندلسية والمـشرقية قـد اكدتها قبل ذلك، فقد ذكر ابن الكردوبوس أن مسى لما اشار عليه بعـض جـنده بالتوقف وعدم الإيغال بعيداً بالفتح، ((قال يومئذ: أما والله لو انقادوا

([1]) اسـتجه: بـين القبلة والمغرب من قرطبة بينهما مرحلة كاملة وهي مدينة قديمة. الحميري، الروض المعطار، ص 142.

([2]) اخبار مجموعة، ص19؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 260؛ طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار، ص 170.

([3]) اشـبيلية: مدينة كبيرة عظيمة في الأندلس بها قاعدة ملك الأندلس وسريره. ياقوت الحموي، معجم البلدان.

([4]) المقري، نفح الطيب، 1/ 271؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 562.

([5]) ينظر: المقري، نفح الطيب، 1/ 277.

([6]) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 183.

([7]) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 182.

لقدتهم حتى اوقفتهم على رومية ويفتحها الله على يدي إن شاء الله))[1]، وقال الذهبي أن موسى ((لما تمادى في سيره في الأندلس أتى أرضاً تميد بأهلها فقال عسكره إلى اين تريد أن تذهب بنا؟ حسبنا ما بأيدينا فقال: لو اطعتموني لوصلت إلى القسطنطينية)) ((وقيل أنه قال مرة والله لو انقاد الناس لي لقدتهم حتى اوقفتهم على رومية ثم ليفتحها الله على يدي))[2] واكد ابن خلدون تلك الروايات بقوله: ((واجمع أن ياتي المشرق على القسطنطينية ويتجاوز إلى الشام ودرب الأندلس ويخوض ما بينها من البلاد بلاد الأعاجم أمم النصرانية مجاهداً فيهم مستلحماً لهم إلى أن يحلق بدار الخلافة))[3].

وبالرغم من وجوب أخذ تلك الروايات بحذر كونها تعكس حالة الحماس التي ملأت نفوس المسلمين قادة وجند عصر ذاك بما حققوه من فتوح عظيمة على مختلف الجبهات ومنها الأندلس وتعكس غيرة وحماس رواتها من المؤرخين المسلمين وأملهم فيما لو تم مثل ذلك الأمر الذي ربما انعكس على متونها، إلا أن مثل ذلك الامر قد لا يبدو غريباً ومستبعداً أو أنه مبالغات من الرواة، سيما وأنه يأتي تنفيذاً للأمر الآلهي الذي فرض على المسلمين إبلاغ رسالة الإسلام إلى الأمم الأخرى وضمان حمايتها ((ولم يك ثم ما يحول دون تنفيذ هذا المشروع الضخم، فقد كان الإسلام يومئذ في ذروة الفتوة والقوة والبأس وكانت جيوشه تقتحم ارجاء العالم القديم ظافرة إينما حلت وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يسودها الضعف والانحلال وكانت مملكة الفرنجة وهي اضخمها واقواها يمزقها الخلاف والتفرق وقد بدأ العرب غزوها بالفعل ولم تستطع النصرانية ان توحد جهودها لرد الإسلام ولم تقم فيها زعامة قوية تجمع كلمتها وتنظم قواها في جبهة دفاعية موحدة ولم تكن

---

(1) ابن الكردوس، ابو مروان عبد الملك، تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط، تحقيق احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، (مدريد 1973م)، ص 159- 160.

(2) سير أعلام النبلاء، 4/498- 499.

(3) تاريخ ابن خلدون، 4/ 117؛ المقري، نفح الطيب، 1/ 133.

اوربا في ذلك الحين سوى مزيج مضطرب من الامم والقبائل المتنافرة تمزقها المطامع والاهواء المختلفة فكان الإسلام يستطيع غزوها وفتحها ولم يكن حلماً واغراقاً ما تصوره موسى بن نصير واعتزمه ولكن سياسة الاحجام والتردد التي اتبعها بلاط دمشق نحو الفتوح الغربية والتي كادت تحول دون فتح اسبانيا أودت بذلك المشروع))[1].

ويأتي اندفاع الولاة المسلمون في الأندلس لفتح أراضي مملكة الفرنجة بعد قضائهم على مشاكلهم الداخلية[2] إتماماً لمشروع موسى بن نصير واستمراراً في نشر الإسلام، إلا أن ذلك الامر لكن ليتم بيسر أمام تحديات الفرنجة بعد ان تكتلت مملكتهم النصرانية وتوحدت متناسيةً أحقادها وصراعاتها السابقة فيما بينها أمام الفتح الإسلامي واعتبار نفسها حامية النصرانية هناك كما كان عليه حال الدولة البيزنطية في الشرق[3] ودليل ذلك تصديهم لجند الإسلام في وقعة تولوشه[4] التي استشهد فيها الوالي السمح بن مالك الخولاني سنة 102هـ/ 721م على يد الدوق اودوا دوق اكتانية وانسحاب المسلمين إلى قواعدهم في الأندلس[5]، واستشهاد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي فيما بعد متأثراً بجراجه سنة 107هـ/ 725م بعد أن عزم على مجابهة التحدي الفرنجي واستعادة ما فقده المسلمون في وقعة تولوشة والانتقام لسلفه السمح بن مالك الخولاني[6].

([1]) عنان، دولة الإسلام، ص 54؛ ينظر ايضاً: العبادي، احمد مختار، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، (الاسكندرية 1967م)، ص 11- 12.

([2]) أرسلان، غزوات العرب، ص 63- 64.

([3]) عنان، مواقف حاسمة، ص 52- 53.

([4]) تولوشه: لم أعثر على تعريف لها.

([5]) طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار، ص 339؛ الحجي، التاريخ الاندلسي، ص 185- 186؛ عنان، دولة الإسلام، ص 80.

([6]) عنان، دولة الاسلام، ص 81.

إلا ان الشاهد الاكبر على تحدي الافرنجة واصرارهم على اعتراض الرسالة الإسـلامية جـاء سـنة 114هـ/ 732م في وقعة بلاط الشهداء، بعد أن اجتمعوا وتجاهلـوا عداءهم السابق فيما بينهم مرة أخرى بغية الحد من امتداد الإسلام، وقد استـشهد الوالـي عـبد الرحمن بن عبد الله الغافقي قائد حملة الفتح في تلك الوقعة وجمع من المسلمين مما اضطرهم إلى الأنسحاب إلى قواعدهم في الأندلس[1]، وبذا تكون هذه الوقعة قد وضعت حداً لحركة الفتح الإسلامي وانهت مشروع موسى بن نـصير الذي تبناه ولاة الأندلس من بعده، وأصبح المسلمون في موقف دفاعي أكثر مما هو هجومي كسابق عهدهم[2].

---

(1) ريـنو، جوزيف، الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشـر الميلادي، تعريب: د. اسماعيل العربي، ط1، دار الحداثة، (الجزائر 1984م)، ص 61 وما بعدها.

(2) أشار الدكتور عبد الواحد ذنون إلى أن والي الاندلس عقبة بن الحجاج الذي كان متحمساً للثأر لـشهداء بـلاد الشهداء قام بحملة في بلاد الفرنجة سنة 117هـ/ 735م وأعاد فتح العديد من المـناطق التـي اسـتعادوها بعد هزيمة المسلمين، وهاجموا ولايات شارل مارتل واستطاعوا الإيغال في ايطاليا لكنهم عادوا ادراجهم ثانية بعد تعاون شارل مارتل واخيه عليهم وتمكنهم من ردهم. الفتح والاستقرار، ص 351- 352.

المصادر

القرآن الكريم.

1- الأصـــمعي، عـــبد الملك بن قريب ت 215/ 830م. نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، مخطوط المجمع العلمي العراقي، تحت رقم 613 تاريخ.

2- الأشـــرف الغـــساني، ابو العباس الاشرف الغساني، ت 803هـ/ 1400م. العسجد المـــسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، المجمع العلمي العراقي، تحت رقم 35 تاريخ.

3- الـــبلاذري، احمـــد بـــن جابر بن يحيى ت 279 هـ/ 892م. أنساب الأشراف، مخطـــوط مكتـــبة الدراســـات العليا كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 1639-1644.

4- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت 597هـ/ 1200م. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوط المجمع العلمي العراقي تحت رقم 795 تاريخ.

5- ابـــن حبـــيش، عـــبد الرحمن بن محمد ت 584هـ/ 1188م. الغزوات، مخطوط المجمع العلمي العراقي، تحت رقم 44 تاريخ.

6- المرغنـــي، الحـــسن بن محمد. غرر السير، مخطوط المجمع العلمي العراقي تحت رقم 1814 تاريخ، هدية د. عبد الأمير دكسن.

7- الأبـــشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد، ت 850هـ/ 1446م. المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت بلا ت.

8- ابـــن الأثيـــر، عز الدين بن الأثير الحسن بن علي بن محمد الشيباني، ت630هـ/ 1232م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر، بيروت، 1983م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1965م.

9- ابن ادم، يحيى بن آدم القرشي ت 203هـ/818م. الخراج، مط بريل، ليدن 1895م

10- الإدريسي، الشريف بن محمد، ت 561هـ/ 1165م. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القسم الخاص بالعراق وإقليم الجزيرة، تحقيق: إبراهيم شوكة، مجلة المجمع العلمي العراقي العدد 23 لسنة 1973م، وكذلك طبعة روما.

11- الأزدي، محمد بن عبد الله ت 168هـ/ 784م. تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1970م.

12- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد إياس ت 334هـ/ 945م. تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة 1967م.

13- الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد ت 223هـ/ 837م. إخبار مكة وما جاء بها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحسن، دار الأندلس، مدريد، بلا ت.

14- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق الأموي ت 151هـ/ 768م. السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بلا ت.

- فتوح مصر وأعمالها، مط الحجر الباهرة، مصر 1175م.

15- الاصطخري، ابو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت341هـ/ 952م. الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد بلا ت.

16- المسالك والممالك، تحقيق: د. محمد جابر عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1961م.

17- الأصفهاني، حمزة بن علي ت 360هـ/ 970م. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت بلا ت.

18- الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين ت 356هـ/ 966م. الأغاني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي و د. عبد العزيز المطر، إشراف محمد ابو الفضل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت بلا ت.

- ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1986م. طبعة محمد أفندي الساسي، مط التقدم، مصر بلا ت.

19- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد احمد بن أعثم الكوفي ت 314هـ / 926م. الفتوح، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد، الهند 1968-1975م.

- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس ت 8 هـ/ 629م.

- ديوانه، شرح وتعليق: د. محمد حسين، مكتبه الاداب، مصر بلا ت.

20- بحشل، اسلم بن سهل الرزاز ت 288هـ/ 900م. تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، مط العاني، بغداد 1967م.

21- البخاري، محمد بن إسماعيل، ت 256هـ/ 869م. الصحيح، دار الجيل، بيروت بلا ت.

- الصحيح بشرح ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، دار الفكر، بيروت، بلا ت.

- الصحيح بشرح الكرماني، ط2، لبنان 1981م.

22- ابن بطريق، افتيشوس سعيد بن بطريق، ت القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مط الآباء اليسوعيين، بيروت 1910م.

23- ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ت 256هـ/ 869م. الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، مط العاني، بغداد 1971م.

24- البكري، ابي عبيد عبدالله بن عبد العزيز ت 487هـ/ 1085م. معجم ما استعجم في أسماء الأماكن والأشياء، حققه وضبطه: مصطفى السقاء، ط1، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1945م.

25- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر ت 279هـ/ 892م. أنساب الأشراف، ج1، دار المعارف، مصر 1959م.

26- الشيخان أبو بكر وعمر وولدهما، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، مؤسسة الشراع العربي، الكويت 1989م.

- ج11، مط يولس آبل، غريفز ولد 1883م.

- ج4، ق1، تحقيق: إحسان عباس، دار النشر فرانتسر شتاينر بفيسبادن، بيروت 1979م.

- فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت 1987م.

27- البيرونـــي، ابــو الريحان محمد بن احمد ت 440هــ/ 1048م. الاثار الباقية عن القرون الخالية، نسخة مسحوبة بالأوفسيت عن طبعة لايبزك.
28- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي القاسم ت 874هــ/ 1469م. النجوم الزاهرة في أخــبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مصر بلا ت.
29- ابــن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحكم ت 728هــ/ 1327م. السياسة الشرعية فــي إصـــلاح الراعي والرعية، راجعه وعلق عليه: محمد عبد الله السمان، مكتبة المثنى، بغداد بلا ت.
30- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت 429هــ/ 1037م. غرر الــسير المعروف بكتاب غرر إخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسدي، طهران 1963م.
31- الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، ت 255 هــ/ 868م. البيان والتبيين، ط2، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر 1961.
- العثمانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، مصر 1961.
32- ابــن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ت 597 هــ/ 1200م. تاريخ عمر بــن الخطـــاب، ط1، الناشر: محمد أمين الخانجي، مط السعادة، مصر 1342هــ/ 1924م.
- ســيرة عمر بن عبد العزيز، نسخه وصححه: محب الدين الخطيب، مط المؤيد، مصر 1331هــ.
- سيرة عمر بن الخطاب، ط1، مط السعادة، مصر، 1924م.
- مـــناقب أميـــر المؤمنـــين عمـــر بن الخطاب، تحقيق: زينب ابراهيم القاروط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1980م.
33- الجوهـــري، إسماعيل بن حماد ت 398هــ/ 1007م. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1987.
34- الحـــاكم، أبو عبد الله النيسابوري. المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت بلا ت.

35- ابـــن حـــبان، محمـــد بن حبان البستي ت 354هــ/ 956م. الثقاة، ط1، مط دائرة المعارف العثمانية، الهند 1975م.
36- ابـــن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب ت 245هــ/ 859م. المُحبر، اعتناء: ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت بلا ت.
37- أســماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، نوادر المخطوطات المجموعة السادسة، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1954م.
38- ابـــن حجـــر العـــسقلاني، احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت 852هــ/1448م. الإصـــابة فـــي تمييـــز الـــصحابة، طـــبعة جديدة الأوفسيت، مكتبة المثنى، بغداد بلا ت.
39- ابـــن أبـــي الحديـــد، عز الدين ابو حامد هبة الله بن محمد بن الحسين ت656هــ/ 1258م. شـــرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1967م.
40- ابن حزم الأندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد ت 456هــ/ 1063م. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر 1962م.
41- ابـــن حوقل، ابو القاسم بن حوقل النصيبي ت 356 هــ/ 966م. صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت بلا ت.
42- الحميـــري، محمد بن عبد المنعم ت 610هــ/ 1213م. الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: د. إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان 1984م.
43- الخطـــيب البغدادي، احمد بن علي ت 463 هــ/ 1070م. تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت بلا ت.
44- ابـــن خلـــدون، محمد بن عبد الرحمن ت 808هــ/ 1405م. العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1971م.
- المقدمة، دار العودة، بيروت 1981م.

45- خليفة بن خياط العصفري ت 240هـ/ 854م. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمر، ط1، مط الآداب، النجف 1967، تحقيق: سهيل زكار، مط وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، سوريا 1968م.

46- أبي داود، دار الحديث، القاهرة 1988م. سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة 1988م.

47- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد ت 321هـ/ 932م. الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، مكتبة المثنى، بغداد 1979م.

48- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن ت 966هـ/ 1588م. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، مط الوهبية، مصر 1133هـ.

49- الدينوري، ابي حنيفة احمد بن داود ت 282هـ/ 895م. الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر مراجعة: د. جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة 1960م.

50- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ت 747هـ/ 1347م. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، مكتبة القدسي، القاهرة 1367هـ.

- الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.
- سير أعلام النبلاء، حققه: شعيب الارنؤوطي وحسين الأسد، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981م.
- العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بلا ت.

51- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت 666هـ/ 1267م. مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت 1983م.

52- ابن رجب الحنبلي، ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد ت 795هـ/ 1392م. الاستخراج لأحكام الخراج، صححه وعلق عليه: السيد عبد الصديق، ط1، مط الإسلامية بالأزهر، مصر 1934م.

53- ابن رستة، احمد بن عمر ت حوالي 300هـ/ 912م. الاعلاق النفسية، مط بريل، ليدن 1890م.

54- ابن الزبير، عروة 94هـ/ 712م. مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، جمعه وحققــه وقدم له: د. محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية لدول الخليج العربي، 1981م.

55- الزبيري، مصعب بن عبد الله بن المصعب، 236هـ/ 850م. نسب قريش، اعتني بنشره: إ. ليفي، بروفنسال، ط3، دار المعارف، مصر 1982م.

56- ابــن زكريا، ابو الحسن احمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط2، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر 1971م.

57- الــزهدي، محمــد بن مسلم بن شهاب ت 124هـ/ 741م. المغازي النبوية، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1981م.

58- ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي ت 230هـ/ 844م. الطبقات الكبرى، دار صادر دار بيروت، بيروت 1975م.

- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، ت 231هـ/ 845م.

- طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: ابو فهر محمود محمد شاكر، مط المدني، القاهرة بلا ت.

59- ابــن سعيد الأندلسي، ت 685هـ/ 1286م. المغرب في حلي المغرب، ج1، القسم الخــاص بمــصر، تحقيق: د. زكي محمد حسن وآخرون، مط جامعة فؤاد الأول، المغرب 1953م.

60- ابــن ســعد المغربــي، ابــو الحسن علي بن موسى ت 610هـ/ 1213م. كتاب الجغــرافيا، حققه ووضع مقدمته: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1970م.

61- السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت 562 هـ/ 1166 م. الأنــساب، تقــديم وتعلــيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت 1988م.

62- ابــن ســيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد ت 734هـ/ 1333م. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، عنيت بنشره مكتبة القدسي، القاهرة 1356هـ.

63- ابن سيدة، ابو الحسن علي بن إسماعيل الاندلسي، ت 458هـ/ 1065م. المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت بلا ت.

64- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ/ 1505م. أسباب النزول، بذيل تفسير الجلالين، مكتبة محمد نهاد الكتبي، مصر بلا ت.

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مط السعادة، مصر 1952م.

- تفسير الجلالين، مكتبة محمد نهاد الكتبي، مصر بلا ت.

- حسن المحاضرة في إخبار مصر والقاهرة، ط1، مط دار الوطن، مصر 1299هـ.

65- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن ادريس ت 204هـ/ 819م. الأم، نسخة مصورة عن طبعة بولاق، 1321هـ.

66- ابن شبة، ابو زيد عمر بن شبهة النميري ت 262هـ/ 875م. تاريخ المدينة المنورة، ط2، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكة المكرمة 1979م.

67- الشيباني، محمد بن الحسن ت 189هـ/ 804م. شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مصر 1957- 1958.

68- ابن أبي الصلت، أمية ت بحدود 2 هـ/ 623م. ديوانه، حقق ووقف على طبعه: بشير بموت، ط1، مط الوطنية، بيروت 1934م.

69- الصيغاني، الحسن بن محمد بن الحسن ت 650هـم 1252م. العباب الزاخر واللباب الفاخر، حرف الطاء، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد، بغداد 1979م.

70- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ت 310 هـ/ 922م. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط4-5، دار المعارف، مصر بلا ت.

- جامع البيان في معاني القرآن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت عن نسخة المطبعة الأميرية ببولاق 1978م.

- كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المجاهدين من كتاب اختلاف الفقهاء، عني بنشره: يوسف شخت، 1933م.

71- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا ت 709هـ/ 1309م. الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية، عني بنشره: محمد توفيق الكتبي، مط الرحمانية، مصر بلا ت.

72- ابن عبد ربه، أبي عمر احمد بن محمد الأندلسي ت 328هـ/ 939م. العقد الفريد، شرحه وضبطه: احمد أمين، وآخرون، ط2، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1944، 1948، 1956.

73- ابو عبيد، القاسم بن سلام ت 224هـ/ 838م. الأموال ، ط1-2، دار الكتب العلمية، بيروت 1986م.

74- أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي ت 209هـ/ 824م. نقائض جرير والفرزدق، باعتناء، بيفان، مط بريل، ليدن 1907م.

75- ابن عبد الحكم، ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت 242هـ/ 856م. فتوح مصر وإخبارها، مط بريل، ليدن 1920م.

- فتوح مصر والمغرب، مط بريل، ليدن 1920م.
- فتوح افريقية والأندلس، حققه وقدم له: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1964م.

76- ابن عبد الحكم، ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم ت 214هـ/ 829م. سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها وصححها وعلق عليها: احمد عبيد، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1967م.

77- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت 395هـ/ 1004م. الأوائل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1987م.

- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، عني بتحقيقه ونشره: عزة حسن، دمشق 1969م.

78- ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد ت 660هـ/ 1261م. زبدة الحلب في تاريخ حلب، عني بنشره وتحقيقه: سامي الدهان، دمشق 1951م.

79- ابن عذاري، ابو عبد الله محمد المراكشي ت 695هـ/ 1295م. البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ليدن 1948م.

- البيان المغرب في أخبار المغرب، مط المناهل، 1950م.

80- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد ت 505هـ/ 1111م. مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1982م.

81- ابن الفقيه، ابو بكر أحمد بن محمد الهمداني ت 289هـ/ 901م. مختصر كتاب البلدان، مط بريل، ليدن 1302 هـ.

82- القالي، ابي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت 356هـ/ 966م.

83- نيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت بلا ت.

84- ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم ت 276هـ/ 889م. الإمامة والسياسة (منسوب)، اعتني بطبعه: محمد محمود الرافعي، مط النيل، مصر 1904م.

- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر 1966م.

- عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، مصر بلا ت.

85- القرطبي، ابي عبد الله محمد بن احمد. الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1965.

- قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م.

86- القلقشندي، ابو العباس بن احمد بن علي ت 821 هـ/ 1418م. صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ببولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، بلا ت.

87- القيرواني، الرقيق ت القرن الخامس الهجري. تاريخ افريقية، تحقيق المنجعي الكعبي، تونس 1968م.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ت 751هـ/1350م
- زاد المعاد في هدي خير العباد، مط المصرية، مصر 1938م.

88- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد ت: 764هـ/ 1362م. عيون التواريخ، عني بتحقيق النص: حسام الدين الآلوسي، مكتبة النهضة، القاهرة 1964م.

89- ابن كثير، ابو الفدا إسماعيل ت 774 هـ/ 1372م. الاجتهاد في طلب الجهاد، حقق وعلق عليه: د. عبد الله عبد الرحيم، ط2، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرباط 1981م.
- البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة بلا ت.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط3، دار الرائد العربي، بيروت، 1987م.

90- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التورزي ت بعد 573هـ/ 1177م. تاريخ الأندلس ووصفه لابن شباط، تحقيق: احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1973م.

91- الكلاعي، سليمان بن عبد الله ت 634هـ/ 1236م. الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مط السنة المحمدية، القاهرة 1970م.
- تاريخ الردة، اقتبسه من الاكتفاء للكلاعي البلنسي وهذبه: خورشيد احمد فارق، مط أميره وشركائها، دلهي الجديدة، الهند، 1970م.

92- ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب ت 204هـ/ 819م. الأصنام، تحقيق: الأستاذ احمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1964م.
- جمهرة النسب، تحقيق: د. ناجي حسن، ط1، عالم الكتب ومكتبة النهضة، بيروت، 1968م.

93- الكندي، محمد بن يوسف ت 350هـ/ 961م. كتاب الولاة وكتاب القضاة، مهذب ومصحح بقلم: رفن كست، مط الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.
- ولاة مصر، تحقيق: د. حسين نصار، دار صادر، لبنان، 1959م.

94- الكناني، نصر بن سيار ت 131هـ/ 748م. ديوانه، جمعه وحققه: عبد الله الخطيب، ط1، مط شفيق، بغداد، 1972م.
95- ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القشيري، ت 275هـ/ 888م. سنن بان ماجة، حقق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت بلا ت.
96- مالك، مالك بن انس بن مالك ت 179هـ/ 795م. المدونة الكبرى، مط السعادة، مصر 1133 هـ، طبعة جديدة الاوفسيت، دار صادر، بيروت بلا ت.
97- الموطأ ، إعداد: احمد راتب عرموش، ط10، دار النفائس، بيروت 1987م.
98- المالكي، ابو بكر عبد الله بن ابي عبد الله ت 453هـ/ 1061م. رياض النفوس في طبقات علماء افريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، قام على نشره: د. حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1951م.
99- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغدادي ت 445هـ/1053م. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، وبهامشه اقباس الأنام في تخريج أحاديث الأحكام، تأليف د. خالد رشيد الجميلي، بغداد 1989م.
100-ابن المبارك، عبد الله بن المبارك ت 181هـ/ 798م. كتاب الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، بيروت 1971م.
101-المبرد، محمد بن يزيد ت 285هـ/ 898م. الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاته، دار النهضة، مصر بلا ت.
102-مجهول: مؤلف مجهول. أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق: ابراهيم الابياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979م.
103-مجهول: مؤلف مجهول. العيون والحدائق في أخبار الحقائق، من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم، ج3، مكتبة المثنى، بغداد بلا ت.
104-المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ت 346هـ/ 957م. التنبيه والإشراف، دار مكتبة الحياة، بيروت 1981م.

- مـروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، مط السعادة، مصر 1964م.
105-المقدسـي، شـمس الـدين ابي عبد الله محمد بن احمد ت 380هـ/ 990م. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مط بريل، 1906م.
106-المقدسـي، ابي قدامة عبد الله بن احمد. التبيين في أنساب القريشيين، حققه: محمد نايف الدليمي، ط1، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982م.
107- المقدسـي، المطهر بن طاهر ت 322هـ/ 933م. البدء والتاريخ، مكتبة المثنى بغداد، طبعة باريس، 1899م.
108- المقري، احمد بن محمد التلمساني ت 1041هـ/ 1631م. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م.
109- المقريـزي، تقي الدين احمد بن علي ت 845 هـ/ 1441م. إمتاع الأسماع مما للرسـول من الأبناء والأموال والحفده والمتاع، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941م.
110- مـسلم، مـسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت 261 هـ/ 874م. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، 1981م.
111- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/ 1311م. لسان العرب، دار صادر، بيروت بلا ت.
112- ابن نباته، جمال الدين بن نباته المصري ت 768هـ/ 1366م. سرح العيون في شـرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1964م.
113- النـسائي، ابـو عبد الرحمن احمد بن شعيب، ت 303هـ/ 915م. سنن النسائي بـشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وبحاشيته الإمام الجليل السندي، دار القلم، بيروت بلا ت.
114- النرشخي، محي الدين ابي زكريا بن مشرق ت 676هـ/ 1277م تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية وقدم له: د.أمين عبدا لحميد بدوي ونصرالله الطرازي ، دار المعارف ، مصر بلا ت.

115- النووي ، محي الدين ابي زكريا بن مشرق ت 676هـ /1277م. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار القلم، بيروت 1970م.

116- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت 733هـ/ 1322م. نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة العربية للتأليف والترجمة والنشر، مصر بلا ت.

117- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين العمي ت 850 هـ/ 1446م. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع بهامش تفسير الطبري، نسخة مصورة عن طبعة بولاق 1978م.

118- ابن هشام، ابي محمد عبد الملك بن هشام ت 218هـ/ 823م. السيرة النبوية، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بلا ت.

119- الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب ت 334 هـ/ 945م. صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1989م.

120- الواقدي، محمد بن عمر ت 207هـ/ 822م. المغازي، تحقيق: ماردسن جونس، اكسفورد 1966م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت بلا ت.

- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، مط المحروسة، مصر 1309هـ/ 1891م.
- فتوح افريقية وتونس، مط المنار ومكتبتها، تونس 1966م.
- فتوح الشام، قدم له: عمر ابو النصر، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت 1969م.

121- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت 626هـ/ 1228م. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت بلا ت.

122- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن واضح ت 284 هـ/ 897م. البلدان، مط بريل، 1891م.

- تاريخ اليعقوبي، مط الحيدرية، النجف 1964م.
- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم ت 182هـ/ 798م.
- الخراج، ط3، مط السلفية، مصر 1382هـ.

123-ارسلان ، شكيب. تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا ت.

124-ارنولد، سير. ت. الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية: حسن ابراهيم حسن وآخرون، مط الشبكتي بالأزهر، مصر بلا ت.

125-اسكندر، فايز نجيب. الفتوحات الإسلامية لأرمينية (11- 40 هـ/ 632- 661م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، 1983م.

126-آشتور، أ. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي ابو عليه، دار قتيبة للطباعة والنشر، سورية 1985م.

127-الأفغاني، سعيد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط2، دار الفكر، دمشق، 1960م.

128-باشميل، محمد احمد. العرب في الشام قبل الإسلام، دار الفكر، بيروت 1973م.

129- باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بغداد 1956م. طبعة منقحة، مط الحوادث، بغداد 1973م.

130-بتلر، الفريد ج. فتح العرب لمصر، ترجمة: محمد فريد ابو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946م.

131-بدران ، عبد القادر تهذيب تاريخ دمشق ، دار المسيرة ، بيروت 1979م.

132-بروكلمان، كارل. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، نقله الى العربية، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط9، دار العلم للملايين، بيروت 1981م.

133-البكر، منذر عبد الكريم. دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب جامعة البصرة، 1993م.

134-بليايف. ي. العرب والإسلام والخلافة العربية، ط1، ترجمة: أنيس فريحه، مراجعة: محمود ابو زايد، الدار المتحدة للنشر، بيروت بلا ت.

135-بيضون، ابرهيم. ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1979م.

136-بيغولفسيكيا، نينا فكتورفنا. العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع الى القرن السابع الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان، الكويت 1985م.

137-بينــز، نــورمان. الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: د. حسين مؤنس ومحمود ابو زايد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، والقاهرة 1950م.

138-توينبـــي، ارنــولد. تاريخ البشرية، نقله الى العربية: د. نيقولا زيادة، الأهلية للنشر التوزيع، بيروت 1988م.

139-جــاد المولـــى، محمـــد وآخرون. أيام العرب في الجاهلية، ط2، مط عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر 1953م.

140-جــودة، جمال محمد داود محمد . العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1979م.

141-جونــز، ارنــولد هيوتمان. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: د. إحسان عباس، عمان 1986م.

142-جيــبون، ادوارد. اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: د. محمود سليم مراجعة: محمد علي ابو درة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بلا ت.

143-جيورجـــيو، كونــستانس. نظـــرة جديـــدة في سيرة رسول الله، تعريب: د. محمد التوبخي، ط1، الدار العربية للموسوعات، 1983م.

144-حتـــي، فيليب. تاريخ العرب مطول، ط1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1952م.

- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: د. جورج حداد وعبد الكريم رافقة، دار الثقافة، بيروت 1958م.

145-الحجي، عبد الرحمن علي.

146-الــتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1 دار القلم، بيروت، دار القلم، الرياض، الكويت 1976م.

147-حداد، جودج مرعي. فتح العرب للشام بحث انتقادي تحليلي، المنشورات الجامعة، بيروت 1984م.

148-الحديثـــي، نــزار عــبد اللطــيف. أهل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978م.

149-الحديثي، نزار عبد اللطيف واخرون. الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية، دار الحرية، بغداد 1981م.

150-حسن، علي ابراهيم. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1954م.

151-حسين، فالح. الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، الجامعة الأردنية، مطابع الشعب، 1978م.

152-الحضي، محمد أديب. منتخبات التورايخ لدمشق، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1979م.

153-حمادي، محمد جاسم. الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري 127- 418هـ/ 744- 823م، دار الرسالة للطباعة، بغداد 1977م.

154-حميد الله، محمد. الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط1، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1956م.

155-خطاب، محمود شيت السفارات النبوية، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1989.

- عقبة بن نافع الفهري، ط3، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971م.
- قادة فتح المغرب العربي، ط1، دار الفتح للطباعة، لبنان 1966.
- قاموس المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، ط1، دار الفتح للطباعة، بيروت 1966م.
- دارة المعارف الإسلامية، مطابع الشعب، مصر بلا ت.

156-داوني جلانفيل. إنطاكية القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، دار النهضة، مصر 1967م.

157- دروزة، محمد عزة. عروبة مصر في القديم والحديث أو قبل الإسلام وبعدها، ط2، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت 1963م.

158- دومنغهم، اميل. حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مصر بلات.

159-دكسن، عبد الامير عبد حسين. الخلافة الاموية (65-86هـ/ 684-705م) دراسة سياسة، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 1973م.

160-دلـو، بـرهان الـدين. مـساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي والإسلامي، دار الفارابي، بيروت 1985م.

161-الدوري، عبد العزيز. التكوين التاريخي للأمة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984م.

- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مط العاني، بغداد بلا ت.
- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط3، دار الطليعة، بيروت 1969م.
- النظم الإسلامية، منشورات بيت الحكمة، بغداد 1988م.

162-ديـسو، رينيه. العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، الدار القومية للطباعة والنشر، بلات.

163-الرصافي، معروف عبد الغني. رسائل التعليقات، ط1، مط المعارف، بغداد 1944م

164-رو، جـورج. العراق القديم، ترجمة: حسين علوان مراجعة: د. فاضل عبد الواحد، ط2، بغداد 1986م.

165-الـريس، محمد ضياء الدين. الخراج والنظم المالية للدولة العربية الإسلامية، ط1، مكتبة نهضة مصر، مصر 1957م.

166-الزركلي، خير الدين. الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، بيروت 1979م.

167-زيـدان، جرجي. العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، بلاك.

168-سـالم، عبد العزيز. تاريخ الدولة العربية الإسلامية تاريخ العرب منذ الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت بلات.

169-الـسامرائي ومحمد، خليل ابراهيم وثائر حامد. المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، ط، الموصل 1984م.

170-سـرور، محمد جمال الدين. الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، ط3، دار الفكر العربي 1966م.

171-سورديل، دومنيك. الإسلام، ترجمة: د. خليل الجر، مط البولسية، جونية 1977م.

172-سوسة، احمد. حضارة العرب ومراحل تطويرها عبر العصور، وزارة الإعلام، بغداد 1979م.

173-الشامي، احمد. الخلفاء الراشدون، ط1، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت 1982م.

174-الشريف، احمد إبراهيم. دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط1، دار الفكر العربي، 1968م.

175-شعبان، محمد عبدا لحي. صدر الإسلام والدولة الأموية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1983م.

176-شكري، فيصل. حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، مطابع دار الكتاب العربي، مصر 1952م.

- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة 1952م

177-صالح، محمد أمين. النظم الاقتصادية في الشام ومصر في صدر الإسلام، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، بلات.

178-صفوت، أحمد زكي. جمهرة رسائل العرب، ط1، مط مصطفى البابلي الحلبي وشركاه، مصر 1937م.

179-صقر، نادية حسني. الطائف في الجاهلية وصدر الإسلام، دار الشروق، السعودية، 1981م.

180-طه، عبد الواحد ذنون. إدارة العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ط2، مط جامعة الموصل، الموصل 1985م.

- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس، دار الرشيد، العراق 1982م.

181-عباس، إحسان. تاريخ دولة الأنباط، عمان 1987م.

182-العبادي، احمد مختار. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، الاسكندرية 1967م.

183-العبد الغني، عبد الرحمن. أرمينية وعلاقتها بكل من البيزنطيين والمسلمين 653-1064م/ 33-457هـ، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت 1989م.

184-العزيــز، حــسين قاســم. مؤجز تاريخ العرب والإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1971م.
185-العــدوي، ابراهيم احمد. الأمويون والبيزنطيون في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة بلات.
- مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1976م.
186-العــدوي، وســالم، ابراهيم احمد وعبد العزيز. تاريخ البحرية الإسلامي في مصر والشام، جامعة بيروت، 1972م.
187-عطــية، عطــية عبدالــرحمن. عــدة المجاهدين في القرآن والسنة، لجنة التعريف بالإسلام، القاهرة 1979م.
188-عطــوان، حــسين. الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط1، دار الجيل، بيروت 1987م.
189-العلي، صالح احمد. التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1969م.
- الخــراج فــي العراق في العهود الإسلامية الأولى، مط المجمع العلمي العراقي، بغداد 1993م.
- الــدول فــي عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مط المجمع العلمي العراقي، بغداد 1988م.
- محاضــرات فــي تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1981م.
190-علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2-4، بيروت 1976 1979
191-العمــد، إحــسان صــدقي. الحجــاج بــن يوســف الثقفي حياته وآراؤه السياسية، ط1، دار الثقافة، بيروت 1973م.
192-عــنان، محمــد عبدالله. دولة الإسلام في الأندلس إلى بداية عهد الناصر، ط3، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1960م.

- مواقــف حاســمة في تاريخ الإسلام، ط4، مط لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة 1962م.
193-عــواد، محمود أحمد محمد سليمان. الجيش والقتال في صدر الإسلام، ط1، مكتبة المنار، الأردن 1987م.
194-عون، عبدالرؤوف. الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر 1961م.
195-غلــوب، جــون باجــوت. الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة: خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد بلا ت.
196-غنيمة، يوسف رزق الله. الحيرة المدنية والمملكة العربية، مط دنكور الحديثة، بغداد 1936م.
197-فلهــاوزن، يولــيوس. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة مراجعة: د. حسين مؤنس، ط2، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1968م.
198-فلــوتن، فان. السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بن أمية، ترجمة عن الفرنسية. د. حسين ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم، ط1، مط السعادة، مصر 1934م.
199-القاضي، النعمان عبد المتعال. شعر الفتوح في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1965م.
200-كاشــف، ســيدة. الولــيد بن عبد الملك، أعلام العرب، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر بلا ت.
201-الكاندهلوي، محمد بن يوسف. حياة الصحابة، دار الفكر، لبنان 1988م.
202-كاهن، كلود. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ط1، دار الحقيقة، بيروت 1972م.
203-كرد علي، محمد. خطط الشام، ط2، بيروت 1969م.
204-كرستنــسن، ارثــر. إيــران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب مراجعة: عبدالوهاب عزام، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1957م.
205-كستر، م.ج. الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة: يحيى الجبوري، دار الحرية بغداد 1976م.

206-كمال، احمد عادل. فتوح الشرق بعد القادسية، ط1، دار الفكر، بيروت 1974م.
207-لوبون، غوستاف. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط4، مط عيسى الباب الحلبي وشركاه، 1964م.
208-لويس، برنارد. العرب في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت بلا ت.
209-ماجد، عبدالمنعم. التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية، مط الرسالة، مصر 1959م.
210-ماسيه، هنري. الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت 1960م.
211-مجموعة باحثين. تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية، مصر 1973م.
212-محمد، محمد عبدالجواد. ملكية الأراضي في الإسلام تحديد الملكية والتأميم، مط العالمية، القاهرة 1971م.
213-المعاضيدي، عبدالقادر. واسط في العصر الأموي 81-132 هـ/ 700-749م، دار الحرية، بغداد 1976م.
214-معروف، ناجي. أصالة الحضارة العربية، ط2، مط التضامن، بغداد 1969م.
215-الملاح، هاشم. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1994م.
- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مط جامعة الموصل، الموصل 1988م.
216-مهران، محمد بيومي. مصر، ط4، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية 1988م.
217-النص، أحسان. العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، بلا ت.
218-نولد كه، ثيودور. امراء غسان، نقله إلى العربية إد. بندلي جوزي و د. قسطنطين زريق، مط الكاثوليكية، 1933م.
219-هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمه عن الألمانية: د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1970م.
220-هيكل، محمد حسين. الصديق أبو بكر، ط2، مط مصر، 1368 هـ.
221-ولسون، جون. الحضارة المصرية، مكتبة النهضة المصرية، مصر 1955م.

222-ياسين، نجمان. تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين، بيت الموصل، الموصل 1988م.

223-البطاينة، محمد ضيف الله. العلاقة بين حركة الفتح ونصارى العرب في الجزيرة العربية والشام والعراق، مجلة المؤرخ العربي، العدد 22 لسنة 1982م.

224-الجبوري وجاسم د، محمود عباد ود. مهند ماهر. القصور الأموية في بلاد الشام دراسة تحليلية، بحث مقبول للنشر.

225-خطاب، محمود شيت. سلمان بن ربيعة الباهلي فاتح أرمينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 23 لسنة 1973م.

226-الدوري، عبدالعزيز. نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 11 لسنة 1964م.

- العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، بحوث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من القرن السابع الميلادي إلى القرن السابع عشر، الجامعة الأردنية، ط1، الدار المتحدة، بيروت 1974م.

- نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد 20 لسنة 1970م.

227-السعيدي، عمر. الواجهة العسكرية للحضارة الإسلامية، فتح افريقية جذوره السياسية وأبعاده الإستراتيجية، مجلة دراسات تاريخية، العدد الخامس، لسنة 1981م.

228-طه، صلاح الدين أمين. استيطان القبائل العربية في أرمينية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد2 لسنة 1986م.

- معركة اجنادين وأثرها في فتوح الشام، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30 لسنة 1986م.

229-طه، عبد الواحد ذنون. الجهد العسكري العربي الإسلامي في جبهة العراق والمشرق في العصر الأموي، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد9 لسنة 1983م.

230-العبيدي، عبد الجبار منسي. الفتوح العربية الإسلامية ودوافعها، مجلة المؤرخ العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 14 لسنة 1980م.

231-العبيدي، ناهي ابراهيم. الجهاد في خطابة صدر الإسلام، مجلة المورد المجلد 25 العدد الثاني لسنة 1997م.

232-عز الدين، ابراهيم. الدراسات المتعلقة برسائل النبي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 23 لسنة 1983م.

233-الغامدي، د. محمد حذيفة. الفتح الإسلامي لبلاد السند 92-96 هـ/711-715م، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة الرسالة الثانية والخمسون، الكويت 1988م.

234-فوزي، فاروق عمر. ثلاثة معارك حاسمة في الخليج العربي، مجلة آفاق عربية، العدد 7 لسنة 1984م.

- واردات الدولة ونفقاتها، حضارة العراق، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1985م.

235-الياس، عبد الوهاب خضر. نظام العطاء الإسلامي دراسة في نشأته وتطوره (15-218هـ/ 236-833م)، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة الموصل 1985م.

236-الجبوري، محمد عباد. أسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1986م

237-السامرائي، عبد الرازق احمد وادي. إقليم السند والبنجاب في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1987م.

238-العبيدي، محمود عبد الله ابراهيم. بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي والإسلامي، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1987م.

239-الفراجي، عدنان علي كرموش. الخلافة الأموية (96-105هـ/714-723م) دراسة في التاريخ السياسي والإداري، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1987م.

240-المحاسنة، محمد حسين سلامة. الأحوال الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد 1986م.

241- A.L. TIBAWI, Christians Under Muhammad and His First Two Caliphs, The Islamic Quarterly Vol 6. London 1961 .
242- Creswell, K.A, Ashort account of Early Muslim Architecture, Peliean Books , 1958 .
243- Gabrieli, Francesco, Muhammad and Conquests of Islam, translated from the Italin by Virginia Luling and Rosamund Linell, World University Library, New York 1968 .
244- Posner, Nadine. F. The Muslim Conquset of Northren Mesopotamia Aninrodutory Essay into Its Historical Background And Historigraphy ' University Microfilms International Michigan 1989 .
245- Sagges. H. W. F, Everyday Life in Babylonia and Assyira, Basford, London .